

في مدرسة الرسول الأعظم

السيد علي الخامنئي

موسم



مجلس الشورى
الإسلامي

مكتبة
الحبر الإلكتروني

@bookkn

١٤١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

{ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }

سورة آل عمران الآية ١٦٤

الكتاب:

في مدرسة الرسول الأعظم ﷺ

At the Greatest Messenger School

تأليف ونشر:

مؤسسة الثورة الإسلامية للثقافة والأبحاث
(مكتب حفظ ونشر آثار الإمام الخامنئي)

توزيع:

دار المودة للترجمة والتحقيق والنشر

طباعة:

شركة دبوق العالمية للطباعة

إخراج فني:

شركة DPI

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة: الأولى، 2020م

ISBN: 978-600-8218-88-3



مكتب حفظ ونشر آثار
الإمام الخامنئي

طهران، شارع جمهوري إسلامي، شارع فلسطين، زقاق هلاي، رقم 26

www.arabic.khamenei.ir-info@book-khamenei.ir

يُطلب من دار المودة للترجمة والتحقيق والنشر على الأرقام التالية:

00961 70 274 300 – 00961 1 270 664

في مدرسة الرسول الأعظم ﷺ

السيد علي خامنئي



الفهرس

حول هذا الكتاب	13
المقدمة	15
الآثار البليغة لمعرفة أبعاد شخصية النبي الأكرم ﷺ وسيرته	19
ضرورة العمل لتعريف أبعاد شخصيته ﷺ	21
أسلوب الرسول الأعظم ﷺ في نشر القيم والأخلاق الإسلامية في المجتمع	23
نماذج من أسلوب الرسول ﷺ لتوفير الأجواء الإسلامية في المجتمع	25
1 – إشاعة حسن الظن واجتناب سوء الظن والتحامل	26
2 – تنمية شعور المسؤولية لدى المسلمين بعضهم تجاه بعض	31
3 – الإفشاء العملي لروح التضحية وعرفان الجميل بين المسلمين	34
بعثة الرسول الأكرم ﷺ أهم أحداث التاريخ الإنساني وأكثرها تأثيراً	39
أمران مهمّان في البعثة بالنسبة إلى المسلمين في الزمن الحاضر	39
1 – البعثة.. حقيقة طبيعية وحاسمة للإنسانية	40

41	2 - اسم الرسول الأكرم ﷺ وذكره ومحبيه وإكرامه.. المحور الرئيس لوحدة كل المسلمين
43	اقتران العاطفة والإيمان في جاذبية اسم الرسول الأعظم ﷺ وذكره
45	نقطتان أساسيتان في قضية الوحدة بين المسلمين
45	1 - التغلب على الخلافات والنزاعات الناجمة عن تحريضات الأعداء
47	2 - توجيه وحدة المسلمين نحو سيادة الإسلام في المجتمع والعالم
49	الإسلام وصفة علاج لكل عصور الحياة الإنسانية
53	العودة إلى رسالة البعثة السبيل الوحيد لعلاج آلام المسلمين في العالم
55	التوحيد والعدالة.. هديتان معنويتان من الرسول الأكرم ﷺ للبشرية وكل الناس
59	أسبوع الوحدة..
59	١ - وحدة أبناء الشعب
60	2 - إتمام مكارم الأخلاق
61	3 - العدالة الاجتماعية
63	الإنسانية المعاصرة وحاجتها الماسة إلى رسائل البعثة
65	أوجه أهمية ولادة النبي الأكرم ﷺ لعصر البعثة وكل عصور التاريخ
69	مقارنة ظروف العالم اليوم بظروفه في عصر البعثة
71	حب الرسول الأكرم ﷺ محور الوحدة بين المسلمين في العالم

ظروف العالم في زمن البعثة	73
تناظر الظروف في العالم اليوم مع زمن البعثة من حيث الحاجة إلى سبيل الإسلام العقلاني المعنوي	77
بعثة النبي الأكرم ﷺ ينبوع كل الفضائل في العالم	81
معايير الاختلاف بين عصر البعثة والعصر الجاهلي	85
1 – التوحيد الخالص	85
2 – تحكيم العدل	87
3 – مكارم الأخلاق	88
4 – عدم تحديد [الأهداف والرؤى] في الحياة الدنيا	89
أهمية الوحدة وضرورة السعي الدؤوب إلى تحقيقها	91
خصوصيات أعداء الإسلام والصحة الإسلامية في العصر الراهن	93
شخصية النبي الأكرم ﷺ وتعاليمه.. محور الوحدة بين مسلمي العالم	97
بعثة النبي الأكرم ﷺ يوم ولادة أعظم المفاهيم والقيم وأشرفها	101
هدفان واضحان للبعثة	105
١ - الإيمان بالله والتوجه إليه	105
2 – تحقيق مجتمع سليم وعادل	106
ولادة رسول الإسلام ﷺ رحمة إلهية دائمة للبشر	109

111	حاجة المجتمع البشري إلى تعاليم الإسلام
113	البعثة.. نقطة انطلاق البشرية في مسيرتها التكاملية
117	كفاح الرسول ﷺ ثلاثة وعشرين عامًا لإبلاغ الرسالة الإلهية
119	دور تأسيس الحكومة الإسلامية في توفير المناخ العادل السليم
123	السير نحو تحقيق المبادئ معيار سلامة الحكومة الإسلامية واعتبارها
125	تخلّق الإنسان بالأخلاق الحسنة؛ الهدف الغائي من تأسيس الحكومة الإسلامية
129	دور الاستكبار العالمي في الوضع المؤسف للمجتمع البشري راهناً
131	تعالى حقيقة النبي الأعظم ﷺ على فهم البشر وإدراكهم
133	محبة الرسول الأعظم ﷺ النقطة الوحيدة التي لا خلاف عليها بين المسلمين
135	نقاط أساسية في معالجة أمراض راهنة يعاني منها العالم الإسلامي
139	ضرورة استخدام المسلمين لمختلف طاقاتهم من أجل تحقيق النجاح
141	ضرورة تفكير المسلمين بأهمية بعثة النبي الخاتم ﷺ
143	رسائل المبعث في القرآن الكريم
145	البشرية اليوم أحوج من أي وقت لإحياء اسم الرسول ﷺ وتعاليمه
147	ركيزتان أساسيتان في الإسلام: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة
151	وجود نبي الإسلام الكريم ﷺ هو الاسم الإلهي الأعظم
153	البعثة استجابة لاحتياجات الإنسان الشاملة اللامتناهية

157	انتفاع العلوم والحضارة البشرية من الإسلام وتعاليمه
159	وضع العالم وظروفه في زمن بعثة نبي الإسلام ﷺ
161	العوامل والعناصر المهمة في نجاح الإسلام
165	استمرار تألق الإسلام وتأثيره على مرّ التاريخ والحقبة المعاصرة
167	المقام السامي لوجود الرسول الأكرم ﷺ وشخصيته ورسالته
169	جذور وأسباب الإهانات التي يوجّهها الأعداء لساحة النبي الأكرم ﷺ المقدسة
171	مؤشرات الصحة والانبعاث الإسلامي في العصر الحاضر
173	سقوط المعسكر الشرقي نموذج لإمكانية دحر المستكبرين
175	البعثة.. فتح الطريق لخروج البشرية من كل الظلمات الفردية والاجتماعية
177	خلاصة سيرة النبي الأكرم ﷺ في الأعوام العشرة لحكومته في المدينة المنورة
179	سبع ميزات رئيسية للنظام الإسلامي الذي أسّسه الرسول الأكرم ﷺ
183	دروس عدّة من سيرة الرسول ﷺ خلال فترة حكمه في المدينة
187	الفطنة والتدبير الدقيق في الأداء السياسي للرسول الأكرم ﷺ
191	خمسة أعداء أصليين هددوا المجتمع الإسلامي في عصر النبي ﷺ
191	1 - القبائل نصف المتوحشة المحيطة بالمدينة
192	2 - الأشراف المستكبرون الحاكمون في مكة
194	3 - القبائل اليهودية الثلاث

196	4 – المنافقون
198	5 – العدو الداخلي.. الميول النفسية نحو الانحراف والضلال
205	أهمية ولادة الرسول الأكرم ﷺ وآثارها
209	العلامات الرمزية لولادة الرسول الأكرم ﷺ
211	مقارنة بين جاهلية ما قبل الإسلام والجاهلية المعاصرة
215	الصحة الإسلامية عودة المسلمين من حقبة الجهل والانحراف إلى تعاليم الرسول الحقيقية
219	إحياء ذكرى البعثة إعادة قراءة دروسها الكبرى
221	بعثة النبي الأكرم ﷺ دعوة للتوحيد كمنهج حياة للبشر
223	البعثة دعوة لكل الكمالات التي يحتاجها البشر
227	مسؤولية العلماء والمثقفين والرؤساء والنخب في إصلاح المجتمعات الإسلامية
229	شخصية الرسول الفذة.. نموذج دائم لكل العصور
231	نبي الإسلام.. معلم كل الفضائل من عدالة وإنسانية ومعرفة وأخوة ورشد وتكامل
233	شرح الواقع الراهن للمسلمين والدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية
237	مسؤولية الحكومات والنخبة المسلمين الثقافيين والدينيين حيال وحدة العالم الإسلامي
239	مميزات الأمة الإسلامية من بركات بعثة رسول الإسلام ﷺ
241	بداية الصحة الإسلامية المعاصرة.. الهجوم الشامل للاستكبار على الشعوب

وحدة المسلمين واجب عقلاني على عاتق الأمة الإسلامية	243
أسباب تذرّع الأعداء بحقوق الإنسان ومحاربة الإرهاب	247
يوم المبعث عيد البشرية كلها عبر التاريخ	251
حقائق العالم المعاصر وضرورة التنبّه لها:	253
1 - صحوة العالم الإسلامي	253
2 - إسلام التفكير والتعمّق والتحرّر الفكري.. المظهر الحقيقي للصحوة الإسلامية	254
دروس الرسول الأكرم ﷺ وواجب الجميع في مراجعتها والعمل بها	259
رسول الإسلام مجمع كل فضائل الأنبياء والأولياء	261
رسالة تسمية سنة باسم الرسول الأكرم ﷺ	265
الأهداف العليا لرسول الإسلام:	267
1 - إتمام مكارم الأخلاق	267
2 - الاستقامة والثبات	269
أهمية وضع الأمة الإسلامية بالنسبة لروح الرسول الطاهرة	273
الصحوة الإسلامية.. السبيل الوحيد لاستعادة الأمة الإسلامية عزتها	277
مميزات الرسول الأعظم ﷺ	279
لتحمّل أعباء البعثة الهائلة	

إشاعة نظرية فصل الدين عن السياسة من قبل المستكبرين المستعمرين	285
حاجة الأمة الإسلامية للحكومة الإسلامية الحقيقية	289
جذور انحطاط الأمة الإسلامية وعوامله	291
حاجة البشرية الدائمة لرسول الرحمة ﷺ ورسائله الإلهية	295
صحوة المسلمين الراهنة والانفتاح على المعارف الإسلامية	297
حاجة البشرية لرسالة البعثة، وثلاثة معالم مهمة للدعوة الإسلامية: العلم والحكمة، والتزكية والأخلاق، والعدالة والإنصاف	299
الواجب الخطير للنخبة والمسؤولين في البلدان الإسلامية	301
استذكار البعثة مراجعة لدرس خالد للأمة الإسلامية وكل البشرية	303
الأبعاد المتعددة والمتنوعة لبعثة الرسول الأكرم ﷺ	305
بعثة الرسول الأكرم ﷺ طليعة تاريخ إنساني جديد	307
العناصر المؤثرة والضامنة لنجاح رسول الإسلام ﷺ في ظروف الجاهلية والعصبية	309
ضرورة الدراسة الدقيقة لحياة الرسول الأكرم ﷺ وفهم دروسها، ومن دروسها البصيرة والصبر	315
معاني الأحداث التي اقترنت بولادة الرسول الأعظم ﷺ	317
الوحدة الإسلامية واجب المسلمين الأساسي والمهم	321
العوامل الداخلية والخارجية الناقضة لوحدة الأمة الإسلامية	323

واجبات الساسة والنخبة والمتقنين في العالم الإسلامي لمواجهة حيل الاستكبار	327
أبعاد التربية العقلانية والأخلاقية والقانونية في بعثة الرسول الأكرم ﷺ	329
1 – التربية العقلانية	329
2 – التربية الأخلاقية	332
3 – التربية القانونية	333
حاجة الأمة الإسلامية الشديدة إلى إعادة إنتاج الحقائق الإسلامية	335
بعثة النبي الأكرم ﷺ سبيل تأمين كل المطالب الفطرية كالعدالة والسلام	337
سمات الجاهلية الحديثة في العصر الراهن	341
مؤشرات الصحة الإسلامية والزوال الأكيد للاستكبار وأعداء العدالة والسلام	345
آثار الصحة الإسلامية في الحقبة المعاصرة	351
واجبات النخب السياسية والعلمية والدينية في العالم الإسلامي لاستمرار الصحة الإسلامية	355
يوم المبعث.. أهم وأعظم وأكثر أيام السنة بركة	359
العودة للإسلام السبيل الوحيد لإنقاذ البشرية والسير نحو الكمال	363
عدم جدوى مساعي الاستكبار لمواجهة الصحة الإسلامية	365
تعليم دروس الرسول الأكرم ﷺ السبيل إلى إحياء العزة الإسلامية	367
شخصية الرسول الأكرم ﷺ وخصالها	371

حول هذا الكتاب

الكتاب الذي بين يدي القارئ العزيز مختارات من كلمات سماحة قائد الثورة الإسلامية آية الله العظمى السيد علي الخامنئي حول شخصية رسول الإسلام الكريم ﷺ وخصاله وبعثته. وقد استقيت من خطابه التي ألقاها من خرداد 1368 هـ ش (أيار 1989 م) إلى شهر يور 1391 هـ ش (أيلول 2012 م) طبقاً للملاحظات أدناه:

1. من بين الآراء المذكورة حول حياة الرسول الأكرم ﷺ وشخصيته، اختيرت دروس الحياة والبعثة التي يحتاجها كل البشر والمجتمعات الإنسانية على مرّ التاريخ، خصوصاً في الفترة الراهنة.

2. الجمهور الذي خاطبه السيد القائد بهذه الكلمات هو في الغالب النخب والمتقنون والمدراء في البلدان الإسلامية.

3. أُدرجت المقاطع المختارة حسب التسلسل الزمني للخطابات.

على أمل أن تحلّ هذه الكلمات التي هي بدورها ثمرة التعاليم الخالدة لمدرسة خاتم أنبياء الله سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، والواردة على لسان أحد كبار العلماء والفقهاء الإسلاميين المعاصرين، محلاً طيباً من أرواح القراء وقلوبهم، وأن تبثّ روحاً جديدة في نهضة الصحوة الإسلامية المتوثبة، إن شاء الله.

المقدمة

يمكن عدّ المحور الأصلي لهذا الكتاب طريق سعادة البشرية عبر التاريخ، الطريق الذي خطّه خالق المخلوقات للإنسانية بخلقه، ومن ثم بعثه الإنسان الكامل والنموذج الأعلى للعبودية، وبهذا أتمّ الحجّة على البشر، وجعل الكثير من العلامات الواضحة للحظة ولادة محمد بن عبد الله ﷺ السعيدة شواهد على هذه الحقيقة.

الرسول الخاتم ﷺ الذي بشرت بظهوره ورسالاته الكتب السماوية السابقة كان حتى قبل بعثته معروفاً بالمروءة والعفة والصدق. فقد كان يعتبره الناس أميئاً، ومثل هذه الصفة في ذلك العصر الذي سُمّي بحق «عصر الجاهلية»، إنما ينمّ عن منزلته السامقة ﷺ. وحين بُعث بالرسالة قال: «بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ».

هذا الوجود الوديع الذي قدّر الله له ألا يكون تلميذ أيّ من المدارس المعروفة، وألا يتعلّم إلّا من المدرسة الإلهية بواسطة الوحي الربّاني، صار أستاذ كل البشرية، يعلمها دروس الأخلاق والكرامة والرحمة والجهاد والعزة والمقاومة والمروءة و...، وليأخذ بيد الإنسانية الراحة تحت نير الظلم والجهل والذلة إلى رحاب العلم والحكمة والتزكية والأخلاق والعدالة والإنصاف، ولتتحقق المدينة الفاضلة، لا في أفكار المفكرين وأخيلة الشعراء، بل على أرض الواقع من قبل الصالحين. ولذا كان ﷺ، وسيبقى، أستاذ كل الخصال الحميدة كالعدالة والإنسانية والمعرفة والأخوة والرشد والتكامل والتقدم البشري الدائم.

ورغم التقدّم المادي الظاهر والهائل الذي لا يقبل الإنكار للبشرية في الحقبة المعاصرة، إلا أنها للأسف لا تزال تعاني من الجاهلية بأشكال أعمق وأفجع. جاهلية حديثة ومزوّقة تستخدم أكثر الأدوات ووسائل الإعلام تطوّرًا لمسح الحقائق كلها، وإخضاع أرواح البشر وأجسامهم لاستعمارها واستعمارها واستغلالها.

ومن البديهي أنّ مثل هذه الجاهلية الحديثة هي العدو الرئيس للرسول الأعظم ﷺ ورسالته المنقذة. ولهذا اشتدت هجمات المستكبرين على شخصية خاتم المرسلين ﷺ خلال العقود الأخيرة، خصوصًا بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران – التي عملت بالوصفة المنقذة للرسول الأكرم ﷺ، ونجحت في إضاءة قبس من الأمل في قلوب المسلمين، بل وكل المستضعفين المظلومين من قبل الاستكبار والجاهلية الحديثة في العالم – وراحوا يطلقون أعمالًا ونتائج مخزية على شكل روايات وأفلام وكاريكاتيرات ضد هذه الشخصية المقدسة.

لكن التقدير الإلهي لا يزال يصدع مدويًا: { يُرِيدُونَ لِيطْفُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ ... }. وحسب السنن الإلهية، فإنّ هذه الوقاحات والهجمات آتت نتائج عكسية، وهل من شاهد على ذلك أوضح من أن شوق الناس في مختلف البلدان واندفاعهم للتعرف إلى شخصية الرسول الأكرم ﷺ الوضاءة قد ازداد تضاعفًا، والميول نحو الدين الإسلامي بين الشعوب الخاضعة للهيمنة، حتى في البلدان المستكبرة نفسها، قد اشتدت باعتراف الأعداء رغم إرادتهم؟

كل هذه الأحداث دلائل على تحقق الوعد الإلهي بأن الوصفة الكاملة لإنقاذ الإنسانية التي منّ الله تعالى بها على الإنسانية عبر بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، ستطبّق في يوم غير بعيد، وليس في منطقة واحدة من الأرض، بل في كل الأرض، وستقوم حكومة العدل الإسلامي على يد آخر المعصومين والأئمة في مدرسة الإسلام العزيز، سيدنا الإمام المهدي المنتظر ﷺ، إن شاء الله.

ومن الله التوفيق

الآثار البليغة لمعرفة أبعاد شخصية النبي الأكرم ﷺ وسيرته

كان وجود نبيّ الإسلام المكرّم ﷺ أكبر رصيد للوحدة في جميع العصور الإسلامية، ويمكنه أن يكون كذلك اليوم أيضًا. ذلك أنّ اعتقاد جميع المسلمين بهذا الوجود الأقدس الجليل ممزوج بالعواطف والحبّ. من هنا، كان عليه وآله أفضل الصلاة والسلام قطبًا ومحورًا لعواطف المسلمين كلّهم وعقائدهم. وهذه المحورية من أسباب الأُنس بين قلوب المسلمين وتقريب الفرق الإسلامية من بعضها بعضًا.

ليس بوسع أي إنسان أن يشرح أبعاد شخصية النبيّ الأكرم ﷺ بشكل كامل، أو عرض صورة لشخصية هذا الإنسان العظيم تكون حتى قريبة من الواقع. كل ما عرفناه على امتداد التاريخ حول سيد الرسل والأنبياء ومن اختاره ربّ العالمين، إنما هو ظلٌّ لذلك الوجود المعنوي الجليل. على أنّ هذا القدر من المعرفة يكفي المسلمين أولاً لضمان مسيرتهم نحو الكمال، ولكي يجعلوا قَمّة الإنسانية وذروة الكمال البشري نصب أعينهم. وثانيًا ليشجّعهم ويدفعهم نحو الوحدة الإسلامية والاجتماع حول ذلك المحور. وبالتالي، فإنّ توصيتنا لكل المسلمين في العالم هي العمل بكثرة على أبعاد شخصية الرسول الأكرم ﷺ وحياته وسيرته وأخلاقه وتعاليمه الماثورة والمنصوصة عنه.

بعد فترة القرون الوسطى في العالم الغربي والمسيحي، حيث شُنّت غارات إعلامية واسعة على شخصية الرسول الأكرم ﷺ، وأدرك أعداء الإسلام الألداء أنّ أحد أساليب العمل ضد الإسلام هو النيل من شخصية نبيّ الإسلام المكرّم ﷺ، وقد أنجزوا على هذا الصعيد الكثير من الأعمال، وإلى اليوم حيث يعمل العدو بشكل مستمر وأساليب مختلفة على تشويه شخصية الرسول الأعظم ﷺ في أذهان الأحرار في العالم. ثمة الكثيرون من الناس في العالم لو عُرض عليهم رسول

الإسلام ﷺ وعرفوه كما يعرفه المسلمون، أو حتى أقل من ذلك – أي لو لاح لهم حتى بصيص خفيف من وجهه المشرق النير وأضاء قلوبهم – لأمكن ضمان اعتقادهم وميلهم نحو الإسلام والمعنوية الإسلامية. علينا أن نعمل على هذا الجانب ونبذل من أجله الجهود.

ضرورة العمل لتعريف أبعاد شخصيته ﷺ

ربما كانت أكبر دعاية وإعلام للإسلام هو أن نوضح ونشرح شخصية رسول الإسلام ﷺ للباحثين عن الحقيقة في العالم. ومن المناسب جدًا أن يبادر المسلمون الفنانون والمطلعون المتمرسون بأساليب المختلفة الدارجة في العالم، وقبل أن يعمد الأعداء والمعارضون بأساليبهم الثقافية والفنية المعقدة لتشويه وجهه النير ﷺ في أذهان الناس غير المطلعين في العالم. أقول من المناسب أن يبادر المسلمون للعمل العلمي والثقافي والفني والإعلامي والبيان والتبليغ والشرح بخصوص تلك الشخصية العظيمة المكرمة؛ هذه أعمال ومهام ضرورية.

يجب علينا العمل في مجال تعريف شخصية الرسول الأكرم ﷺ، وشخصيته الجليلة هنا لا تعني فقط حياته، إنما المراد الأبعاد المتنوعة لهذا الإنسان الكبير نظير أخلاقه وأسلوبه في الحكم، ورعايته للناس، وعبادته وسياسته وجهاده وتعليماته الخاصة، ولا نكتفي بكتابة الكتب فقط، إنما يتحتم علينا أن نبدأ بأعمال فنية وإعلامية ذات أساليب جديدة، وباستخدام التقنيات العصرية الشائعة، وليس في الجمهورية الإسلامية وحسب، بل في كل أنحاء العالم الإسلامي¹.

المهم هو أننا باعتبارنا سائرين على طريق أولئك الشخصيات الكبيرة ومواصلين لدرهمهم – أو هذا هو على الأقل ادعائنا والناس في العالم تعرفنا بهذا الادعاء – يجب أن نحاول إيجاد الأبعاد المختلفة لتلك الشخصيات العظيمة الإلهية في وجودنا وشخصياتنا – ولو على نحو ضعيف يسير – وإحياءها. لا يكفي أن يكون المجاهدون في سبيل الله والمكافحون في سبيل سيادة الإسلام مهتمين فقط ببناء المجتمع والنظام الإسلامي – رغم أن هذا واجب أعلى وكبير، وربما كان الواجب الأهم والأكبر على عاتق الإنسان المؤمن والمسلم – ولكن إلى جانب الجهاد والكفاح من

أجل توفير النظام الإسلامي واستكمالهِ وانتصارهِ، لا بدّ من جهاد آخر، ربما أصعب، هو إيجاد تحوّل وثورة في وجودنا وقلوبنا وأرواحنا².

أسلوب الرسول الأعظم ﷺ في نشر القيم والأخلاق الإسلامية في المجتمع

النقطة التي أروم الإشارة إليها اليوم في حديثي عن حياة الرسول الأكرم ﷺ هي أن رسول الإسلام، ومن أجل تكريس القيم والأخلاق الإسلامية في المجتمع، بحيث تمتزج بأرواح الناس وعقيدتهم وحياتهم، كان يغمر أجواء الحياة بالقيم الإسلامية.

أحياناً يأمر أحد الناس أو يوصي بأن يتحلى الناس مثلاً بحسن الخلق والتجاوز والصفح والصبر والاستقامة في سبيل الله، وألاً يظلموا أحداً، بل ينشدون إقامة العدل والقسط. أي إنّ الأمر هنا عبارة عن توصية وأمر وتعليم – وهو طبعاً عملية لازمة، وكان رسول الإسلام ﷺ يمارس التعليم، { وَيُعَلِّمُهُمْ }³، ويعطي الناس دروساً في المعرفة والحياة – ولكن أحياناً تكون القضية فوق التعليم، أي إن المعلم يفعل ويسلك سلوكاً من شأنه أن يجعل هذه الأخلاق والواجبات الإسلامية ثابتة راسخة في المجتمع، ويثور على المعتقدات الخاطئة للناس، ويكافح ضد المشاعر الجاهلية، وترسبات الأخلاق غير الإسلامية، ويوقع صدمات على المجتمع والناس، ويفعل في الأوقات المناسبة وبأساليب مناسبة ما يجعل أجواء المجتمع وبيئة حياة الناس ممتزجة تماماً بتلك الصفات والأخلاق والأساليب الإيجابية.

نماذج من أسلوب الرسول ﷺ لتوفير الأجواء الإسلامية في المجتمع

إذا أراد المجتمع أن ينمو ويرشد ويتحلى بالأخلاق الإسلامية الصحيحة فهو بحاجة إلى هذا الأسلوب. ربما كان المراد من التزكية في الآيات التي وردت فيها كلمة { وَيُزَكِّيهِمْ } بعد كلمة { وَيُعَلِّمُهُم }⁴ أو قبلها، هو هذه الفكرة؛ أي تطهير الناس وتنقيتهم وتهذيبهم، كما يفعل الطبيب الذي لا يكتفي بأن يقول لمريضه: افعل كذا ولا تفعل كذا، إنما يضعه في مكان خاص ويعطيه ما يلزمه، ويغذّيه بما يجب، ويمنع عنه ما يضرّه. وقد سار رسول الإسلام الأكرم ﷺ طوال ثلاثة وعشرين عامًا من نبوّته على مثل هذا المنهج والوضع، خصوصًا في الأعوام العشرة التي كانها في المدينة، وخلال فترة حكم الإسلام وتأسيس الحكومة الإسلامية.

لقد أعددتُ أمثلةً عدّة ونماذج لأطرحها، وهي مهمة جدًا لنا حاليًا في النظام الإسلامي، وكذلك لكل واحد من أبناء الشعب، خصوصًا المسؤولين والذين يتعاملون مع جماعة من الناس، وينظر الناس إليهم ولما يقولونه ويصغون لأقوالهم. يجب علينا أن ننتبه إلى أننا إذا أردنا أن نتحرّر ونبعد أنفسنا عن ترسّبات ومخلفات أخلاق عهد الطاغوت – وهي مضرّة جدًا بالنسبة إلى رشدنا ورفعتنا – فلا سبيل أمامنا سوى أن نعمل في حياتنا بمناهج وأساليب رسول الإسلام الكريم بكل شجاعة وحسم.

أحد الأمثلة يتعلق بتوفير أجواء سليمة بعيدة عن العصبية الجاهلية في بيئة حياة الناس. تعلمون أنّ كل الشعوب على هذه الشاكلة وهذا هو وضعها، باستثناء أفراد لهم مستويات معرفية عالية، بمعنى أن الشعوب لها عصبيةاتها وأغراضها وأمراضها وأحقادها، وما شاكل من الأمور التي تسود حياتها، وتصدّ الناس عن السلوكيات الحقة العادلة، وتجعل الأجواء غير سليمة.

1 – إشاعة حسن الظن واجتناب سوء الظن والتحامل

يجب جعل هذه الأجواء سليمة، ومن أجل جعلها سليمة وإفشاء حسن الظن والتفاؤل بين الناس، كان لرسول الإسلام الأكرم ﷺ ما عدا توصياته، أساليبه التي استخدمها خصوصاً في الفترة التي كانت هذه القضية تمتاز بأهمية عالية. ذلك أن العرب الجاهليين كانوا في ما بينهم ذوي أحقاد وسوء ظن كبير وعصبية قبلية وعائلية شديدة، وكان على النبي الأكرم ﷺ أن ينتزع هذه الأشياء من قلوب المؤمنين، ويجعل أفئدتهم تجاه بعضهم بعضاً طاهرة نقية ناصعة.

ثمة رواية عن الرسول الأكرم تقول: «لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»⁵. كانوا يأتون إلى النبي الأكرم ﷺ، ويذكر بعضهم بعضاً بسوء، ويتحدثون ضد بعضهم بعضاً، وقد يكون الكلام أحياناً صحيحاً وأحياناً غير صحيح، بخلاف الواقع. فقال الرسول الأكرم ﷺ للناس: «لا يحدثني أحد بشيء حول أصحابي، أي لا تكثرُوا قول السوء عن بعضكم بعضاً عندي، فأنا أرغب حينما أظهر بين الناس وأكون في أوساطهم وبين أصحابي أن أكون سليم الصدر، أي أن أعيش بينهم بصدر نقي طاهر، ليس فيه أي سوابق وسوء ظن وذهنيات سلبية.

هذا كلام عن الرسول وأمر منه للمسلمين. لاحظوا كيف يساعد سلوك الرسول الأكرم ﷺ في أن يشعر المسلمون أن من الضروري أن يتعامل الأفراد في ما بينهم في المجتمع والمناخ الإسلامي من دون سوء ظن وسوء طويّة، وبحسن ظن وصدر سليم. في الروايات أنه حينما يكون الشر والفساد هما السائدين، شكّوا وارتابوا في كل شيء، ولكن حينما تكون السيادة في المجتمع للخير والصلاح اتركوا سوء الظن وأحسنوا الظن ببعضكم بعضاً، وتقبلوا كلام بعضهم بعضاً بعين القبول ولا تنظروا لمساوئ بعضهم بعضاً، بل شاهدوا الإيجابيات والحسنات.

كان المسلمون يأتون إلى الرسول ويتحدثون إليه ببعض الأمور همساً وبشكل سرّي لا يسمعه الآخرون، أو ما يشبه النجوى الخفية، فنزلت آية كريمة منعت الناس من التحدث همساً ونجوى في أذن الرسول، لأن ذلك يخلق حالات من سوء ظن وذهنيات سلبية بين المسلمين.

إشارة إلى إشاعة حول إحدى نساء الرسول الأكرم ﷺ

الخاطرة أو الحادثة المهمة جدّاً ضمن هذا السياق، التي راجعتها مراراً في ذهني، وراجعت آياتها في القرآن الكريم، هي حادثة الإفك. ثمة آيات عدة في سورة النور تتعلق بهذه الحادثة. وحادثة الإفك باختصار هي أنّ إحدى زوجات النبي الأكرم ﷺ تأخّرت عن القافلة في إحدى الغزوات. كان الرسول قد أخذها معه إلى ساحة الحرب، وحينما كانوا في طريق العودة لم يجدوها. ومهما كان السبب، سواء أكان النوم قد غلبها، أم ذهبت لحاجة لها. فجأة وجد المسلمون أنّ زوجة الرسول الأكرم ﷺ ليست معهم. وظهر رجل من المسلمين، وجاء بزوجة الرسول الأكرم ﷺ إلى المدينة.

وثمة اختلاف بين أهل السنة والشيعة في أيّ زوجات الرسول ﷺ كانت التي وقعت لها هذه الحادثة. يقول الشيعة في رواياتهم إنها «ماريّة القبطيّة»، وأهل السنة يقولون إنها «عائشة». وهذه المسألة نقاش تحريفي في يومنا هذا، أن نتجادل في أيّ نساء النبي كانت. ليست المسألة أساساً في أننا نريد أن نعرف أيّ نساء الرسول ﷺ إنزلت تلك الآيات القرآنية بشأن ما تعرّضت له من اتهام. القضية قضية ثانية تتضمن أمراً ودستوراً أخلاقياً واجتماعياً على جانب كبير من الأهمية.

الردّ القرآني الشديد على مروّجي الإشاعات ومستمعيها

بعد أن عادت هذه المخدّرة إلى المدينة المنورة، طفق بعض ذوي الألسن المنفلتة البذيئة، يهمسون بين الناس ويتساءلون: أين كانت هذه المرأة، ولماذا تأخّرت، ومن كان هذا الذي عاد بها؟! من دون أن يصرّحوا بشيء ويوجّهوا تهمة محدّدة، إنما بثوا بين الناس همسات وإشاعات.

ليست القضية أنّ تلك المخدّرة زوجة النبي ﷺ وينبغي احترامها، إنما القضية في القرآن شيء آخر. الآيات في سورة النور حول «الإفك»، أي الكلام الكاذب الذي أشاعه المنافقون وسيّئو الطويّة والأشخاص غير النزيبين في المجتمع. وتبدي الآيات القرآنية الكريمة أشدّ الحساسية، وثمة

عدد من الآيات المتلاحقة تخاطب المسلمين بلهجة شديدة، وتقول لهم: لماذا حين سمعتم هذه الشائعة لم تواجهوا قائلها بشدة – وهذا ما يُستفاد من الآيات الكريمة – ولماذا لم تنكروا هذه الإشاعة بكل حسم؟

في هذه الآيات هناك جملتان تبدآن بتعبير { لَوْلَا } . والعارفون بالأدب العربي يعلمون أنَّ «لولا» التحذيرية تُستخدم عندما يريد المرء أن يقول لمخاطبه بكل شدة وتوبيخ: لماذا لم تفعل كذا؟، { لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ }⁶. أنتم أيها المسلمون (المؤمنون والمؤمنات) لماذا عندما سمعتم هذه الشائعة لم تحسنوا الظن ببعضكم بعضًا، ولم تقولوا بكل حسم إن هذا كذب؟ ويقول في موضع آخر: { وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ }⁷. حينما سمعتم هذه الإشاعة لماذا لم تقولوا إنّه ليس من حقنا أن نكررها، فهي بهتان عظيم؟

ثم يقول في آخر الآيات: { يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }⁸؛ أي إن الله تعالى يعظكم وينصحكم بالألا تحوموا أبدًا حول مثل هذه الإشاعات، وألا تقع للمجتمع الإسلامي مثل هذه الحادثة بعد اليوم، إن كنتم مؤمنين، أي إن هذا هو شرط الإيمان.

جزاء التهمة في الفقه الإسلامي

كما أشرت، ليست القضية أنَّ هذه المرأة زوجة النبي الأكرم ﷺ. حتى لو لم تكن زوجة الرسول، لكان هذا العتاب والخطاب والتكليف نفسه على المؤمنين. لذا نجد في الإسلام أنه لو اتهم شخص شخصًا آخر ببعض التهم الخاصة، ولم يستطع إثباتها بأربعة شهود عدول، فإنَّ المتهَم نفسه سيُدان ويجري عليه الحدّ. ليس من حقكم إطلاق كلام هكذا على عواهنه في الهواء، فتشوبون الأذهان وتقلقون القلوب وتؤذونها، وإذا استطعتم أن تثبتوه أثبتموه، وإن لم تستطيعوا إثباته فستذهبون إلى سبيل حالكم! لا، إذا لم تستطيعوا إثبات بعض التهم التي يستحق المجرم فيها الحدّ، فإنكم سوف تعاقبون بسبب توجيهكم التهمة، ويجري عليكم الحدّ.

أعتقد أنَّ هذا حدث عظيم في تاريخ الإسلام وعصر الرسول الأكرم ﷺ، حصل من خلاله استئصال جذور بث الإشاعات حول القضايا الشخصية للأفراد في البيئة الإسلامية، وهي إشاعات تسبب حالات من سوء الظن وعدم الثقة بين بعضهم بعضًا، وتجعل الأجواء الاجتماعية غير

سليمة. هكذا هو الإسلام. إذًا، من ممارسات الرسول الأكرم ﷺ أن يجعل أجواء المجتمع أجواء عاطفية زاخرة بالمحبة والعطف والرحمة، حتى يتحابب كل الناس فيها تجاه بعضهم بعضًا، وينظر بعضهم إلى بعضهم الآخر بعين حسن الظن والثقة، وهذا هو واجبنا اليوم أيضًا.

وحالة أو نموذج آخر من مساعي الرسول الكريم ﷺ لصناعة أجواء طيبة هو أنه ينزع من قلوب الناس العداوات والأحقاد. في الحالة السابقة، كان الأمر يتعلق بإيجاد حسن الظن والأجواء السليمة، ولكنّ الحالة هنا فوق تلك؛ أي إن المسلمين في المجتمع الإسلامي يجب ألا يكونوا غير آبهين ولا مباليين بعضهم تجاه بعض. ليس من المقبول والمستحسن في الإسلام ألا يكون للمسلمين شأنٌ ببعضهم بعضًا، ويكون لكل واحد منهم عالمه الخاص المنفصل، ولا تربطه أي مسائل بباقي المسلمين. وقد كان أحد فصول حياة الرسول الأكرم ﷺ

تبديل مناخ عدم الاكتراث واللامبالاة هذه إلى أجواء محبة وتعاون وأخوة، وخلق منظومة من التعاون في ما بين المسلمين. وهذا ما نحتاج إليه اليوم في نظامنا.

2 – تنمية شعور المسؤولية لدى المسلمين بعضهم تجاه بعض

يجب أن يكون للمسلمين بين بعضهم بعضًا علاقاتهم الودّية المخلصة بعيدًا عن أي لا مبالاة. لا يكون الأمر بحيث لو علمتم أنّ مسلمًا يعاني من حدث معين تمرّون به مرّ الكرام. لا، التعاون والتعاطف والإخلاص والمحبة المتبادلة بين المسلمين من الأمور الكبيرة التي قام بها الرسول الأكرم ﷺ. لم يكن عليه وآله الصلاة والسلام في حدود وجوده وإمكانياته يسمح بأن يحمل المسلمون في المجتمع الإسلامي البغضاء والأحقاد والعداوة ضد أحد، حتى لو كانت حالة واحدة؛ أي إن الرسول الأكرم ﷺ بحكمته وحلمه يوجد بحق بيئة طيبة سليمة مليئة بالمحبة.

يُروى أنّ أعرابيًا بدويًا – لم يكن على معرفة بالتحضر والتمدّن وآداب المعاشرة والأخلاق الدارجة في الحياة – جاء بخشونته وشدّته الصراوية إلى المدينة، والتقى بالرسول الأعظم ﷺ. وكان الرسول بين أصحابه في المسجد أو في أحد الطرق. وطلب شيئًا من الرسول فساعدته، وربما أعطاه مالا أو طعامًا أو ثيابًا. وبعد أن وهبه هذه الأشياء سأله: «هل هذا حسن؟ وهل بررت بك؟ وهل أنت راضٍ الآن؟»، فقال له الرجل بسبب عنفه البدوي وصراحته وعدم مجاملاته، ولأن مساعدة الرسول بدت في عينه قليلة، قال: «لا، فأنت لم تفعل شيئًا ولم تصنع لي أي جميل، ولم يكن هذا أصلًا شيئًا أعطيته لي!».

وبالطبع، فإن مثل هذا التعامل العنيف مع الرسول ﷺ يبعث في قلوب أصحابه شعورًا سيئًا جدًّا وثقيلًا. فغضب الجميع، وأراد بعض الأشخاص المحيطين بالرسول أن يردّوا على هذا الأعرابي بغضب وشدة، لكنّ الرسول الكريم ﷺ قال لهم: «لا، لا شأن لكم به، وأنا سأعالج الأمر معه». وخرج من بين أصحابه، وأخذ هذا الأعرابي معه إلى بيته. ويتضح أنّ النبي العظيم لم يكن لديه هناك شيء وإلا لأعطاه أكثر. فأخذه إلى بيته وأعطاه هناك المزيد من الطعام مثلًا أو

الثياب أو المال. ثم قال له: «هل رضيت الآن؟»، فقال الرجل: «نعم». وخجل من إحسان الرسول وحلمه، وأبدى رضاه.

فقال له الرسول الأكرم ﷺ: «قبل هنيهة قلت لي أمام أصحابي كلامًا جعلهم يسخطون عليك، فهل تحب أن نذهب الآن إليهم وتبدي أمامهم ما أبديته الآن من رضا وطيب خاطر؟»، فقال الرجل: «نعم». فأخذ الرسول الأكرم ﷺ في المساء أو اليوم التالي إلى أصحابه وقال: «أخونا الأعرابي هذا يظن أنه راضٍ عنا، فإن كنت راضيًا عنا قل ذلك». فأنبرى الرجل يمدح الرسول ﷺ وقال: «نعم، أنا مسرور وراضٍ وأشكر الرسول الأكرم – أو قال شيئًا من هذا القبيل – لأنه أبدى لي الودّ». قال الرجل هذا وانصرف.

وبعد أن غادر الرجل قال الرسول الأكرم ﷺ لأصحابه: «إن مثل هذا الأعرابي كمثل ناقة نفرت من قطيعها وراعيها وهامت على وجهها في الصحراء، وأنتم أصحابي من أجل أن تمسكوا بهذه الناقة وتعيدوها تهجمون عليها وتطاردونها من كل صوب. وفعلكم هذا يزيد من نفورها وخوفها، ويصعب الإمساك بها، فلم أترككم تنفروها أكثر مما نفرت. تعاملت معه بالمحبة والمدارة وأعدته إلى جماعتنا». هذا هو أسلوب الرسول الأعظم ﷺ.

لا يريد الرسول الأكرم أن تكون هناك أدنى أحقاد وعداوات بين المسلمين في بيئة الحياة الاجتماعية. كان يسعى دومًا إلى إفشاء المحبة والحميمية بين الناس. حتى عندما اتسعت دائرة الإسلام وفتح صلوات الله وسلامه عليه وآله مكة عفا عن أهالي تلك المدينة. وقد كان أهل مكة هم من طردوا الرسول ﷺ منها، وتجرع الرسول منهم طوال ثلاثة عشر عامًا الأمرين والمحن العظام. ثم كان له معهم حروب عدة، قُتل فيها الكثيرون من المسلمين، وقُتل المسلمون في المقابل بعض أهل مكة. ولو تقرّر أن يستضيفوا جيش رسول الله ﷺ الفاتح بهذه الطريقة لما كان بالإمكان تكريس الصلح والوئام معهم لسنين طوال. لذا، بمجرد أن دخل الرسول الأكرم ﷺ

مكة أعلن إعلانًا عامًا فقال: «أنتم الطلقاء»⁹؛ أي إنكم جميعًا أحرارٌ وقد عفوت عنكم. عفا الرسول الكريم ﷺ عن قريش وانتهى الأمر.

عهد التآخي الذي أقامه الرسول الأكرم ﷺ بين المسلمين من الأعمال التي قام بها الرسول العظيم ﷺ في الشهور الأولى لدخوله إلى المدينة المنورة إعلان الأخوة بين المسلمين؛ أي إنه

آخى بين المسلمين، أن نقول إننا إخوة في الإسلام فليس هذا من باب المجاملات، وإن المسلمين لهم على بعضهم بعضًا حقوق الأخوة فعلاً. كما أن الإخوة لهم على بعضهم بعضًا حقوق، ويجب أن يؤدوا حقوقهم المتقابلة تجاه بعضهم بعضًا، آخى الرسول الأعظم ﷺ بين المسلمين وطبق هذه الأخوة عملياً.

آخى ﷺ بين المسلمين اثنين اثنين، ولم يراع في هذا الطبقات والعوائل والأشراف من المدينة وقريش. آخى بين عبد أسود وشخصية كبرى، وبين طليق وأحد الأشراف المعروفين من بني هاشم أو قريش. على كل حال، كانت لهذه المؤاخاة أبعاد مختلفة، من أهمها أن المسلمين شعروا تجاه بعضهم بعضًا بالأخوة.

3 – الإفشاء العملي لروح التضحية و عرفان الجميل بين المسلمين

وأسوق مثلاً آخر لنرى كيف أنّ الرسول الأعظم ﷺ غمر مناخ المجتمع بالقيم الإسلامية. المهم في الإسلام – بغضّ النظر عن المعتقدات والأذواق السياسية والخطوط والتيارات والارتباطات وباقي الأمور – روح الوفاء و عرفان الجميل، وشكر الجهود والخدمات التي يقوم بها الأفراد. فهذه الأمور مؤثرة جداً في سلامة المجتمع، وقد شدّد عليها الرسول الأكرم ﷺ عملياً كل تشديد. لم يكتفِ الرسول باللسان والقول والتوصية أن يعرف الناس لبعضهم بعضاً الجميل، إنما أشاع عملياً هذه الأجواء في المجتمع.

وجدتُ في الحديث أنّ وفداً أرسله النجاشي – ملك الحبشة – جاء للرسول ﷺ في المدينة، ومن المفترض أنه كان يحمل رسالة للرسول، كما هو المتعارف بين الدول. كان النجاشي ملكاً في الحبشة، وكان كالكثيرين من السلاطين والأمراء في العالم آنذاك مسيحياً وليس مسلماً. ولكن حين جاء وفد النجاشي من الحبشة، قام الرسول ﷺ بنفسه من مكانه وراح يضيّف ذلك الوفد. فقال له أصحابه: «يا رسول الله نحن نكفيك فاسمح لنا أن نضيّقهم نحن». فقال: «لا، يوم هاجر المسلمون إلى الحبشة احترّم ملكها المسلمين وكرّمهم، وأريد أن أقبله بالمثل». هذا هو عرفان الجميل.

لذلك تلاحظون أنّ الرسول الأكرم ﷺ في حياته، رغم ما كان له من الحروب مع كفار قريش، وقد كانت له بعض الحروب مع إمبراطورية الروم الشرقية – التي كانت تسيطر آنذاك على منطقة الشام وفلسطين – وقد كان للمسلمين حروب في اليرموك وموتة وتبوك، وكان هناك جهاد وفتوحات في تلك الأنحاء، إلا أنه لم يبعث أي جيوش إلى الحبشة وتلك الأنحاء.

لم يكن الأمر أن يحارب النبيّ أي ملك لا يتقبّل الإيمان الإسلامي، لا، كان هناك عرفان جميل وشكر مودّة للنجاشي في عهد الحكومة الإسلامية، وحينما كان الرسول الأكرم قائد النظام

الإسلامي. والأمثلة من هذا القبيل كثيرة في حياة الرسول الأعظم ﷺ، ولو أردنا ذكرها جميعًا لطل بنا المقام.

أذكر مثالًا آخر: في فترة الحكم الإسلامي جاءت امرأة للقاء الرسول الأكرم ﷺ في المدينة المنورة. ورأى الأصحاب أنّ رسول الله ﷺ يكرّم هذه المرأة تكريمًا كبيرًا، ويسألها عن حالها وحال أسرتها، ويتعامل معها بمنتهى المحبة. وبعد أن غادرت المرأة، قال الرسول ليرفع استغراب أصحابه: «إن هذه المرأة كانت تتردد على بيتنا في زمن خديجة» (زمن القمع والشدة في مكة). يبدو أنه في الوقت الذي حاصر فيه الجميع أصحاب الرسول فلم يكن بإمكانهم زيارة السيدة خديجة (سلام الله عليها) زوجة الرسول الأعظم، كانت هذه المرأة تتردد على خديجة. ولم تذكر الرواية أن هذه المرأة قد أسلمت. لا، فمن المحتمل أن هذه المرأة لم تكن قد أسلمت في ذلك الحين، ولكن لمجرد أنه كان لها في الماضي مثل هذه الميزة وأبدت تجاه خديجة محبة فقد عرف الرسول الأكرم ﷺ لها هذا الجميل بعد ذلك بسنوات.

ونموذج آخر هو توفير أجواء العمل والسعي والكّد في المجتمع، حيث لم يكتفِ الرسول الأكرم ﷺ بالأمر بأن يسعى الناس ويجدّوا، إنما كان يُحيي روح العمل والجّد لدى الناس بأساليب مختلفة، وأحيانًا حينما كان يشاهد شابًا عاطلًا عن العمل يقول: «إنّ الله لا يحبّ الشاب الفارغ».

وفي رواية أنّ رسول الله ﷺ عندما كان يرى شابًا تعجبه سلامته وقوته وشبابه، كان يسأله سؤالين: هل أنت متزوج وهل تعمل أم لا؟ وإذا أجاب الشاب بأنني لم أتزوج ولا أعمل، كان الرسول يقول: «سقط من عيني». بهذه الأساليب كان ينبّه الناس لأهمية العمل والجّد والسعي.

ذات مرة جاء نفر من الناس إلى الرسول الأكرم ﷺ، ومدحوا شخصًا فقالوا: «يا رسول الله، لقد كنا مع هذا الرجل في سفر ووجدناه صالحًا جدًّا وطاهرًا وذاكرًا لله، يعبد الله دومًا، وأين ما نزلنا ينشغل بالصلاة والذكر والقرآن وما شاكل، من لحظة نزولنا إلى حين مسيرنا مرة أخرى». وحين مدحوه بهذا المديح سألهم الرسول الأكرم ﷺ مستغربًا: «إدّا، من كان يقوم بأعماله وشؤونه؟ والذي ينشغل دومًا بالصلاة والقرآن فمن يطبخ له طعامه؟ ومن يُنزل أحماله ويرفعها؟ ومن يقوم بأعماله وينجز شؤونه؟». فقالوا: «يا رسول الله، إننا كنّا نقوم له بكل أعماله بكل رغبة وحبّ». فقال الرسول الكريم: «كلكم خير منه»¹⁰، أفلا يقوم الرجل بأعماله ويُلقِيها على عاتق الآخرين

ويشتغل بالعبادة فهذا لا يجعل منه رجلاً صالحاً. الرجال الصالحون هم أنتم الذين تعملون وتجدّون، بل تأخذون على عاتقكم مهام الآخرين وأعمالهم».

كان الرسول الأكرم ﷺ بهذه الأساليب يغمر أجواء الحياة الاجتماعية الإسلامية بحبّ العمل والجِدِّ والسعي. وكل هذه الأمور التي طرحتها هي اليوم مما نحتاجه¹¹.

بعثة الرسول الأكرم ﷺ أهم أحداث التاريخ الإنساني وأكثرها تأثيراً

مسألة البعثة، وظهور هذا الحدث الإلهي، أهم مسألة وقعت للبشرية على امتداد عمرها الطويل. لم تكن هناك حادثة مؤثرة في مصير الإنسان وتاريخ البشرية بقدر هذه الحادثة، وما من لطف من قبل الله تعالى أنزله على البشر بعظمة هذا اللطف والفضل. إننا نفخر لأننا نؤمن من أعماقنا بهذه البعثة العظيمة، وقد عرفنا طريق السعادة هذا. هذه بحدّ ذاتها نعمة إلهية عظيمة، ومن واجب كل مسلم تحقيق البعثة النبوية في حياته الشخصية ودنياه، والإيمان والعمل والحركة نحو الأهداف الكامنة في بعثة النبي الأكرم ﷺ ليصل إلى جنّة السعادة الإلهية والمعنوية. طبعاً، نحن لا نستطيع أن نقول شيئاً في معنى البعثة وحقيقتها، فهذه الحقيقة فوق أذهاننا وخارج متناول عقولنا القاصرة.

أمران مهمّان في البعثة بالنسبة إلى المسلمين في الزمن الحاضر

المطروح بالنسبة إلى مسلمي العالم حاليًا في خصوص البعثة هو أمران:

الأمر الأول هو أنّ هذه البعثة والينبوع لا يزال متدفقًا، وأن هذا الفضل والبركة الإلهية مستمران على البشرية طوال التاريخ، كما وعد الله تعالى مرارًا في القرآن الكريم، فإن ظهور هذه الحقيقة هو من أجل سيادتها على حياة البشرية وتلوين الحياة بلونها. وهذه حقيقة سوف تتحقق: {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} ¹².

1 - البعثة.. حقيقة طبيعية وحاسمة للإنسانية

قضية البعثة حقيقة طبيعية في هذا العالم، وحالة حتمية قطعية للبشرية. العدل والحق اللذان أطلقا في العالم ببعثة الأنبياء عليهم السلام لم يكونا من أجل أن يؤمن به جماعة من الناس لبرهنة معينة من الزمن، ثم لا يؤمن به شطر كبير من البشر طوال فترات تاريخية طويلة. إنما أطلق لبناء العالم والإنسان حسب مقترحاته، ولأجل الأخذ بيد البشرية وكل الوجود - تبعًا للبشرية - إلى طريق الكمال، وهذا ما سوف يحصل، وإذا لم يحصل فهو نقض للغرض.

وبالطبع، فإنّ المسيرة نحو هذا الهدف مسيرة تحصل حسب شروطها وعللها وعواملها المناسبة لها. ونحن نسير نحو هذه الحقيقة، وكل خطوة تقطعها البشرية - شاءت ذلك أم أبت، وعلمت بذلك أم لم تعلم - تقترب فيها من حقيقة البعثة.

المطروح في العالم اليوم هو البعثة الإلهية، مع أنه لا يوجد عمل خلف تلك الشعارات. ومثال ذلك شعارات العدالة الاجتماعية والحرية والتحرر والعلم والمعرفة والتقدم والرفق والسمو ورفع مستوى الحياة، وسائر الشعارات التي ترفعها الحكومات والشعوب وأصحاب الفكر

والمدارس والمذاهب المتنوعة. وجود هذه الشعارات نفسها في الدنيا إنما كان بفضل بعثة الأنبياء وبعثة خاتمهم وآخرهم، وهذه الشعارات متوافرة للناس بشكل ناقص طبعاً، ويسير بعضهم نحو تحقيقها.

إننا وكل البشرية اليوم نسير نحو التدين بمفاهيم هذه البعثة وقيمها. ونحن في الجمهورية الإسلامية نفخر بأننا من البشر والشعوب التي حققت وطبقت في حياتها شعارات الدين والعمل بالقرآن الكريم، ونسير نحو تحقيقها وتطبيقها بصورة كاملة. إننا نفخر بأننا عرفنا هذه الحقيقة ورأيناها وعشقناها، وبدأنا المسيرة نحوها، وتقدمنا على هذا السبيل إلى حد كبير. العالم كله والبشرية كلها يجب أن تسير في هذا الطريق وسوف تسير فيه.

2 - اسم الرسول الأكرم ﷺ وذكره ومحبة وإكرامه.. المحور الرئيس لوحدة كل المسلمين

الأمر الثاني يتعلق بشخص الرسول الأكرم ﷺ. اسم هذا الإنسان العظيم، وذكره، ومحبة، واحترامه وتكريمه محور أصلي لاجتماع كل المسلمين في كل العصور الإسلامية. ما من محور آخر في كل الدين يحظى هكذا، ومن كل النواحي - من النواحي العقلية والعاطفية والروحية والمعنوية والأخلاقية - بقبول واتفق وتفاهم كل الفرق الإسلامية وجميع المسلمين. هذه هي النقطة أو المحور المركزي.

القرآن الكريم والكعبة والفرائض والعقائد كلها مشتركة، لكن كل واحدة منها تجتذب إليها بعداً من شخصية الإنسان كالعقائد والمحبة والميول الروحية وحالات التقليد والتشبه والتخلق العملي. ثم إن معظم هذه الأمور التي ذكرت تتفاعل بين المسلمين على أساس تفاسير وتصورات متعددة، لكن ما يُجمع عليه كل المسلمين من الناحية الفكرية والعقيدية - وأهم من ذلك الناحية العاطفية والشعورية - ويتوحدون حوله ويتفاهمون هو الكيان المقدس للرسول الخاتم والنبى الأكرم سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ. ينبغي النظر لهذا المحور على أنه عظيم كبير. وينبغي زيادة هذه المحبة يوماً بعد يوم، ويجب تشديد وتعميق هذه الميول المعنوية والروحية نحو هذا الكيان المقدس في أذهان المسلمين وكل الناس باستمرار.

تلاحظون في المؤامرات والهجمات الثقافية على الإسلام أنّ من الجوانب المستهدفة من الأعداء هو الكيان المقدس والجليل للرسول الأكرم ﷺ، الذي تعرّض للهجوم في كتاب «آيات شيطانية»، ما دلّ على المواطن التي تستهدفها مؤامرات الأعداء من منظومة المعتقدات والعواطف لدى الأمة الإسلامية.¹³

اقتران العاطفة والإيمان في جاذبية اسم الرسول الأعظم ﷺ وذكره

الاسم المقدس للرسول الأكرم ﷺ من أكثر الظواهر الإسلامية جاذبية لدى كل المسلمين في العالم، إذ إنّ القضية هنا هي قضية العاطفة والإيمان معًا. لذا فإنّ قوّة فاعلية هذه الذكرى وهذا الاسم بالنسبة إلى المسلمين أعظم من كثير من الظواهر الإسلامية الأخرى المعتمدة على الإيمان وحده، التي لا دور للعواطف فيها. من هنا، قال بعض المفكرين الكبار في العالم الإسلامي في العصور السابقة إنّ الاسم المقدس لهذا الإنسان العظيم والإيمان به وذكره يمكنها أن تكون محورًا لوحدة المسلمين واتحادهم عمليًا. وهذا كلام صحيح. ولحسن الحظ فإنّ هذه المراسم اقترنت هذه السنة بالإعلان الرسمي عن تأسيس «مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية»، حيث عقد إخواننا همهم وبدؤوا هذا العمل، ويجب أن يسير إن شاء الله باتجاه الأهداف الإسلامية العليا.

نقطتان أساسيتان في قضية الوحدة بين المسلمين

ثمة نقطتان أو توجّهان أساسيان في قضية الوحدة، لكلّ منهما بمفرده أهمية بالغة. حينما نرفع شعار الوحدة ينبغي أن نتنبّه لهاتين النقطتين الأساسيتين، وهذا هو المفيد لحياة المسلمين العملية:

1 - التغلب على الخلافات والنزاعات الناجمة عن تحريضات الأعداء

إحدى هاتين النقطتين هي رفع الاختلافات والتناقضات والاشتباكات والتعارضات والمماحكات التي كانت منذ قرون وإلى اليوم بين طوائف المسلمين وفرقهم، وقد كانت دوماً سبب ضرر المسلمين. لو راجعنا تاريخ الإسلام لوجدنا أن مصدر كل هذه التعارضات والتناقضات أو معظمها هو الأجهزة المادية الحاكمة. لاحظوا تاريخ الإسلام، وسترون أنه منذ الاختلافات الأولى نظير مسألة خلق القرآن إلى باقي الاختلافات التي ظهرت على مرّ الزمن بين الفرق الإسلامية، خصوصاً بين الشيعة والسنة في الكثير من الفترات التاريخية، كانت أزمة الكثير من هذه الاختلافات بيد القوى المتسلطة.

طبعاً كانت هناك تأثيرات للجهل العام والعصبية غير المستندة إلى منطق، وإثارة المشاعر بين الطرفين. لكن هذه هي مجرى أرضية مسبقة، ولا تخلق أيّاً من الأحداث الدامية الكبرى التي نقرؤها في التاريخ. مردّ تلك الأحداث الكبرى لأجهزة أرباب السلطة التي تنشده مصالحها في هذه الاختلافات. وحينما دخل الاستعمار البلدان الإسلامية بشكل مباشر في بعض البلدان، وبشكل غير مباشر في بلدان أخرى، تبيّن بوضوح أنه يرنو إلى إثارة هذه الخلافات.

سلوك بعض الشخصيات الأوروبية المعروفة، سواء السياسية أو الثقافية، فيه الكثير من العبر. حين كانوا يذهبون إلى مصر كانوا يتحدثون بطريقة معينة، وحين يقصدون الباب العالي في الدولة العثمانية يتحدثون بطريقة معينة، وعندما يأتون إلى إيران الشيعية يتحدثون بطريقة أخرى. هدفهم إفساد نظام الوحدة الذي كان الاستعمار الأوروبي وزعماء الحضارة الصناعية يخافونه، وكانوا على حق في خوفهم هذا. وقد فعلوا فعلهم وأوجدوا اختلافات عميقة وعجيبة بين المسلمين.

الوحدة التي نعلنها ونرفع شعارها ونتوق إليها ونتابعها ونعمل من أجلها نقطتها الأولى يجب أن تتركز على رفع هذه التعارضات والتناقضات والخلافات والاشتباكات، وهذا ما يرضاه الله تعالى والمؤمنون المخلصون والأولياء والعقلاء. يجب التمهيد لمقدمات هذه العملية وأرضياتها. ثمة اختلافات عقيدية بين المسلمين، فلتكن. وثمة تنوّعات قومية فيهم، فلتكن. هناك تغاير عرقي بينهم، فليكن. يجب ألا يدعوا كل هذا إلى التنافس والتعارض والاشتباكات والجدال بين المسلمين. يجب على الجميع أن يعملوا بإخلاص، وعلى العلماء الكبار والمفكرين والمستنيرين والكتّاب والشعراء والفنانين أن يعتبروا هذا الأمر من واجبهم حقاً. الآية القرآنية الشريفة: { وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا }،¹⁴ وآيات قرآنية أخرى إنما نخاطبنا وكل المسلمين مقابل أعداء الإسلام، لنعمل بهذه الآيات.

2 – توجيه وحدة المسلمين نحو سيادة الإسلام في المجتمع والعالم

النقطة الثانية هي أنّ هذه الوحدة يجب أن تصبّ في خدمة وصالح سيادة الإسلام، وإلا كانت عبثية وبلا معنى. إذا كان علماء الإسلام يؤمنون بأن القرآن الكريم قال: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ }¹⁵، وأنّ الرسول الأكرم ﷺ لم يبعث لمجرد أن ينصح ويتكلم ويعمل الناس بما بدا لهم، وما عليهم إلا تقديم الاحترام له، إنما جاء ليطاع، ويوجّه المجتمع والحياة، ويشكل نظامًا ويقود البشر نحو أهداف الحياة الصحيحة، وإذا كان علماء المسلمين يؤمنون أن القرآن الكريم يقول: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ }¹⁶، وأن إقامة القسط والعدل ورفع الظلم وتوفير حياة سليمة للبشر هو هدف الأديان، إذًا، يجب أن تكون المسيرة نحو سيادة الإسلام في البلدان والمجتمعات الإسلامية، وهذا أمر ممكن¹⁷.

الإسلام وصفة علاج لكل عصور الحياة الإنسانية

حدث البعثة العظيم، على الرغم من مرور قرون متوالية وآراء المفكرين والعلماء في العالم عنه، لا يزال جديرًا بكل تدقيق وتأمل من جوانب مختلفة. بعثة النبي الأكرم ﷺ حركة هائلة في تاريخ البشرية، وعلى سبيل إنقاذ البشر وتهذيب النفوس والأرواح والأخلاق، ومواجهة المشكلات والمصائب التي واجهتها الإنسانية في كل أطوارها وأحقابها، ولا تزال تواجهها. كل الأديان عارضت الشرور والفساد، ورسمت الصراط المستقيم نحو الأهداف العليا، لكن الدين الإسلامي المقدس يمتاز بأنه وصفة دائمة وفاعلة لكل عصور الحياة الإنسانية.

حين نقرأ في القرآن الكريم: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ }¹⁸، فليس معنى هذا أنه بنزول الدين الخاتم وبعثة النبي الخاتم سوف تنزكي كل النفوس الإنسانية، أو أنها تزكّت فعلاً، وليس بمعنى أن البشرية من بعد بزوغ شمس القرآن الكريم لن ترى أثراً للظلم والتمييز والشقاء والاختلالات في مسيرتها نحو التكامل. لو قلنا إن الرسول الأكرم ﷺ والدين الإسلامي كانا من أجل تكريس العدل وإنقاذ المستضعفين وتحطيم الأصنام الحيّة وغير الحيّة، فليس معنى ذلك أن الظلم سيرتفع بعد طلوع هذه الشمس الوضّاءة، وأنه لن يكون هناك طواغيت وأصنام يحكمون ويتسلطون على رقاب الناس. والواقع يدلّ أنه بعد طلوع الإسلام ظهر في أقطار العالم وحتى في البيئة الإسلامية، طبعاً بعد مضي عقود من الزمن، طواغيت مارسوا الظلم ضد البشرية، واستمرت المعاناة التي كابدها البشرية على طول تاريخها.

إخفاقات البشر ثمرة عدم العمل بوصفة الإسلام والرسول الأعظم ﷺ.

إذًا، المراد من أنّ غاية البعثة وهدفها هو إنقاذ الإنسان معنى آخر. معناه أنّ ما منحه الرسول الأكرم ﷺ والإسلام للناس هو وصفة شافية لكل العصور والأحقاب. وصفة مضادة لجهل البشر، وتكريس الظلم، والتمييز، وانسحاق الضعفاء تحت أقدام الأقوياء، ولكل أوجاع البشرية منذ بدء الخلقة. وهي كباقي الصفات إذا تمّ العمل بها فسوف تؤتي ثمارها ونتائجها، وإذا تركت أو أسيء فهمها، أو لم تتوافر الجرأة على العمل بها، فستكون كالعدم ولن تؤثر شيئًا. أفضل الأطباء إذا كتبوا لكم أصحّ الوصفات، ولم تستطيعوا أن تقرؤوها أو أسأتم قراءتها، أو لم تعملوا بها وبقيت تاليًا مهجورة، فلن يكون لها أي تأثير على المريض، ولن يكون هناك أي عيب أو ملامة على ذلك الطبيب الحاذق.

مضت قرون ونسي المسلمون القرآن الكريم، ومُحيت الخطوط القرآنية الواضحة للحياة، أو أسيء فهمها أو حُرّفت عن عمد، أو أنّ الناس فهموها لكنهم لم يتحلّوا بالجرأة والشجاعة للعمل بها، أو أنّهم عملوا بها وكانت بعض النتائج، لكنهم لم يضحّوا في سبيل الدفاع عن تلك النتائج وصيانتها. حتى في صدر الإسلام، لو أنّهم لم يفهموا كلام الرسول ﷺ أو لم يتجرّؤوا على العمل به، وقد أشار القرآن الكريم إلى أمثال هؤلاء الناس: { يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِلَّا يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا }¹⁹، أو لم يضحّوا من أجل حماية وصيانة النتائج المكتسبة، فإنّ تلك النتائج ما كانت لتحصل، أو ما كانت لتبقى.

العودة إلى رسالة البعثة السبيل الوحيد لعلاج آلام المسلمين في العالم

معظم البلايا التي سادت حياة الناس في شبه الجزيرة العربية آنذاك بسبب الجهالة والعصبية، تسود حياة الشعوب المسلمة في العصر الراهن. في البلدان الإسلامية ثمة فقر وأمّية وتخلف علمي واستبداد داخلي وهيمنة القوى الاستكبارية واختلافات داخلية. يعيش في العالم اليوم أكثر من مليار مسلم بوسعهم أن يكون لهم رأي وكلمة واحدة حاسمة في الأحداث العالمية المهمة، ولكنّ هذا التشتت والمشكلات الداخلية والمعاناة الكبيرة تركت هذا الكمّ الهائل الذي يوجد فيه علماء وشخصيات ممتازة، تركته غير فاعل وليست فيه فائدة! لماذا؟ هل هناك شيء يمكنه معالجة هذه الأوجاع؟ الإسلام [والإيمان] ببعثة النبي الأكرم ﷺ.

على الشعوب الإسلامية أن تعود إلى الإسلام، والأبواب مفتوحة طبعًا. القرن الماضي، أي القرن الرابع عشر للهجرة، كان قرن النداءات والهتافات الإسلامية. منذ بدايات القرن، حيث أصدر الميرزا الشيرازي، مرجع التقليد الإسلامي الكبير، فتواه الحاسمة ضد الشركة الإنجليزية وأثار شعبًا بكامله، إلى حادثة الثورة الدستورية في إيران، إلى الحركات الإسلامية في الهند، إلى الصحوة الإسلامية في غرب العالم الإسلامي في الشرق الأوسط، ومنطقة شمال أفريقيا، والشخصيات الكبيرة التي تحدثت ونادت، والسيد جمال الدين وآخرين وآخرين. كان ذلك القرن تقريبًا قرن النداءات والكفاح، أما القرن الذي تلاه فهو قرن التجربة وهو الذي نحن فيه الآن. القرن الرابع عشر للهجرة كان قرن النداءات والصحوة والإعلام، وهذا القرن الخامس عشر كان منذ مطلعته قرن التجارب والعمل.

نرى أنّ الشعوب الإسلامية اكتسبت تجارب وراحت تعمل، ومن نماذج ذلك الجمهورية الإسلامية في إيران، وهي النموذج الأول. لأننا كنّا النموذج الأول فقد مررنا بالكثير من المشكلات، ويجب على المسلمين أن يستلهموا التجارب من هذا النموذج. الشعوب التي تريد اليوم أن تطلق في بلدانها حركات إسلامية بوسعها عرض مشروع أشمل من الشعب الإيراني، إذا أعانها الله، وإذا بذلت هي الهمم والجهود اللازمة.

ليس أمام المسلمين من سبيل سوى العودة إلى الإسلام، وتأسيس حكم إسلامي وتحقيق الإسلام وتطبيقه عملياً. ينبغي ألا نأمل من أعداء الإسلام القدماء الحقودين أي مواكبة أو مساعدة، بل يجب ألا نأمل منهم حتى أن يصبروا علينا ويسكتوا عنا²⁰.

التوحيد والعدالة.. هديتان معنويتان من الرسول الأكرم ﷺ للبشرية وكل الناس

يوم ولادة نبي الإسلام الكريم يوم للتدبر في البركات والخيرات اللامتناهية لهذا المولود الكريم، وربما أمكن القول إنّ أعظم بركات هذه الولادة العظمى هي إهداء التوحيد والعدالة للمجتمعات البشرية. حتى في العصر الحاضر، حيث التقدم العلمي والفكري البشري، لا يزال البشر أسرى الشرك، وهذا ما يصدق عليهم حتى في البلدان المتقدمة جدًا من الناحية المادية. لذا يتبين أنّ الاعتقاد بالتوحيد مع كلّ خيراته وبركاته بحاجة إلى نور لا يمكن التمتع به إلا عن طريق العقل المَهديّ من قبل الوحي الإلهي. وقد قدّم رسولنا المكرم ﷺ هذه الهدية إلى البشرية، كما أهداها له الأنبياء الذين سبقوه. للإيمان بالتوحيد خيرات وبركات في أرواح البشر وقلوبهم وحياتهم، يجب التفكير فيها والسير نحوها.

من الهدايا الإلهية الكبرى الأخرى التي أُعطيت للبشرية عن طريق هذا الوليد الكريم هي العدالة، هدية العدالة للإنسان المُمتحن بانعدام العدالة. منذ فجر التاريخ وإلى يومنا هذا، لا يزال انعدام العدالة معضلة البشر الكبرى. الدين الذي عرضه الوليد الكريم اليوم على الإنسانية يدعو الإنسانية إلى مثل هذه القيم الشامخة، أي التوحيد والعدالة في حياة الناس. إذًا، بركات هذا اليوم وخيراته بركات وخيرات لكل البشرية، أي إنّّه بوسع كل إنسان التمتع بها. هذا أولاً، وثانيًا هي خيرات لا تختصّ بزمان معين دون غيره. اليوم تحتاج الإنسانية إلى العودة إلى التوحيد الخالص وديانتها العدل الإسلامي، والوصفة التي اختطّها الإسلام للعدل، حيث قال: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }²¹؛ أي الدعوة للتقوى والورع، وتحاشي دوافع التفرقة بين البشر كالعنصرية والعنصر والعرق واللون وما إلى ذلك.

البلدان المتقدمة ماديًا في العالم اليوم لا تزال تعاني من مشكلة الأسود والأبيض. الأسود له حدود والأبيض له حدود. لا تزال هناك حروب عرقية وحروب العنصر والقوميات. وكم من البشر يُقتلون وتضيع حقوقهم ويتشردون بسبب هذه الحروب القومية المفتعلة! إداة، البشرية اليوم أيضًا بحاجة إلى نداء الوحدة والتوحيد والعدل الذي رفع رايته الإسلام والمسلمون. من يعارض هذا المسار؟ يعارضه الأقوياء الذين ينتفعون من التفرقة، والشرك، وانعدام العدل، والذين يقوم صرح حياتهم وفلسفتها على التمييز. الأقوياء الكبار في العالم المادي، أي الذين يرفعون في بلدانهم شعارات الديمقراطية، ويدعون الديمقراطية والمساواة في الحقوق بين أفراد المجتمع، والذين يعارضون بألسنتهم وادعاءاتهم استبداد الحكومات. هؤلاء أنفسهم يسحقون الديمقراطية اليوم على مستوى العالم. ترجيح شعب على شعب، وتفضيل منطقة على أخرى، وتمييز دم عن دم! سؤدوا الاستبداد على العالم ليديروا العالم كما يشاؤون. هذا هو واقع البشرية اليوم. ونرى أن البشرية حاليًا تحتاج إلى نفس النداء الذي رفعه رسول الإسلام الكريم ﷺ بين الناس على أساس التوحيد والعدل. لقد أعلن الشعب الإيراني هذا الأسبوع أسبوعًا للوحدة، ونادى إمامنا الخميني الراحل (رضوان الله تعالى عليه) الذي رفع دومًا راية الوحدة بين المسلمين، نادى في هذا الأسبوع بالوحدة، وأوصل نداءه هذا إلى أسماع كل المسلمين في العالم، بل إلى أسماع كل طلاب الحق في المعمورة.

أسبوع الوحدة..

١ - وحدة أبناء الشعب

أسبوع الوحدة اسم مناسب. والحمد لله، الوحدة قائمة ومتينة بين أبناء الشعب الإيراني وبين شرائح الشعب مهما كان مسارهم ووضعهم ومهماتهم وأعمالهم. على الرغم من المؤامرات وما يُنثر من بذور النفاق، فإنّ أبناء الشعب الإيراني متحدون مع بعضهم بعضاً، ويسيرون باتجاه واحد هو اتجاه الإسلام والقرآن الكريم وسيادة الدين من دون فرق بين الشيعة والسنة والقوميات المختلفة من فرس وعرب وترك وتركمان وبلوش وكرد وغير ذلك. إنّ شعب متلاحم متوحد. الحق أنّ الشعب الإيراني نموذجي ببركة الإسلام. إنّ نموذج ناجح بين الشعوب المسلمة. رضي الله عنكم أيها الشعب الإيراني، لصدقكم في تلبية دعوة الدين ونداء إمامكم الخميني الكبير. يجب أن تحافظوا على هذه الحال. الوحدة الثمينة التي استطعتم بفضلها أن تحققوا كل هذه الانتصارات لها أعداؤها الذين يتربصون بها الدوائر. يجب أن تكونوا واعين يقظين، ولا تسمحوا بنشوب خلافات. كونوا حذرين أكثر في المواطن التي توجد فيها ذرائع للاختلافات، وبوسع العدو إيجاد مستمسكات للتفرقة. يجب أن تكونوا حذرين أكثر في قضية المذاهب والاختلافات المذهبية التي استغلها الأعداء قرونًا متمادية. يجب على الشيعة أن يحذروا وعلى السنة كذلك أن يحذروا²².

2 - إتمام مكارم الأخلاق

حول أهمية هذا اليوم المبارك، لو أراد شخص استخدام ألفاظ وعبارات معينة، ربما تعدّر بيان عظمة وأهمية المبعث بأي شكل أو بيان. ذلك أنّ الألفاظ استُخدمت في الكثير من المواطن بصورة متكرّرة وبمعاني مجازية، ولم تعد تستطيع أن تعبّر عن عظمة هذا الحدث. ربما أمكن القول مثلاً إنّ بعثة سيّدنا خاتم الأنبياء ﷺ حدثٌ يمكن مقارنته بأصل خلقه الإنسان، فهو حدث عظيم ومهم إلى هذه الدرجة. ما يجب أن نهتم به كدرس وفائدة من هذا الحدث والعيد هو رسالة المبعث في حدود إدراكاتنا وقدراتنا. ما يمكن فهمه وقوله على الإجمال هو أن بعثة النبي الأكرم ﷺ في إطار الكيان الفردي والتحوّل الداخلي للإنسان، وكذلك في إطار الحياة الاجتماعية، رسم هدفاً معيناً مشخصاً. في إطار الفرد، والأصل هنا أن يحدث تحوّل في الإنسان، هناك آيات في كلام الله الكريم، نظير الآية الشريفة من سورة آل عمران: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} ²³. هذه التزكية وتعليم الكتاب والحكمة هي نفسها التحوّل الداخلي عند الإنسان. من أجل أن يبلغ الإنسان الهدف والغاية من خلقته، يجب عليه أن يحقق هدف بعثة الأنبياء؛ أي أن يتحوّل ويتغيّر ويكون صالحاً نقيّاً من الأدران والعيوب والهواجس التي تعتمل في داخل الإنسان، وتأخذ العالم نحو الفساد. هذا في خصوص الكيان الفردي للإنسان، وهذا هو الهدف من البعثة. وفي قوله ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ²⁴، نظير هذا المعنى، أي تهذيب الإنسان وتزكيته والأخذ بيده نحو الحكمة، ونقله من الجهل والبساطة العامة إلى الفهم والحياة الحكيمة. هذا ما يتعلق بالمستوى الفردي والحياة الفردية.

3 – العدالة الاجتماعية

على مستوى الحياة الاجتماعية، فإنّ الشيء المرسوم كهدف هو العدالة الاجتماعية، { لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ }²⁵، والقسط يختلف عن العدل. إذ للعدل معنى عام. العدل هو المعنى السامي والراقي الجاري في الحياة الشخصية والعامة والأجسام والأرواح والأحجار والخشب وكل أحداث العالم، أي إنه يعبر عن توازن صحيح وسليم، هذا هو العدل. إنه السلوك الصحيح والتوازن الصحيح والاعتدال وعدم الميل نحو العيوب والخروج عن الحدود. هذا هو معنى العدل. لكن القسط كما يفهم الإنسان هو العدل في العلاقات الاجتماعية، أي الشيء الذي نسميه اليوم «العدالة الاجتماعية». وهذا غير العدل بمعناه العام الكلي. مع أنّ مسيرة الأنبياء كانت نحو العدالة بمعناها العام: «بالعدل قامت السماوات والأرض»²⁶، لكنّ الشيء الذي يمثل حاليًا قضية بالنسبة إلى البشرية والذي تتشوّق وتتعطش له الإنسانية ولا يمكنها العيش بما دونه هو القسط. القسط معناه أن يؤخذ العدل بأبعاد أصغر فيكون عبارة عن العدالة الاجتماعية: { لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ }²⁷، من أجل هذا جاء الأنبياء.

البشرية لا تستطيع أن تعيش في ظل اللاعدالة والسلوكيات الظالمة والعدوان والتعرض والاعتماد على التعسّف والقوة. فهذه لن تكون حياة، إنما هي جحيم. جاء الأنبياء ليصنعوا من بيئة الحياة جنة. طبعًا لو نظرنا بعين الدقة فإنّ هذه الثانية التي هي هدف الأنبياء على مستوى الحياة الاجتماعية مقدّمة لوصول الإنسان إلى ذلك الهدف المرسوم على صعيد الحياة الفردية، أي التحوّل الداخلي والصالح، وأن يكون الإنسان إنسانًا سليمًا. كل شيء تلاحظونه في العالم، شكله الصحيح هو الذي ينتج الفائدة المطلوبة. لم يخلق الإنسان من أجل أن يوجّه الضربات والأضرار للآخرين، ويحسدكم ويريد كل شيء لنفسه ويحرم الآخرين، وتصدر عنه الشرور للعالم والناس، وأن يلتصق بالأشياء الصغيرة ويغفل عن الكمال والمطامح السامية. الإنسان لم يُخلق لهذه الأشياء. خُلق

الإِنسان لِيَكُون صالِحًا مَفِيدًا سائِرًا نَحْوَ الكَمالِ. إِذا كان هَذا، وَسارَ الإِنسان نَحْوَ الكَمالِ، وَكان
الدرب الَّذي يَسير فِيهِ مَفِيدًا لَهُ وَلِلآخَرِينَ، كان هَذا الإِنسان مَتَحَوِّلًا زَكِيًّا، هَذا مِنْ أَهْداَفِ البِعثَةِ.

الإنسانية المعاصرة وحاجتها الماسة إلى رسائل البعثة

اليوم حيث تعمل مئات الألسن والحناجر والأقلام في العالم، وتحاول بدعم أموال الأجهزة الاستعمارية أن تنال من المعنوية والدين والإسلام، وأي تدفق إسلامي، وأن توحى بأن هذه النظم المادية في العالم وهذه النظم المتغطرة السائدة في الدنيا هي الصالحة والجيدة، وليس من حاجة إلى الإسلام كي يأتي وينال من هذه النظم العاتية. هل ترى أن الإنسانية في غنى عن البعثة؟ ألا تريد الإنسانية اليوم أن تزكّي نفسها؟ أليس من العيب على كل واحد من أبناء البشر أين ما كان أن يفكر براحة نفسه وأذى الآخرين؟ أليس من العيب على البشرية ألا يكون هناك نزعة مبدئية بين أبنائها، وأن يقنع الجميع بالوضع السائد في حياتهم. وإذا كانت في يد شخص كسرة خبز قبض عليها بكل قوة لئلا يأتي متعسف يسرقها منه، ولا ينال هو منها شيئاً. هل هذا واقع صالح في العالم؟ هل هذا الوضع وهذا النظام العالمي هو الجنة الموعودة للبشرية؟ ألا يجب فعل شيء ضد هذا الوضع ولإصلاحه وتهذيبه؟ ألا يجب أن تبدي البشرية حركة ويكون لها انبعاث؟ ألا يسود «قانون الغابة» بالمعنى الحقيقي للكلمة في العالم اليوم، أو في أجزاء من العالم على الأقل؟ هل ثمة أثر هناك للقسط؟

انظروا إلى العالم من أقصاه إلى أقصاه. تلاحظون أنّ عدداً من شعب يبلغ الملايين بكباره وصغاره ونسائه ورجاله ومرضاه وأصحائه والكل تُزهِق أرواحهم عبر عدد من الناس، وتهتّم ببيوتهم، ويُعتدّى على أعراضهم ونسائهم، ولا دواء لهم، ولا غذاء، ولا راحة، ولا أمن، ولا يصدر عن العالم أي تحرّك بالمعنى الواقعي للكلمة! في أحداث البوسنة والهرسك المريرة المبكية، ما هي الأسباب والمبررات التي يحملها الذين يمارسون ضد الناس كل هذا القمع والعنف؟ هل ثمة أسباب أو أدلة يحملونها لممارساتهم هذه؟ حتى لو كانت لهم أسبابهم القومية، فليس هذا هو الحلّ والسبيل

الصواب، ولو كانت لهم أسبابهم الدينية فليس هذا هو الحل والطريق الصحيح. أن يجري القضاء على شعب بأكمله وأخذ أبنائه للمخيمات لكي لا تكون لهم هناك أي حُرمة، ألا يدل هذا على وحشية حقيقية وسيادة قانون الغابة؟ يوم انهال الصرب على المسلمين في البوسنة تقتيلاً وإرهاباً، لو صدرت عن أطراف العالم وأكنافه في أوروبا وأميركا وآسيا والبلدان الإسلامية ردود أفعال حقيقية جادة، وساروا إليهم لتأديبهم، لكان ذلك دليل على وجود رشد وسلامة في العالم إلى جانب الانحراف والشرور، ونرى أنّ مثل هذا الشيء لم يحدث²⁸.

أوجه أهمية ولادة النبي الأكرم ﷺ

لعصر البعثة وكل عصور التاريخ ولادة النبي الأكرم ﷺ

مهمة بالنسبة إلينا نحن المسلمين من نواح عدة. إنها ذكرى عميقة المعاني والمضامين. الناحية الأولى هي أن ولادة هذا الإنسان العظيم حدثت في وقت كانت فيه البشرية عمومًا، ولا أخصّ شعبًا بعينه أو أهل بلاد بحد ذاتهم، بل مجموع البشرية كان لها سمتان بارزتان. إحدى هاتين السمتين هي أنها كانت متقدمة من الناحية العلمية والعقلانية والفكرية بالقياس إلى العصور التي سبقتها. فقد ظهر في البشرية فلاسفة وعلماء وعلماء رياضيات وأطباء ومهندسون كبار وحضارات كبيرة، وهذه الحضارات ما كانت لتظهر من دون علوم ومعارف. الأكاديميات في الغرب، والحضارات في الشرق، وحضارة الصين، وحضارة مصر، والحضارات التاريخية الكبرى، كلها كانت قد ظهرت ومضت؛ أي إن البشر قد تكامل. هذه إحدى السمتين.

والسمة الثانية، والجمع بين هاتين السمتين أمر عجيب جدًا، هي أنّ البشرية كانت في تلك الفترة منحنّة أخلاقياً أكثر من أي عصر سابق، أو إذا لم نشأ أن نقيم هذه المقارنة قلنا إنها كانت في الدرك الأسفل من الانحطاط. هذه البشرية المتمتعة بالعلوم والمعارف كانت أسيرة بشدة للعصبية والخرافات والأنانيات والمظالم والجور والأجهزة الحكومية الدموية واللاإنسانية. مثل هذا الوضع كان سائدًا في العالم يومئذ. لو نظر شخص في التاريخ فسيرى أنّ البشرية كلها كانت في ذلك الزمن أسيرة. وكما ورد في كلام الإمام علي بن أبي طالب R حيث يقول: «في فتن داستهم بأخفافها، ووطنتهم بأظلافها، وقامت على سناكبها»²⁹. كانوا يعيشون في منتهى الفتن والضغوط والمحن والمشكلات والاقتتال، وكانت البشرية تعيش حياة مريرة جدًا: «نومهم سهود».

يقول الإمام علي بن أبي طالب في هذه الخطبة نفسها: «إنّ نوم الناس كان سهوًا»، أي إنهم لم يكن يوسعهم النوم براحة وطمأنينة وسكينة.

من الخطأ أن يظنّ ظان أن هذه المشكلات كانت خاصة بجزيرة العرب. لا، حين تنتظرون إلى مهد الحضارة في ذلك الحين، أي لبلاد الروم، تجدون مثل هذه الأحوال. هناك يزعمون يومذاك أنّ لهم ديمقراطية ومجلس شيوخ، كان يسود الناس استبداد ومفاسد حين تقرأون عنها في الكتب تخجلون أمام أنفسكم. يخجل الإنسان لأن الإنسان كان يعيش مثل هذا الانحطاط في زمن من الأزمنة. وفي بلادنا، إيران قديمًا، لم يكن الوضع أفضل من بلاد الروم. هم أيضًا كانت لديهم قدرات وسلطة وسيوف ورماح وبطولات قتالية وحماسة وما إلى ذلك، لكن الفوارق الطبقيّة والظلم والتمييز والفساد والتعسف والجهل والخرافات لم تكن لها حدود تقف عندها. في مثل هذه الظروف ولد هذا المولود المبارك والرسول الإلهي لإنقاذ البشرية.

ما ورد في التواريخ من أنّ قمة قصر كسرى تصدّعت، وتزلزلت علامات الوثنية والشرك في أنحاء العالم عند ولادته ﷺ، فإذا كان هذا المأثور أكيدًا، كان ذلك ربما علامة القدرة الإلهية، من أجل الإعلان الرمزي عن شروع القوة الإلهية التي يُراد لها زعزعة أركان الظلم والفساد، وتنزيه العلم من الخرافات والحضارة من الفساد والظلم. هذا ما فعله رسولنا الكريم، واجه هذا الوليد المقدس عند بعثته الكبرى مثل هذا العالم، وحال عبر جهاد عسير وصعب جدًّا دون أن تستمر الإنسانية في تخبّطها في الجهل والخرافات والفساد والظلم والعصبيات المدمّرة، وظلم البشر لبعضهم بعضًا واستغلال بعضهم بعضًا، بل لقد غير وجه الإنسانية، وأوجد وجهًا ووضعًا جديدًا في العالم. ومن البديهي أنّ مهمّة الرسول الخاتم ﷺ

لم تكن إصلاح الدنيا كلها. لا، كان على هذا الرسول أن يتلقّى هذا النموذج الصالح الصحيح من الوحي الإلهي ويعطيه للبشر، ليستخدمه الإنسان على امتداد حياته لحظة بلحظة. أما من الذي عمل بهذا النموذج ومن الذي أضاعه فهذا بحث آخر. لقد أدّى هذا الإنسان الجليل رسالته بتمامها، وأكمل مهمته وانتقل إلى جوار رحمة ربّه.

مقارنة ظروف العالم اليوم بظروفه في عصر البعثة

واليوم أيضًا تُبرز هذه الذكرى مهمّة ذات شأن، من حيث إننا يجب أن ننتبّه إلى أنّ العالم تقدم من الناحية العلمية وانحدر إلى الحضيض من الناحية الأخلاقية. وصل الأمر بالعالم إلى درجة أن القوى العاتية في العالم تجعل من المعروف منكراً ومن المنكر معروفاً على رؤوس الأشهاد وأمام أنظار الناس في العالم. أعتقد أنّه لا شيء أسوأ من هذا في عالم الفساد وانحطاط الإنسانية. يقول الرسول في إحدى الروايات إنّ سيأتي زمان يأمر فيه الناس بالمنكر وينهون عن المعروف. فتعجّب المستمعون، فأوضح لهم أنّ المنكر سيكون معروفاً. ويشعر المرء في الوقت الراهن أنّ أيدي القوى المادية المستكبرة المنفلتة المتكبّرة المنفرعة المتعسّفة تصنع مثل هذه الأشياء. يكذبون على الناس علانية، ويعدّون هذا الكذب عملاً مقدّساً! يشجّعون على الظلم، ويعدّون الظالم محقاً في ظلمه هذا! يدينون المظلوم ويدمغونه، ويعدّون قمع المظلومين هذا عملاً صالحاً حسناً!

هكذا أضحى الوضع في العالم اليوم. ذهبت جماعة واغتصبت فلسطين، ولم تكتفِ باغتصاب فلسطين، إنما عرّضت المسلمين الفلسطينيين طوال أكثر من أربعين عاماً لشتى صنوف القمع والضغط والتشريد والتقتيل والإذلال. وهذا منكر بيّن جليّ. من لا يخطئ إنساناً يدخل بيتكم عنوة ويقمعكم؟! يجب تخطئة الظلم. لاحظوا اليوم أنّ السلطات الأوروبية وأميركا وخدامها والتابعين لهذه القوى والراضخين لإملاءاتها والحكومات التي تقوم بإشارة من الأصابع الأميركية ولا صلة لها بشعوبها، لاحظوا أنها تعاضدت كلها لتصويب ما يقوم به هذا الظالم الذي مارس ظلمه هذا بكل وضوح وجلاء. ومن جهة أخرى، عندما يجاهد الشباب الفارغون الصبر في فلسطين ولبنان هذا الظالم الجائر، وهو عمل ممدوح في رأي كل عقلاء العالم، إذا بهم يرفعون أصواتهم بأنّ هؤلاء إرهابيون وظالمون، ولماذا قتلتم وضربتم ولماذا لم تستسلموا ولم تخضعوا؟!!

حبّ الرسول الأكرم ﷺ محور الوحدة بين المسلمين في العالم

أعزائي، إنّ مسلمي العالم يستطيعون الاتحاد تحت اسم النبي الأكرم ﷺ

أسهل وأسرع من أي شيء آخر. فهذه هي سمة هذا الإنسان العظيم. لقد قلت مرارًا إنّ هذا الإنسان العظيم هو مجمع وملتقى عواطف المسلمين. فالمسلمون يعشقون رسولهم. اللهم اشهد أنّ قلوبنا مفعمة بمحبّة رسولك. يجب الانتفاع من هذه المحبة، فهي محبة حلّالة للمشكلات. المسلمون اليوم بحاجة إلى الأخوة والوئام. شعار { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ }³⁰ أهمّ اليوم من أي وقت آخر. الذلة والضعف اللذان يعاني منهما المسلمون في بلدان العالم حاليًا، ناجمان عن هذه التفرقة والاختلاف. لو كان المسلمون متحدين لما حلّ بفلسطين ما حلّ بها، ولما عانت البوسنة مما عانت، ولما كان هذا وضع كشمير، ولما كان هذا وضع طاجيكستان، ولما عاش مسلمو أوروبا هذه المحن والصعاب، ولما تعرّض المسلمون في أميركا لهذا التعسف، السبب هو أننا متفرقون مختلفون في ما بيننا.

نادت الجمهورية الإسلامية بالوحدة، فانهاالت عليها كل القوى الاستكبارية. وبالطبع، فقد استطاعت الجمهورية الإسلامية لوحدها الانتصار على هذه القوى كلها. لماذا؟ لأنها نادت بالوحدة وهم أعداء الوحدة. وحدة المسلمين في ضررهم. لذلك يحاولون تحطيم هذه الوحدة. أقول: يجب على علماء الشيعة والسنة أين ما كانوا من العالم، وبما في ذلك بلادنا العزيزة، أن يحذروا ويدققوا. لقد كان ثمن هذه الوحدة التي في إيران غاليًا، وقد كلف تكريس نداء الوحدة في العالم غاليًا، فلا تحطموه بسهولة، وكل من يحطمه فهو خائن كائنًا من كان. ولا فرق في ذلك بين السنّي والشيعي³¹.

ظروف العالم في زمن البعثة

أهمية يوم المبعث من الناحية المعنوية أعظم حقاً من أن يستطيع أمثالي الإدلاء بكلام واضح حوله. بيد أن هناك نقاطاً حول تأثير البعثة في حياة البشر على مدى العصور التاريخية، يمكن طرحها والتحدّث عنها.

كانت البعثة في ظروف فراغ حقيقية، فالبشرية كانت بأمسّ الحاجة إلى هذه البعثة الكبرى. وقد شاء الله تعالى حسب مقتضى حكمته البالغة أن يكون مكان هذه البعثة العظيمة والواقعة الكبرى في محلّ يحول دون أن تتلوّث المفاهيم الحقيقية للبعثة بالمفاهيم الشائعة في ذلك العصر، وأن تشتهر بذلك في العالم إذّاك وتبقى صحيحة عبر التاريخ. هذه بحد ذاتها نقطة تتعلق بمكان البعثة الخاتمة التي لم تقع في بلاد الروم مثلاً أو بلاد اليونان أو غيرهما من البلدان المتقدمة يومذاك.

في زمن البعثة النبوية الشريفة كانت هناك حضارات كبيرة في العالم. كانت هناك شعوب لها معارفها الفلسفية والعلمية البشرية ووعيتها الحضاري. وكان يمكن أن تقع البعثة في تلك البلدان والمناطق، لكنّ الله تعالى لم يجعل هذه البعثة التي كان يجب أن تستمر للبشرية طوال التاريخ، وإلى ما لا يعلمه إلّا الله، لم يجعل الله تعالى هذه البعثة في منطقة قد تتسبّب في أن تتدخّل فيها عند انعقاد نطفتها الأولى عناصر غريبة وأجنبية. كانت في غرب الأرض آنذاك بلدان فيها حضارات كبرى. وتعاملهم مع الأنبياء يدلّ على أنهم كانت لهم حضارات. ومن ذلك أهالي مدينة أنطاكية التي يروي القرآن الكريم في سورة «يس» قصة بعثة ثلاثة أنبياء لها، وينهيها بكفر هؤلاء الأهالي وعدم شكرهم. هذا ليس بالشيء القليل. وقد روى لنا التاريخ أيضاً بعض المعطيات عن تلك الأمم. لم يجعل الله رسوله الخاتم في تلك الأماكن.

لم تكن في جزيرة العرب معارف، إنما كان هناك الشرك ومعارف الشرك، وبمستويات هابطة. لذلك نلاحظ في القرآن الكريم حربًا شعواء ضد الشرك. سورة الإخلاص التي تؤكد كل هذا التأكيد على { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ }، حيث توجد في هذه السورة القصيرة أربع آيات تقول: { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ }، وتركز كذلك على { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ }³²، كل ذلك من أجل محو الشرك من الأذهان وعدم اختلاطه بالرسالة الإلهية. أي ممارسة شركية مرفوضة في الإسلام. وإذا تجاوزنا هذا، فقد ولد الإسلام الخالص، وانتقل إلى أرجاء العالم خالصًا. لذلك أين ما ذهب وسار كان قاطعًا متميزًا في مقابل الحضارات والثقافات المختلفة، إلى أن تغير الخلوص لدى دعائه وتغيرت حالة الخلوص في الدعوة أيضًا. هذه البعثة أمر دائم للبشرية. وهذه هي ميزة بعثة خاتم الأنبياء ﷺ. أي كلما فرغت ساحة العالم والحياة البشرية من المعنوية، استطاعت هذه المعارف التي ينطق بها القرآن الكريم ملء هذا الفراغ في أي زمان. نوعية المعارف الإسلامية بحيث تستطيع في كل الظروف إيجاد قوة داخل هذه المجموعة من القوانين والمعارف يمكنها في كل الظروف ملء الفراغات المعنوية، وتمكين البشرية من العيش في أجواء معنوية.

تناظر الظروف في العالم اليوم مع زمن البعثة من حيث الحاجة إلى سبيل الإسلام العقلاني المعنوي

اليوم أيضاً يعيش العالم ما يشبه تلك الظروف. ما هو الشرط اللازم في أن تستطيع دعوة معيّنة أن تجد مكانها بين الشعوب والبلدان، وتكسب من يصغون إليها؟ الشرط الأول هو أن تكون منطقية ومعقولة. أي كلمة تفصل الإسلام عن منطق العقلاني الذي يتحلى به تنتهي في ضرر تنامي الإسلام وانتشاره. الذين يتحدثون حول القضايا والشؤون الإسلامية ويبدون وجهات نظرهم يجب أن يتفطنوا لهذه النقطة. الإسلام دين عقلاني، دين يفهمه العقل السليم والفطرة، وتدركه وتنقله وتستحسنه. هذه هي ميزة الإسلام، وهذا ليس بمعنى أن كل حكم من أحكام الإسلام له برهان عقلاني. لماذا صلاة الصبح ركعتان؟ هل يتحتم أن نسوق لذلك برهاناً عقلياً؟ لا. وليس بمعنى أن أي عقل مهما فهم وأدرك يجب أن نجد رأيه في الإسلام، القضية ليست كذلك أيضاً، بل بمعنى أن المعارف الإسلامية، ما صحّ منها نسبته إلى الإسلام وحكم أهل الخبرة والاختصاص بأنها إسلامية حقاً، يمكن الدفاع عنها في أي أجواء عقلانية وعلمية.

يمكن تسويغ الصلاة لأكثر الناس مادية، وشرحها وتفهمها له، وإيضاح ما هي الصلاة، ولماذا هي واجبة في الإسلام. أحد المفكرين الغربيين في القرن التاسع عشر، وهو قرن عدم التدين في العالم الغربي، وهو شخصية معروفة شهيرة، ولا أريد ذكر الأسماء، يقول: «ثمة سرّ عظيم كامن في الصلاة». نعم، لو لم يكن فيها سرّ عظيم كامن لما رفع شخص مفكر صوته لصالحها في تلك البيئة المادية. الأشخاص المنصفون وأهل العلم والعقل والمنطق والاستدلال والبرهان يمكنهم استيعاب كل المعارف الإسلامية واستحسانها وقبولها، هذه هي ميزة الإسلام.

إذًا، المنطقية والعقلانية هما من خصوصيات الإسلام. إذا حاول بعضهم فصل الإسلام عن هذه الخصائص والخصال، أو القول في دعواتهم وإعلامهم: «هذه على الضد من العلم والعقل»، أو نسبوا عمليًا إلى الإسلام ما ليس من الإسلام، وما لا يستطيع العقل السليم تصديقه وقبوله، فهم يضررون يقيئًا بنشر الإسلام، ولا يساعدون على ذلك أبدًا. هذه من خصوصيات العناصر الذاتية التي تستطيع نشر الإسلام.

الميزة الأخرى في الإسلام هي أنه رسالة معنوية وإلهية؛ أي خلًا لما ينسب للمسيحية من تغلب الجوانب الأخروية فيها على جوانبها الدنيوية، فإنّ الإسلام ليس كذلك. الإسلام يعتبر الدنيا جزءًا من الآخرة. حياتكم هذه وتجارتكم ودراساتكم وأعمالكم الإدارية ونشاطكم السياسي هي كلها جزء من آخرتكم. الدنيا قطعة من الآخرة. وهذه الأعمال التي تقومون بها بنية صالحة إنما هي حسنات تقربكم في الآخرة من الله والمراتب المعنوية العليا، أو أعمالكم المنطلقة من نوايا سيئة - لا سمح الله - أي ما تفعلونه بنية الأنانية وعبادة الذات، فإنه يجزّ عليكم الانحطاط والهبوط والسقوط في الدرك.

هكذا هو الإسلام. كل بيئاتنا الحياتية ومساعدنا الدنيوية هي جزء من الآخرة. الدنيا والآخرة ليستا منفصلتين، السيئ هو أن تقوموا بمساعدكم المادية اليومية ذات العلاقة بحياتكم في هذه النشأة بنوايا سيئة. هذه هي الدنيا الذميمة التي قيل عنها ما قيل. لكنّ هذه النشأة غير منفصلة عن تلك النشأة. وهذا العالم غير منفصل عن ذلك العالم. هذا العالم مزرعة لذلك العالم. ما معنى المزرعة؟ وهل يمكن حصد المحصول من غير المزرعة؟ هذا يعبر عن منتهى الوحدة والتناسق والتوحد. ومع أن للإسلام مكانته وكلمته في أنحاء الحياة البشرية، إلا أنّ الإسلام مع ذلك دين معنوي. القلوب في بيئة الدين الإسلامي يجب أن تتّجه نحو الله، والنوايا يجب أن تكون لله. هذه من خصوصيات الإسلام ومن وسائل نشر الإسلام.

النقص الذي يستشعر في العالم اليوم، والذي يشعر به الناس أنفسهم في العالم، هو نقص المعنوية والفراغ المعنوي، خصوصًا في العالم الغربي. بقوا مقيدون بالماديات، وانفصلوا عن المعنويات، وغرقوا في الشهوات. خصوصية الشهوات هي أنها في بداية الأمر شهوة لكنها تتحوّل بالاستمرار والمواصلة إلى جحيم! إذا سادت الشهوات على حياة فرد أو شعب تتحوّل إلى جحيم. هذه هي خصوصية الشهوات البشرية. لا يمكن أن تروا شخصًا يعيش حياة طيبة هائلة في

الشهوات لمدة طويلة. مثل هذا الشخص لم يخلقه الله. وإذا نظرتם وبحثتم وحققتهم فسوف تصلون إلى هذه النتيجة. هذه قضية واضحة وأكيدة. استمرار البقاء في الشهوات يخلق للإنسان جحيمًا. وهذا هو الجحيم الذي استغرق حاليًا بعض الناس المتنعمين في الغرب، وغير المتنعمين يعيشون في جحيم من الفقر والبؤس والفساد. طبعًا ثمة استثناءات، من كل شريحة لا بد أن يكون هناك أشخاص استثنائيون. ولا شك أن هناك بينهم أناسًا وأفرادًا صالحين، لكن النوع هو هذا. العالم اليوم بحاجة إلى هذه البعثة³³.

بعثة النبي الأكرم ﷺ ينبوع كل الفضائل في العالم ولادة النبي الأكرم ﷺ محطة بارزة في التاريخ بالنسبة إلى أي فرد مسلم. فقد أفضت هذه الولادة لاحقًا إلى حركة هائلة في تاريخ الإنسانية. كل فضيلة في العالم ناجمة، وإن بشكل غير مباشر، عن تلك البعثة وإقامة مكارم الأخلاق على يد الرسول الأعظم ﷺ. يعلم كل مسلم أنه ما من قطب أفضل من الكيان المقدس للرسول الأكرم ﷺ من أجل تركيز عواطف العالم الإسلامي ومشاعر شتى الفرق الإسلامية، فجميع المسلمين يحبّون هذا الإنسان الكبير الذي كان محور الأمة الإسلامية على مرّ التاريخ. إذًا، هذه الولادة مهمة بالنسبة إلينا.

وبالطبع، فقد دلّ التاريخ الإسلامي على أنه بعد نحو مائة سنة من وفاة الرسول الأكرم ﷺ ، تولّى الإمامة حفيده الإمام جعفر الصادق عليهم السلام ، وكان ذلك بزوغًا جديدًا للأهداف والمعارف الإسلامية. الجمهورية الإسلامية تولي اهتمامًا خاصًا لولادة النبي الأكرم ﷺ وبعثته، وكل ما يتعلق به. لماذا؟ لأنّ إيران الإسلامية هي اليوم، وعلى مستوى العالم كله وتحت مظلة السماء، هي المنطقة الوحيدة من العالم التي تطبّق فيها بشكل رسمي أحكام الإسلام، وتنظّم القوانين والمقررات طبقًا للقرآن الكريم وسنة الرسول الأكرم ﷺ ، ويُعمل بها، وبعبارة أخرى فإنّها أهم بقعة على عليهم السلام العالم الأرض تشهد مثل هذا التحرك الهائل. ثمة دولة في إيران تحكم باسم الإسلام، وهذا في الحقيقة شيء يلقي تكليفًا على عاتق كل المسلمين في العالم، لأن الحكومة إذا كانت على أساس الإسلام، فمعنى ذلك أن الإسلام يُعمل به. أما إذا كان الإسلام بمعنى عقيدة الأفراد وأعمالهم في المجتمع من دون سيادة الدين، فإنّ القرآن والإسلام سيكونان مهجورين في مثل هذا المجتمع.

وقد ورد مصداق هذا في القرآن الكريم في سورة الفرقان على النحو التالي: { وَقَالَ
الرَّسُولُ يُزَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا }³⁴. فما هو معنى هجر القرآن؟ لا شك أنه
ليس بمعنى أن الناس دفعت عن نفسها كلياً هذا القرآن واسمه واسم الإسلام. فهذا ليس اتخاذاً:
{ اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا }، بمعنى أن القرآن معهم، ولكن معهم إلى جانب الهجر، القرآن
موجود ولكنه مهجور، معناه أن القرآن يُتلى في المجتمع ويحترم ظاهرياً، ولكن لا يُعمل بأحكامه،
وتُسلب الحكومة من القرآن بذريعة فصل الدين عن السياسة. إذا كان المقرر للقرآن والإسلام ألا
يحكما، فلماذا كان كل هذا الكفاح والجهاد الذي خاضه النبي الأكرم؟ إذا كان رسول الإسلام ﷺ
يعتقد أنه يجب عدم التدخل في حكم الناس وإدارة حياتهم، وفي السلطة السياسية في المجتمع،
ويكفي أن يكون للناس معتقداتهم الإسلامية، وأن يؤديوا أعمالهم الدينية في بيوتهم، لما كان من
الأكيد أن تفرض على الرسول كل هذه الصنوف من التحديات والكفاح والجهاد والمعارضات. إنما
كان موضع الخلاف بين الرسول ومعارضيه على السلطة السياسية وتولي القرآن الكريم للسلطة.
هجر القرآن الكريم معناه أن يكون اسم القرآن موجوداً من دون سيادة القرآن وحكمه. حيث لا
يكون القرآن الكريم هو الحاكم في العالم الإسلامي، يصدق خطاب النبي: «يا رب إن قومي اتخذوا
هذا القرآن مهجوراً»³⁵.

معايير الاختلاف بين عصر البعثة والعصر الجاهلي

في المصطلح القرآني والحديثي، وفي العرف الإسلامي، يسمّى العصر السابق لعصر البعثة بالعصر الجاهلي. وقد استُخدم هذا التعبير وهذا المصطلح في القرآن الكريم، وهو موجود في الروايات وعرف المسلمين، حيث يضعون الحقبة الإسلامية مقابل العصر الجاهلي. وثمة حدود وضوابط، فما هي هذه الضوابط؟ ثمة نقاط تفصل العهد الإسلامي عن العهد الجاهلي، وهي النقاط الإسلامية الأصلية والقيمية.

1 - التوحيد الخالص

يأتي التوحيد الخالص في الدرجة الأولى من هذه النقاط. ومعنى التوحيد الخالص هو نفي عبودية غير الله. هذا هو التوحيد الخالص. لم يكن التوحيد مجرد أن يتركوا الأصنام. فالتوحيد معنى شامل وعام وسائر على مرّ التاريخ. وهل الأصنام موجودة دومًا؟ الأصنام الحجرية والخشبية ليست موجودة دومًا. معنى التوحيد وروحه عبارة عن انتهاء الإنسان عن عبودية غير الله، وألا يعقّر جبهة العبودية على الأرض أمام غير الله. هذا هو معنى العبودية الكاملة الخالصة. ولو نظرتم بعين مستنيرة واعية متسلّحة بالعلوم لحياة البشر - العلوم الاجتماعية والتربوية وما إلى ذلك - فسترون أنّ دائرة العبودية دائرة واسعة. عبودية الأنظمة الاجتماعية الخاطئة، وعبودية الأعراف والتقاليد الخاطئة، وعبودية الخرافات، وعبودية الأشخاص والقوى المستبدّة، وعبودية الأهواء النفسية - وهذه هي الأكثر شياعًا من غيرها - وعبودية المال والقوة، هذه هي أنواع العبودية.

حين نقول: «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له»،³⁶ فمعنى ذلك التوحيد الخالص. معناه أن تزول كل هذه العبوديات جانبًا، وإذا كان هذا تحقق الفلاح والصلاح فعلاً. حين قال: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»³⁷، فهذا الفلاح هو فلاح حقيقي، وليس مجرد فلاح سياسي، ولا فلاح اجتماعي، ولا فلاح معنوي وليس مجرد الفلاح في يوم القيامة، بل هو فلاح الدنيا والآخرة. هذه نقطة حول مميزات الإسلام والعلامات البارزة في الدعوة الإسلامية يمكن التعبير عنها بشكل آخر، وهو أن الإسلام يعني التسليم والإسلام لوجه الله والتسليم لله. هذا جانب آخر وبُعد آخر لذلك التوحيد. هذا على سبيل المثال أحد مميزات الدعوة الإسلامية. أين ما كانت هذه كان الإسلام، وأين ما كان الضد من هذه كانت الجاهلية، وكل ما كان بين هذا وذاك كان ما بين الإسلام والجاهلية، فهو ليس بالإسلام الخالص أو الكامل، بل هو إسلام قد يكون نصفياً ناقصاً.

2 - تحكيم العدل

نقطة أخرى في الدعوة الإسلامية هي تسويد العدل وتحكيمه بين الناس. من خصوصيات الجاهلية نظامها الظالم. كان الجور عرفاً دارجاً في الجاهلية، ولم يكن الأمر بحيث يقع الظلم في أحيان نادرة من بعض الأشخاص، إنما كان أساس نظام المجتمع هو الظلم والتمييز ومنطق القوة وتعسف القوي ضد الضعيف، وتعسف الرجل ضد المرأة، وتعسف الثري ضد المعدم، وتعسف السيد مقابل العبد. وهؤلاء الأسياد أنفسهم يرضخون بدورهم لعسف السلاطين وأصحاب الحكم والسلطة. كانت الأمور عسفاً في عسف، وظلماً في ظلم، كانت حياة الناس كلها ظلماً وتمييزاً وتعسفاً. هذه هي صورة الحياة الجاهلية، وأين ما كان الوضع على هذا النحو كان وضعاً جاهلياً. وقد جاء الإسلام بالحالة المقابلة لهذه. جاء بتكريس العدل وتسويده وتحكيمه: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ }³⁸. هذه من خصوصيات المجتمع الإسلامي.

والعدل ليس مجرد شعارات. على المجتمع الإسلامي أن يسعى إلى العدل، وإذا لم تتوافر العدالة، وفّر لها وعمل على تحقيقها. إذا كان في العالم قطبان أو نقطتان؛ إحداهما العدل والثانية الظلم، وكلاهما ليستا من الإسلام، فإن الإسلام ينظر بعين الموافقة لنقطة العدل حتى لو كانت غير إسلامية. بعث الرسول الأكرم ﷺ المهاجرين بنفسه إلى الحبشة؛ أي إنّه بعثهم ليلجئوا إلى ملك كافر بدافع العدل. وبعبارة أخرى، أبعد الناس عن بيوتهم وحياتهم وبيئتهم، بسبب الظلم الذي

يتعرّضون له. هذه بدورها نقطة تتعلق بتكريس العدل وانتهاجه وإشاعته والسعي والجهاد لتحقيقه وتكريمه وتبجيله – حتى لو كان في بلاد غير مسلمة – وإدانة الظلم في أي بقعة من العالم. هذه من الخصائص الإسلامية. وتلاحظون أنّ الحياة الإسلامية وحياة الرسول الأكرم ﷺ والتاريخ الإسلامي في أفضل أزمنته وأنزه فتراته يدلّ على تحرّي العدل وتنميته. هذه بدورها من مميزات بعثة الرسول الأكرم ﷺ. إنني أذكر هذه الأمور من باب المثال. تنبّهوا لنصل إلى حيث نستطيع أن نستخلص من هذه الأمور ما ينفعنا لمسيرتنا الراهنة. فنحن لا نروم مجرد استعراض التاريخ أو إحدى معارف الإسلام لنخزنها في الأذهان ونزيّن بها أذهاننا.

3 – مكارم الأخلاق

ثمة نقطة ثالثة في النظام الإسلامي هي السير نحو مكارم الأخلاق. وهذه النقطة غير تلكما النقطتين. مرة يكون في المجتمع أشخاص يتمتّعون بأخلاق صحيحة، فأفراد ذلك المجتمع أشخاص يتحلون بصفات الصفح والتفكير والعقل والخير والإحسان ومساعدة الآخرين والصبر على المشكلات والحلم عند الصعاب، والخلق الحسن في تعاملهم مع بعضهم بعضاً، والإيثار عند لزوم الإيثار، وقد يصدق العكس، أي قد يكونون أناساً لا تقوم العلاقات بينهم على أساس الرحمة والمروءة والإنصاف والأخلاق الحسنة، بل على أساس المنفعة الشخصية. فالواحد يتحمّل الآخر طالما اقتضت مصالحه، وإذا لم تكن مصالحه تقتضي ذلك فسيكون على استعداد للقضاء عليه وإفنائهم. هذا أيضاً نوع من المجتمعات، هذا المجتمع مجتمع جاهلي، يختلف عن مجتمع تسوده مكارم الأخلاق ويسمّى المجتمع الإسلامي. ميزة بعثة رسول الإسلام ﷺ هي الدعوة لمكارم الأخلاق، وهذا عنصر ونقطة أخرى في الحياة الرسالية للنبي الأكرم ﷺ وبعثته. إذًا، يمكن في الواقع القول إنّ الأخلاق أحد الحدود والمميزات بين الإسلام والجاهلية.

4 – عدم تحديد [الأهداف والرؤى] في الحياة الدنيا

نقطة أخرى نجعلها الأخيرة هي عدم تحديد [الأهداف] والرؤى في الحياة الدنيا، وهذه نقطة أساسية. من خصوصيات النظام الجاهلي هو أن أفراده يرون كل شيء ملخّصاً في الحياة الدنيا. إذا استطاعوا الحصول على شيء في الحياة الدنيا من قبيل الأكل والنوم وما يحتاجه الإنسان، عدّوا أنفسهم فائزين رابحين. أما إذا تقرر أن يجتدّوا ويجهّدوا ويسعوا سعياً لا يحصل الإنسان على ثماره في هذه الدنيا، عدّوا أنفسهم مخدوعين مهزومين خاسرين، هذه من خصوصيات الحياة

الجاهلية. ليس في الحياة الجاهلية أن يعمل المرء عملاً يحتسبه عند الله والمعنوية ويوم الجزاء. وقد جعل الإسلام إحدى خصوصياته أن الحياة كلها وهم الإنسان كلها لا تتحدّد بالحياة الدنيا، هذه من خصوصيات البعثة والوضع المقابل لها هو الجاهلية³⁹.

أهمية الوحدة وضرورة السعي الدؤوب إلى تحقيقها

من الصدقات الجارية للثورة الإسلامية، التي تحققت بفضل الذهنية الواعية لإمامنا الخميني الراحل {، أن تُعلن أيام ولادة النبي الأكرم ﷺ أيامًا للوحدة بين المسلمين. إنّ هذه القضية لافتة من حيث إن الوحدة الإسلامية هي من الآمال. بعضهم يراودهم حقًا هذا الأمل، وبعضهم الآخر يتحدثون فقط، وكلامهم مجرد لقلقة لسان. على كل حال، لا بدّ لهذا الأمل من طريق لتحقيقه عمليًا.

ما من أمل يمكن أن يتحقق من دون سعي دؤوب وجدّ وجهاد. حين نفكّر بالسبل العملية لهذا الهدف والأمل، نجد أن من أفضلها وأعظمها هو هذه الشخصية الضخمة في عالم الخلقة، أي الكيان المبارك لرسول الإسلام العزيز ﷺ، ومركزيته لعواطف وعقائد العامة من المسلمين. قد لا يكون لنا بين حقائق الإسلام ومعارفه محور يتفق عليه المسلمون بكل آرائهم وعقائدهم وعواطفهم بهذه الصورة، أو أنه نادرٌ جدًّا، فالعواطف لها دور كبير، ما عدا بعض الأقليات والجماعات المنفصلة عن عامة المسلمين من الذين لا يعيرون أهمية للعواطف، ولا يبالون للمحبة والتوجّه والتوسل، فإنّ عامة المسلمين يحملون عواطف جيّاشة تجاه النبي الأكرم ﷺ. لذلك يمكن لوجود هذا الإنسان العظيم أن يكون محورًا للوحدة.

خصوصيات أعداء الإسلام والصحة الإسلامية في العصر الراهن

أريد اليوم بحضور مسؤولي البلاد رفيعي المستوى والشخصيات البارزة في العالم الإسلامي أن أركز تركيزًا خاصًا على هذه النقطة.

أيها الإخوة الأعزاء، أيتها الأخوات العزيزات، الوحدة اليوم حاجة أكيدة وحاسمة للمسلمين. لأعداء الإسلام والمسلمين في الوقت الراهن خصوصيتان، لم تكونا لهم طوال التاريخ. الأولى هي أنهم مجهزون تجهيزًا كبيرًا بالمال والسياسة والإعلام، ومختلف أدوات التأثير والنفوذ والإضرار بالغير. من هم أعداء الإسلام؟ إنهم جبهة الاستكبار، من الصهيونية إلى أميركا، إلى الشركات النفطية، إلى الكتّاب المرتزقة والمتقنين الذين يعملون لهم، ويتمتعون حاليًا بكل المعدات والأدوات اللازمة. لم تكن الجبهة المعادية للإسلام مجهزة بكل الأدوات اللازمة إلى هذا الحد الذي هي عليه اليوم.

الخصوصية الأخرى هي أنّ هذه الجبهة القوية المجهزة غدت اليوم حساسة جدًا حيال الخطر الذي يمثله الإسلام والصحة الإسلامية لها. وهذه الحساسية ناجمة عن أنّهم يرون أنّ الإسلام يستطيع أن يكون أكثر من مجرد توصية أخلاقية، وأن يظهر بمظهر الفكر الذي بوسعه إنشاء نظام. شاهد أعداء الإسلام أن الإسلام استطاع إيجاد ثورة، ورأوا أن الإسلام تمكّن من إيجاد نظام مستقر وثابت، كما رأوا أنّه استطاع توعية شعب بذاته وإخراجه من حالة الانهزام النفسي، وتحويله إلى حالة الاستقرار والاعتماد على الذات والاعتزاز بذاته ودينه. ووجدوا أن الإسلام يستطيع أن يمنح شعبًا من القدرة والقوة ما يجعل كل تلك الأدوات التي ذكرناها كليله عاطلة ضده.

بعد نحو سبعة عشر عامًا من انتصار الثورة وقيام نظام الجمهورية الإسلامية، اضطرت القوة الوحيدة التي تزعم أنها قوة عظمى في العالم لأن تتراجع أمام الجمهورية الإسلامية سياسيًا واقتصاديًا. هذه حالة مشهودة في الوقت الحاضر، ولا تخفى عن أعين المحللين التابعين للاستخبار العالمي. راح اقتدار الإسلام يعبر عن نفسه. هم لاحظوا أن أي فئة في العالم الإسلامي تنشد إصلاح مجتمعا وبلادها تتمسك بالإسلام. قبل انتصار الإسلام في إيران، كانت الجماعات التي تريد في مختلف البلدان رفع شعار الإصلاح تعتصم بالماركسية أو القومية المتطرفة، أما اليوم فحين ينظرون إلى البلدان الإسلامية يجدون أن المثقفين والشباب ورجال الدين والجامعيين وشتى فئات الشعب حين يريدون المناداة بالإصلاح يتمسكون بالإسلام. هذا يعبر عن القدرات والإمكانات العالية في الإسلام، وهذا ما يراه العدو، ولذلك صار حساسًا من الإسلام.

يقف العالم الإسلامي اليوم مقابل أعداء الإسلام والمسلمين الذين يتميزون بهاتين الخصوصيتين: الغدّة والتجهيزات غير المسبوقة والحساسية تجاه الإسلام أكثر من أي وقت مضى. فماذا سيفعل هذا العدو؟

أفضل وسيلة يمتلكها هذا العدو هي أن يزرع الخلافات بين المسلمين، خصوصًا بين الأجزاء التي يمكنها أن تكون ملهمة لسائر المسلمين. لاحظوا اليوم في البلدان الإسلامية المختلفة كم ينفقون من الدولارات النفطية وغير النفطية من أجل أن يضعوا الكتب وينسبوا عقائد عجيبة غريبة للشيعية. في وقت من الأوقات، جمعت عددًا كبيرًا من هذه الكتب، فوجدت أنهم كتبوا الكثير منها. تعمل وتجّد أحذق العناصر الإعلامية لإعداد وإصدار هذه الكتب الرامية لتأجيج الخلافات، ولفصل جزء من العالم الإسلامي رفع راية الإسلام، وتمثّل إيران الإسلامية قمته وذروته – وكذلك بقية المناطق التي استطاعت بفضل الإسلام السير لحرب مصاعب الحياة ومنازلة القوى العاتية – عن باقي أجزاء العالم الإسلامي.

في العالم الإسلامي، اليوم، الكثير من الأموال والأفكار، وطاقات بشرية جيدة، وعدد كبير من العلماء والشعراء والكتّاب والفنانين والشخصيات السياسية المبرّزة، وجزء كبير من المصادر المالية الهائلة والمصادر الجوفية العالمية – المعادن والمواد الجوفية التي منّ الله بها – موجودة في البلدان الإسلامية. وإذا كانت هذه الطاقات متعاضدة وفي سياق واحد، أو لم تكن ضد بعضها بعضًا على الأقل، لاحظوا ما الذي سيحدث في العالم! والعدو يعمل ما من شأنه أن تصطف كل هذه

المصادر البشرية والمالية في العالم الإسلامي ضد بعضها بعضاً. حرّضوا النظام العراقي، وأشعلوا لثمانية أعوام حرباً مدمرة في المنطقة، ثمّ ساعدوه لاستئصال هذه الغرسة الفتية من جذورها استئصالاً تاماً، ولم يستطيعوا ذلك طبعاً.

{ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ } : هذه هي سمة الكلمة الإسلامية، إنها عصية على الاستئصال، { وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ 24 تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا }⁴⁰.

إنهم في الوقت الحاضر يبذلون قصارى جهدهم السياسي، لذا فإنّ استنتاجي وفهمي وتصوّري وتوصيتي بصفتي خادماً وشخصاً يرى مؤامرة العدو ويشعر بها، توصيتي للإخوة المسلمين هو أنّ الاتحاد بين المسلمين ضرورة حيوية للمسلمين في الطرف الراهن. الاتحاد ليس هزلاً أو شعاراً. على المجتمعات الإسلامية أن تحقّق اتحاد الكلمة في ما بينها بكل جد، وتتحرك تحرّكاً متناسقاً موحّداً. وبالطبع، فإن الوحدة قضية معقدة، وتوفير الوحدة عملية معقدة. الاتحاد بين الشعوب الإسلامية حالة تنسجم مع اختلاف المذاهب واختلاف أساليب الحياة وأعرافها وتقاليدها، وكذلك مع اختلاف المناحي الفقهية. معنى الاتحاد بين الشعوب الإسلامية هو أن يتحرك المسلمون في اتجاه واحد، في القضايا ذات الصلة بالعالم الإسلامي، ويساعد بعضهم بعضاً، ولا يستخدموا أرصدتهم ضد بعضهم بعضاً.

شخصية النبي الأكرم ﷺ وتعاليمه..

محور الوحدة بين مسلمي العالم

من الأمور التي يمكنها أن تمثل قطبًا في هذا المجال هو الوجود المقدس للنبي الأكرم ﷺ. يجب على المسلمين والمتقنين الإسلاميين أن يركّزوا على شخصية هذا الإنسان العظيم وتعاليمه ومحبتّه، بنظرة شاملة مستوعبة للإسلام. من العوامل التي يمكنها أن تكون محورًا لهذه الوحدة، وبوسع جميع المسلمين كلهم أن يتفقوا عليها، اتباع أهل بيت الرسول. فجميع المسلمين يؤيّدون أهل بيت الرسول، طبعًا الشيعة يعتقدون بإمامتهم، وغير الشيعة لا يعتبرونهم أئمة بمعنى الإمامة كما هي في المصطلح الشيعي، لكنهم يعتبرونهم من الشخصيات الكبرى في الإسلام، وأهل بيت الرسول وعائلته، وأصحاب معرفة وإطلاع على المعارف والأحكام الإسلامية. يجب على المسلمين أن تكون لهم وحدة كلمتهم في خصوص العمل بكلمات الأئمة عليهم السلام وأهل بيت الرسول. هذه إحدى وسائل الوحدة.

طبعًا، هذه عملية فنية تخصصية، لها مقدماتها وليست بالعملية اليسيرة. من هم من أهل الفن والحديث والعلوم ذات الصلة بالحديث من يعلمون ما هي مقدمات هذه العملية؟ يجب الاتفاق على معايير فهم الحديث وتلقيه واحتمالاته ومعايير صحته واعتباره، ويجب الاتفاق على رجال الحديث. في الماضي، عملت أجهزة الخلافة العباسية والأموية بطريقة تخرج معارف أهل البيت من ذهنية العالم الإسلامي، لذلك قلّ ما نقلت رواياتهم. يروي المحدث الحديث، ولا فرق عنده في نقل الحديث عن الحسن البصري أو قتادة أو غيرهما. فلماذا لا ينقل عن جعفر بن محمد؟! أجهزة خلافة الرشيد والمأمون والمعتصم والمتوكل وأمثالهم هي التي منعت ذلك وأغلقت الطرق، وبعضهم كانوا يتهمون رجال الحديث. لذا، من الأعمال التي يجب أن تنجز وتحصل التصرّور

المشترك بخصوص مقدمات الحديث. تقع على العلماء واجبات في هذا الخصوص، وتقع على المفكرين الإسلاميين وظائف وواجبات على هذا الصعيد.

كم هو مؤسف ومحزن أن يهتم ذهن المفكر الإسلامي الذي يجب أن يكتب لأجل عزة المسلمين ورفع راية الإسلام، بالمسائل الخلافية، وبث الخلافات، وخلق المعارك والفواصل بين المسلمين، وأن يكتب ويعمل في هذا الاتجاه. يتهم هذا ويخرج ذاك من الدين! يجب على علماء الدين واجبات كبيرة لتحقيق الوحدة وتوفير مقدماتها، وليس المقصود علماء جانب واحد، بل علماء الجانبين.

أيها الإخوة والأخوات، أحياناً يستخدم العدو من أجل خلق الفرقة والخلافات – بين الشيعة والسنة – أشخاصاً قد لا يكونون مغرضين قاصدين. تحدث في المجتمع الشيعي أمور تثير حفيظة الإخوة المسلمين غير الشيعة وحساسيتهم. ومثل هذه الشيء يحدث في المجتمع السني في ما يتعلق بالأمور التي يتحسس منها الشيعة ويكرهونها. من الذي يقوم بهذه الأعمال والممارسات؟! هناك عدو واحد أمامنا اليوم، هذا فضلاً عن وجود كتاب واحد، وسنة واحدة، ورسول واحد، وقبله واحدة، وكعبة واحدة، وحج واحد، وعبادات واحدة، وأصول عقيدية واحدة في المجتمع الإسلامي. طبعاً ثمة اختلافات أيضاً، وهذه الاختلافات العلمية قد تقع بين اثنين من العلماء. بالإضافة إلى كل هذا هناك عدو واحد أمام العالم الإسلامي. قضية الاتحاد بين المسلمين قضية جدية. هكذا ينبغي التعامل مع هذه القضية. كل يوم تتأخر فيه هذه القضية يخسر العالم الإسلامي، وهذه الأيام بعضها حساسة إلى درجة أنها قد تؤثر لحقبة طويلة من الزمن. يجب ألا تسمحوا بتأخر الوقت وفواته.

لقد سارت الجمهورية الإسلامية في هذا الطريق من البداية بفضل من الله تعالى. وقد كان إمامنا الخميني الجليل (رضوان الله عليه) رائد هذا الدرب، وبذل الكبراء والمسؤولون والخطباء والكتاب والأجهزة المختلفة والمفكرون في العالم الإسلامي الكثير من المساعي، لا تسمحوا بضياح هذه الجهود.

نتمنى أن يعيننا الله تعالى، ويرسخ الخطى ويثبت الأقدام ويهدي القلوب في هذا السبيل، ويعاضد أيدي الوحدة فتلتحم بقوة ودفء، ويقرب القلوب من بعضها بعضاً أكثر فأكثر إن شاء الله⁴¹.

بعثة النبي الأكرم ﷺ يوم ولادة أعظم المفاهيم والقيم وأشرفها

يوم البعثة هو على التحقيق أعظم الأيام في تاريخ البشرية. إنه يوم ولادة أعظم وأشرف المفاهيم والقيم. بعثة النبي الأكرم ﷺ

كانت خطوة عملية لأخذ البشرية من ناحية إلى الغاية، والقمة في الكمال الفردي والروحي والمعنوي، وأخذها من ناحية ثانية إلى سمو الحياة الاجتماعية وإصلاح وضع المجتمعات. ما أهدي للناس في البعثة ليس مجرد عدد من المفاهيم الجافة. منذ اللحظة الأولى تجسدت هذه البعثة في وجود هذا الإنسان العظيم نفسه، ثم في أرواح وأعمال المؤمنين بهذه الرسالة، وتلقت الجاهلية منذ البداية ضربة من هذه الرسالة، فراحت تواجهها وتحاربها. هذه هي خصوصية بعثة الأنبياء.

هذا الأمر لا يختصّ بنبوة الرسول الخاتم. يسير الأنبياء ويبرزون في أعمالهم ما يهدونه للبشرية على مستوى التعليم، هم أنفسهم أول من يسير في هذا الدرب.

{ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ }⁴²: فرع على أنّ علم الكتاب والحكمة متوافر في الوجود المقدس للنبي الأكرم بدرجاته العليا. { وَيُزَكِّيهِمْ }⁴³: فرع على أنّ ذلك الكيان المطهر، زاكٍ متزكٍ بأرفع درجات التزكية الممكنة في الطبيعة البشرية. وبهذه القوة والطاقة يستطيع السير بعالم كامل نحو التزكية. هذا هو الشيء الذي لا نصيب لقادة المدارس المختلفة ورواد المفاهيم الفلسفية والاجتماعية والسياسية المتنوعة منه. هؤلاء أشخاص تخطر ببالهم أمور، ويفهمون في عالم التصور بعض الأشياء، فيروونها للناس وينقلونها إليهم. وبعض الناس يتعلمون منهم وبعضهم الآخر لا يتعلمون. هذا يختلف عن درب الأنبياء التي تكون فيه الحركة هي السابقة والممارسة

العملية هي المتقدمة، ويكون تحقيق الشعارات التي تجري على ألسنهم مشهودًا في أعمالهم وممارساتهم منذ بداية الشوط. وهذا ما حصل تحديدًا في حياة النبي الأكرم ﷺ.

بدأ التعليم والتزكية والسير في سبيل إقامة القسط منذ اللحظة الأولى. ولذلك بدأت الصدامات والمعارضات منذ اللحظة الأولى، منذ أن وسّع النبي الأكرم ﷺ من دعوته استجابة للنداء الربّاني: { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ }⁴⁴، وإلى حين نشرها وإعلانها علاناً عامة، وإلى حين حركته باتجاه النظام الاجتماعي – وهو نظام العدل – وإقامته هذا النظام. طبعًا، ما نشاهده ونصفه في البعثة هو السياق الظاهري للبعثة. أما تلك الحقيقة الإلهية والملكوتية والشيء الذي يحدث بين الخالق المتعال وإنسان ممتاز مختار فهو خارج حدود طاقاتنا الذهنية، ولا ندري ما الذي حدث. الحدث من هذه الناحية عظيم إلى أبعد الدرجات، وخارج حدود تصوراتنا. ما نراه ويمكننا أن نتصوره يفهم منه كل إنسان بمقدار فهمه وتدبره، وتترك هذه الحادثة تأثيراتها على المتلقين والبشر والعالم المحيط بها.

هدفان واضحان للبعثة

١ - الإيمان بالله والتوجه إليه

منذ بداية وقوع هذا الحدث كان فيه شيان اثنان كهدفين واضحين: أحدهما إيجاد التحرك الداخلي والروحي والنفسي لتوجيه باطن الإنسان نحو الله تعالى. هذه النقطة الأولى. إنها قضية الإيمان والتوجه لخالق العالم وربّه، وعلى حدّ تعبير الكثير من الآيات القرآنية «الذكر». ما يمنحه الله تعالى للبشر بالدرجة الأولى عن طريق البعثة هو الذكر والتذكّر ووعي الإنسان لنفسه، هذه هي الخطوة الأولى. وما لم تحصل هذه الخطوة فلن يتحقق أي من أهداف النبوات والبعثات: { إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ }⁴⁵، الذي يوفر في نفسه هذا الذكر ويتبعه سيكون بعد ذلك جديراً بالإنذار والإصلاح والإرشاد والتكامل والكفاح في سبيل الأهداف الاجتماعية، هذه هي الخطوة الأولى.

حين تغفل الإنسانية عن المعنويات فسوف تتغلق في وجهها كل أبواب الإصلاح والصلاح. انظروا للعالم المادي اليوم! ما يمكن أن يُعدّ في العالم المادي اليوم مفتاح كل الإصلاحات والسعادات هو أن يصحوّ الناس على أنفسهم، ويتذكروا ويبحثوا عن هدف الخلقة من وراء هذه الظواهر المادية، إذ ينبغي أن يفتشوا وراء هذه الظواهر المادية للحياة والتمثلة بالأكل والنوم والشهوات، والسلطة والمال، وما إلى ذلك من حقيقة معينة. انتظر إلهام معين وتوقعه، الإصغاء إلى أوامر مصدر ومبدأ حاكم وقادر وصاحب تحكّم من وراء الغيب، هذا هو أصل القضية. وعلى حد تعبير القرآن الكريم أيضًا، فإنه «الإيمان بالغيب»: { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ }.⁴⁶ ينبغي ألا يغرق البشر في هذه الظواهر المادية للحياة، وألا يختزلوا الحياة في الأكل والنوم والشهوات والميول البشرية والسلطة والرئاسة وما إلى ذلك. هذه هي الهدية الأولى التي تقدمها البعثات إلى

البشرية وهو أول أهداف الأنبياء؛ أن يذكروا البشر ويمنحوهم الإيمان، والإيمان هنا هو الإيمان بالغيب.

2 - تحقيق مجتمع سليم وعادل

الهدف الثاني الذي رنا إليه الرسول منذ اللحظة الأولى هو توفير بيئة سليمة ونزيهة لمعيشة الإنسان وتفاعل الحياة البشرية. عالم لا يكون فيه ظلم وتمزيق للضعيف من قبل القوي، عالم لا يكون فيه حرمان وإخفاقات مطلقة للضعفاء، ولا تسوده قوانين الحروب. وهذا هو ما يُسمّى في المصطلحات القرآنية والحديثية والدينية بـ«القسط والعدل»، وهذا هو أكبر آمال البشر. أكبر آمال البشر منذ فجر التاريخ الإنساني (أي منذ أن اكتسب الإنسان شيئاً من العقل والتفكير وراح ينظم أمور حياته ويرتبها)، وإلى يوم البشر هو طموح تحقيق العدالة. إذا كان بعضهم يرفعون شعار السلام، والسلام طبعاً شيء حسن جداً، فإنّ السلام حسنٌ حين يكون سلاماً عادلاً. والكثيرون يختارون الحرب من أجل تحقيق العدالة، فيقاتلون في سبيل العدالة. لذا يتبين أن العدالة أهم وأرقى من السلام، وهذه هي الحقيقة.

حياة البشر من دون عدالة هي الشيء الذي تلاحظونه في أقرب وجوه التاريخ البشري، وهو شيء يلاحظ اليوم أيضاً هنا وهناك من العالم. كلّ التعاسات التي تشاهدونها في شتى المجتمعات راهناً ناجمة عن الظلم وانعدام العدالة. قد لا تفصح ظواهر الأمور عن هذا الشيء، لكن باطن القضية هو هذا. إذا كنتم تشاهدون الأطفال يموتون من فقدان الغذاء في رقعة من العالم، فظاهر القضية هو أنّ ما حصل بسبب عدم هطول الأمطار والجفاف، لكنّ باطن القضية شيء آخر. باطن القضية هو انعدام العدالة، ولو كان العدل سائداً في ذلك المجتمع منذ الأجيال السابقة، وإذا كانت العدالة سائدة على بيئة الحياة البشرية، لاستطاع الإنسان في ظل هذه العدالة أن يشيّد حياته بطريقة مقبولة؛ بحيث لا يعاني أبناؤه من البؤس والتعاسة، ولا تكون الحياة على هذا القدر من القبح والآلام. الناس يصابون بهذه الأمراض والآلام نتيجة انعدام العدالة.

تأمين العدالة هو أول أهداف الأنبياء كلهم إلى جانب قضية «الذكر» التي أشرنا إليها. هذان هما الهدفان الرئيسان. طبعاً، أحدهما أهم من الثاني، ألا وهو قضية الذكر. فالذكر هو أساس القضية وجذرها. إذا كانت الغفلة فلن يحصل شيء ولن تتحقق العدالة. لذلك لاحظوا الأنظمة والأشخاص الذين نادوا بالعدالة الاجتماعية أخفقوا في إهداء مجتمعاتهم شيئاً من سنخ العدالة. بلى،

منحورهم أشياء أخرى، من قبيل فتح الفضاء والصواريخ العابرة للقارات، لكنهم لم ينجحوا في تكريس العدالة الاجتماعية في مجتمعاتهم! فالعدالة الاجتماعية تحصل في ظل إصلاح الإنسان، وإصلاح النفوس والبيوطين، وفي ظل التوجه لله وذكره. هذان كانا هدفي الرسول الأكرم ﷺ، وقد استطاع تحقيقهما، وإن في دائرة محدودة.

لقد أوجد مجتمعا ذاكرًا لله وواعيًا، ويتمتع بالحد الأعلى من العدالة الاجتماعية. قد يحصل في زاوية من زوايا ذلك المجتمع أن يظلم إنسان إنسانًا، بيد أن هذا ليس ملاكًا لانعدام العدالة. ملاك وجود العدالة أو انعدامها هو استقرار العدالة الاجتماعية وسيادتها وتكريسها. في المجتمع الذي يكون فيه القانون والسلطة عادلين، والحاكم عادلًا، والنوايا نوايا عادلة، تتجه المسيرة العامة صوب العدالة الاجتماعية. قد يجري طي هذا الطريق والفراغ منه عاجلاً أو آجلاً، وقد يستغرق ذلك مدة من الزمن، لكنه سينتهي أخيراً إلى العدالة الاجتماعية. لقد أوجد الرسول الأكرم ﷺ مثل هذا الوضع والواقع. لم يطق ولم يوافق صلوات الله وسلامه عليه وآله أدنى انعدام في العدالة. عرض النموذج الصالح، وقد شهدنا إلى فترات طويلة بعد رحيله ﷺ آثار تلك التربية في المجتمعات الإسلامية، وشهدنا خلال فترة خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام تلك العدالة المطلقة نفسها متجسدة في شخص الحاكم المطهر العظيم في العالم الإسلامي آنذاك.

هاتان الخصوصيتان من سمات البعثة. إننا إذ نحتفل بالبعث، فلإحياء هذه الخصوصيات، نحتفل لإحياء الشخصيات والدروب والطرق والأحداث واستلهاهم الدروس والعبر منها⁴⁷.

ولادة رسول الإسلام ﷺ رحمة إلهية دائمة للبشر

كانت هذه الولادة الكبرى ولادة أرقى نموذج للرحمة الإلهية على البشر؛ لأن وجود هذا الإنسان العظيم وإرسال هذا الرسول الكبير كان رحمة الحق تعالى على عباده. فكانت ولادة الرحمة: { وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ }⁴⁸. يا لها من أعباء ثقيلة كانت على عاتق كل أبناء البشر في ذلك الحين! يا لها من أغلال مجهدة ضُربت في تلك الأزمنة على أعناق الإنسانية!، وكذا الحال اليوم أيضاً. لو قال قائل إنّ الأعباء التي تُثقل على عاتق البشرية رahnًا ليست بأقل من الأعباء الجسيمة التي كانت تُثقل على عاتق الناس الجاهليين في جزيرة العرب يومذاك، لما قال شططاً. الظلم الذي يمارس ضد أبناء البشر، والحقوق التي تُغمر في المجتمعات البشرية، وتغليب الماديات في حياة الإنسانية وإقصاء المعنويات عن بيئة الحياة البشرية، وهي أمور تفرض في الوقت الحاضر على أبناء الإنسانية بالقوة وبأساليب مختلفة، هذه كلها أعباء على عاتق البشرية. ما تشعر به البشرية اليوم في حقبة الحضارة الصناعية، وتحت إشعاعات المادية البرّاقة الخادعة، أثقل وأصعب – وفي بعض الأحيان – أمرٌ ممّا كان الناس يشعرون به ويثقل على كواهلهم في ظلمات الجاهلية عند ظهور الإسلام!

حاجة المجتمع البشري إلى تعاليم الإسلام

إذا تنبّهت الإنسانية في هذا العصر لهذه الرحمة – رحمة وجود الإسلام ورحمة التعاليم النبوية وينبوع الوحدة الفيّاض – ووجدتها ورّوت ظمأها منها، فسوف تزول المشكلة الأكبر للبشر. مع أن الحضارات الموجودة في العالم اليوم قد استفادت بلا شك من تعاليم الإسلام، ولا مرأى أنّ ما يوجد من صفات وأساليب جيّدة ومفاهيم سامقة بين البشر مستمدة من الأديان الإلهية وتعاليم الأنبياء والوحي السماوي، وجزء كبير منها يعود إلى الإسلام، لكنّ البشرية اليوم بحاجة إلى المعنوية الإسلامية، والنقاء والخلوص الإسلاميين، والمعارف الجليلة الواضحة والحقّة والجذابة في الإسلام، والتي يتقبلها ويفهمها كل قلب منصف. ولهذا اكتسبت الدعوة الإسلامية في العالم أنصارها، وتقبّل الكثيرون من غير المسلمين الدعوة إلى الإسلام. وتقبّل دعوة الإسلام لا يعني بالضرورة تقبّل الدين الإسلامي والدخول فيه رسمياً، إنما هذه مرحلة من تلك المسيرة. ومرحلة أخرى هي أن يتقبّل الناس في العالم رسالة الإسلام ومعارفه وحقائقه واقتراحاته بخصوص هذه المسألة أو تلك. اليوم حينما تقف الشعوب أمام رسالة الإسلام تشعر بأشياء مفيدة لها، وتملأ فراغات حياتها. ما يطرحه الإسلام حول قيمة الإنسان وأهميته وأهدافه، وما يقوله الإسلام حول العائلة والمرأة وأهداف العلم والعلاقات بين المجتمعات والعلاقات الاجتماعية بين الأقوياء والضعفاء، أشياء عندما ينظر إليها الذين يعيشون تحت مظلة الحضارات المتنوعة يشعرون أنّ عُقد حياتهم تنحلّ بهذه الأشياء وتزول. لذا، فإنّ رسالة الإسلام لها جاذبيتها. ولهذا السبب، فإنّ تعامل الاستكبار العالمي والأجهزة الإعلامية العالمية – المرتبطة بمراكز التعسف والظلم ومحاربة الإنسان – مع رسالة الإسلام تعاملٌ عنيف شديد الخصومة.

منذ أن تأسس نظام الجمهورية الإسلامية – الدالّ على تحقّق الإسلام على مستوى الحياة في بلد من البلدان والذي يثبت تحقيق الاقتراح السياسي للإسلام – في بقعة من بقاع العالم، وظهرت الجمهورية الإسلامية في إيران، تضاعفت الخصومات ضد الإسلام والقيم الإسلامية من القوى الظالمة المستكبرة على مستوى العالم. طالما كان الإسلام في المساجد وفي زوايا القلوب، وما لم ينزل الإسلام إلى ساحة السياسة والكفاح والحكم والميادين الدولية الكبيرة، لم تكن أقطاب الظلم والطغيان العالمية تشعر بالخطر منه حتى تشتبك معه وتصطدم به. ومنذ أن رفع النظام الإسلامي راية الحكم في هذا البلد، واستجاب المسلمون من أقطار العالم لنداء الإمام الخميني الراحل العظيم (رضوان الله عليه) وأبدوا ميولهم وحبّهم نحوه، سارت جماعات كثيرة في هذا الاتجاه، وغدت شعارات إحياء الإسلام ثانية شعار الساعة لدى المسلمين، من حينها ازدادت الخصومات ضدهم وتضاعفت⁴⁹.

البعثة.. نقطة انطلاق البشرية في مسيرتها التكاملية

في إطار تقييم واقعي، يجب القول حقًا إنّ ما حدث في مثل هذا اليوم – في لحظة بعثة نبي الإسلام المكرّم – هو أكبر حدث في تاريخ البشرية، وقد ترك آثاره على حياة الإنسانية. قضية البعثة قضية عجيبة جدًا ومهمة وزاخرة بالأحداث والمعاني، وممكنة الدراسة والتأمل والتدقيق.

وبالطبع، فإنّ جميع البعثات على هذه الشاكلة. فكل الأنبياء الإلهيين مرّوا بمرحلة مهمة في امتحاناتهم بخصوص البعثة. عند بعثة النبي موسى، وعند بعثة النبي عيسى، وبعثة النبي إبراهيم وغيرهم من الأنبياء العظام، حصل شيء هائل جبار، لكنّ بعثة خاتم الرسل والأنبياء ﷺ لها خصوصيات لا يمكن أن نقع لها على نظير.

في الوقت الراهن، وبمناسبة المسؤولية الكبرى التي ألقاها الإسلام على عواتقنا – نحن الشعب الإيراني – تجاه البشرية، بودّي أن أذكر نقطة حول البعثة. عسى أن تحضّنا إن شاء الله على تحرّك وجهود مناسبة في هذا المجال وتدفعنا لمواصلة المسيرة.

ينبوع البعثة، هذا الذي تفجّر في مثل هذا اليوم في القلب المقدّس للنبي الأكرم ﷺ وجرى منه، له مسار مهم؛ أي إنّ القضية لم تختتم في حدود أنّ الله تعالى فجّر حقيقة ونورًا في قلب إنسان ممتاز مختار. فهذه هي الخطوة الأولى وبداية الأمر. بالطبع، إنها أهم أجزاء القضية. تألّق هذا النور في القلب المقدّس المبارك للرسول الأكرم ﷺ، وتحمل مسؤولية الوحي من قبل الخالق العظيم، وهو الجزء الذي يربط بصراحة عالم الخلقة والوجود الإنساني والعالم المادي بمعدن الغيب. هنا حلقة الوصل. مع أن البركات والخيرات الإلهية كانت دائمة على طول هذا السياق والمسيرة التي سنتحدث عنها، تفيض على البشرية بالنور والخير في طريقها، لكنّ حلقة الوصل

إنما كانت في لحظة البعثة، حيث تنزلت الحقائق الإلهية من معين الغيب في البعثة – وهذه الكلمة لوحدها تكفي – على الروح المقدسة للرسول الأعظم ﷺ، وجرت وتفجرت في قلبه المقدس. إذًا، الخطوة الأولى هي حصول هذه البعثة.

ينفتح باب من الحقائق على هذا الإنسان الملكوتي، فينطلق وهو المستعدّ لامتحان وتحمل الأعباء والمشاق والمصائب، في مسيرته الكبرى منذ تلك اللحظة الأولى. لذا فإن قضية البعثة تختلف عن قضية التعليم، أي إنها سابقة على التعليم. طبعًا مائدة التعليم والتربية الإلهيين ممدودة دومًا للأنبياء وللأولياء: { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ }⁵⁰، وقد كانت ممدودة إلى آخر المطاف.

تعليم وتأديب الرسل باعتبارهم تلامذة الباري (عزّ وجلّ) الخواص حالة موجودة، لكن البعثة هي شيء يأتي بالإضافة إلى ذلك التعليم. في البعثة ثمة تعليم وتهذيب وتزكية، وفيها إتيان بالكتاب والحكمة. لكنّها لا تقتصر على هذه الأمور، إذ ثمة شيء بالإضافة إلى ذلك هو البعثة والإرسال إلى الناس.

يبحث هذا الإنسان ليستثمر الرصيد الذي منح له، ويأخذ بواسطته البشرية إلى الهدف الذي يجب أن تصل إليه؛ أي إنه يبدأ المسيرة والحركة، هذا هو معنى البعثة. وبعد أن تبدأ الخطوة الأولى والمسيرة بتدفق الوحي الإلهي على القلب المقدس للرسول الأعظم ﷺ وتحمله هذا الوحي، يبدأ مضمون البعثة – وهو مضمون جديد ومعنى صناعة عالم جديد وإسقاط المؤسسات الباطلة والظالمة والعدوانية – أي تحقيق البعثة في الواقع الخارجي، وهو ما يحتاج إلى الكفاح.

كفاح الرسول ﷺ ثلاثة وعشرين عامًا لإبلاغ الرسالة الإلهية

وبالتالي، فإنّ الخطوة الأولى من بعد البعثة هي النهضة والكفاح والحركة. ما من نبي استطاع دون كفاح قطع هذا الطريق وإيصال هذه الأمانة إلى مقصدها وإبلاغ هذه الرسالة إلى الناس. الناس التي تحصل البعثة بينهم وفي أوساطهم وبيئتهم لا يتقبلون ذلك العالم الجديد الذي تقترحه البعثة عليهم بسهولة. لذلك تنطلق حالات المعارضة للرسول، والأنبياء هم أكثر الناس أعداء ممن يحملون أعباء أمانات حقّة، وقد واجهت البعثة منذ يومها الأول هذه الخصومات والعداوات، وكفاح النبي الأكرم ﷺ انطلق منذ اليوم الأول، واستمر هذا الكفاح إلى لحظة وفاة النبي الأكرم ﷺ على مدى ثلاثة وعشرين عامًا.

لاحظوا أي سنوات مباركة كانت هذه الأعوام الثلاثة والعشرون. ثلاثة وعشرون عامًا ليست بالعمر الطويل أو الزمن الكثير. قد تعرفون الكثير من الأشخاص لا يستطيعون طوال عشرين عامًا أو على مدى ثلاثة وعشرين عامًا أو خمسة وعشرين عامًا أن يقوموا حتى بعمل واحد جدير بالذكر. عادة ما تمرّ الأعمار ويقضيها أصحابها بالشؤون الفردية الشخصية. لو نظرتم في حياة الشخصيات الكبرى – العلماء أو الفلاسفة أو السياسيين – فسترون حدود إنجازاتهم وأعمالهم طوال ثلاثة وعشرين عامًا – طبعًا على اختلاف قدرات الأشخاص وإمكاناتهم – وستجدون أنّهم لم يقوموا بالضرورة بأعمال كبيرة جدًا. ولكن لاحظوا بركات هذه الأعوام القصيرة، ثلاثة وعشرون عامًا قضاها الرسول الأكرم ﷺ بعد البعثة، كم هي كبيرة ومباركة! استطاع في قلب الجاهلية وفي قلب القرون الجاهلية العالمية – لا في المنطقة الجاهلية وحسب، بل في القرون الجاهلية للبشرية وتراكم ظلمات الجهل – أن يشيّد صرحًا ويضيء مشعلًا سيزداد نوره طوال التاريخ يومًا بعد يوم، ويهدي مزيدًا من البشر ويأخذ بأيديهم إلى الصراط المستقيم.

دور تأسيس الحكومة الإسلامية في توفير المناخ العادل السليم

بدأت هذه المسيرة واستمرت ثلاثة عشر عامًا كمرحلة أولى من حياة النبي خلال فترة البعثة، إلى أن انتهت بتأسيس نظام حكم. إذًا، الخطوة التالية هي تأسيس نظام حكم قائم على أساس أفكار البعثة ومحتواها. وبهذا تدركون بشكل واضح أن أقوال الذين يحاولون إظهار الدين، وخصوصًا الدين الإسلامي منفصلًا عن الحكم، إنما هي أقوال خاطئة. طبعًا، كل الأديان من هذه الناحية على سياق واحد، بيد أن هذه الدعوى بشأن الإسلام عجيبة جدًا، أن يريد بعضهم فصل الدين الإسلامي عن الحياة والسياسة وإدارة البلاد ونظام الحكم، ويستبعده ويفصل بين هذا وذاك. منذ اليوم الأول الذي ظهر فيه الإسلام، سار في كفاح عسير نحو تأسيس نظام حكم ومجتمع معين. وبعد ثلاثة عشر عامًا، استطاع النبي الأكرم ﷺ تأسيس هذا النظام، طبعًا ليس في مدينته الأصلية ومسقط رأس البعثة، ولكن في منطقة أخرى من العالم يومذاك.

هذه هي الخطوة الثانية بعد ذلك الكفاح الطويل، توفير بيئة ومناخ ونظام على أساس هذه الأفكار. ما لم تكن لهذا النظام وهذه السلطة أرصدها من الأفكار الإلهية والإسلامية لا يمكن نشر الأفكار والأحكام والمفاهيم الإلهية في حياة البشر. وهذا تحديدًا على الضد من الرأي الخاطئ للذين يزعمون أن السلطة إذا امتزجت بالدين فسد الدين.

لا، القضية على العكس من ذلك، إذا كان الدين مصحوبًا بالاعتدال والسلطة فسيستطيع أن ينتشر ويتسع نطاقه، وتتحقق أهدافه وطموحاته، وتتوافر في المجتمع المبادئ والمثل التي يرفع الدين شعارها. وهذا غير متاح من دون الاعتدال والسلطة، إنما هو ممكن في السلطة. مثلاً، هل تتصورون أنه من الممكن توفير العدالة الاجتماعية في المجتمع بالنصيحة والتوصيات والتوسلات والرجاء؟! وهل يمكن تحقيق وتوفير العدالة الاجتماعية والقضاء على التمييز والمساعدة على

تكريس المساواة أمام القانون من دون سلطة على مستوى المجتمع بشكل ما، وعلى مستوى العالم بشكل آخر؟!

ما إن تقال كلمة حق في العالم حتى توجّه لها القوى العالمية ضرباتها إذا شخّصت أنّها من القوة والأهمية بحيث يجب توجيه ضربة لها، إلّا إذا اعتبروها ليست من الأهمية والخطر بحيث تستحق أن يوجّهوا لها ضرباتهم! وقد كان الوضع على هذه الشاكلة دومًا، والأمر لا يختصّ بالوقت الحاضر، حيث ترون أنّه أين ما ارتفع صوت الإسلام والفكر الإسلامي حتى راح المستكبرون وأصحاب الرساميل والشركات في العالم يدققون ليروا ماذا يقال حذرًا من أن تهدّدهم بعض الأخطار!

لقد كان الأمر دومًا أنه متى ما خرجت كلمة حق من لسان، أو قرّر قلب أو روح أو إنسان كبير أن يوصل كلمة الحق هذه إلى الأسماع، وإذا بالجدران والأسوار والقبضات الحديدية تنهال فجأة من الأعداء والمعارضين وتصطفّ أمامه وتنشئ جبهة معادية مقابله. وطبعًا يُهزمون ويُدحرون، فالباطل يُهزم مقابل الحق، وهذا مما لا شك فيه. إذا صمد الحق فلا شك أن الباطل سوف يندحر ويهزم، على أن المراد هو أنه من دون كفاح وجهود والسلطة لا يمكنها تحقيق الأفكار والمبادئ والطموحات الدينية، بل أي مبادئ وطموحات. بالطبع يمكن تحقيق بعض الأشياء والأمور بالنصيحة والكلم الطيب والموعظة الحسنة.

وعليه سعى الأنبياء أيضًا إلى تأسيس حكومات. وأوضح النماذج على ذلك هو رسولنا الكريم ﷺ الذي كافح وعمل منذ اليوم الأول، وركّز همّته على تأسيس نظام إسلامي، إلى أن تمكّن من ذلك في يثرب. ثم راح يدافع عنه، ووسّع النطاق واستمرت هذه الحركة إلى سنوات متمادية.

السير نحو تحقيق المبادئ معيار سلامة الحكومة الإسلامية واعتبارها

إذاً، الخطوة اللاحقة هي تأسيس نظام الحكم. على أن تأسيس نظام الحكم ليس هدفاً. هنا تكمن النقطة الأساسية، تأسيس نظام الحكم إنما هو من أجل تحقيق الأهداف والمبادئ. إذا تأسست الحكومة ولم تَسِرْ باتجاه تحقيق المبادئ فهي حكومة منحرفة. هذه قاعدة كلية، وهي المعيار. قد يطول تحقيق المبادئ والأهداف لسنوات، وقد تعتور المسيرة عقبات ومشكلات، إلا أن اتجاه نظام الحكم – اتجاه ومسار هذه السلطة التي تأسست – يجب أن يكون بالتأكيد صوب تلك الأهداف والمبادئ والمطامح التي رفعت شعاراتها وترفع، والواردة في نصوص القرآن الكريم والأحكام الإسلامية. إذا لم تكن مسيرة السلطة بهذا الاتجاه، فهي بلا ريب حكومة منحرفة. المعيار هو توفير العدالة الاجتماعية والنظام المستند إلى القانون، وتكريس الأحكام الإلهية في كل مكان.

إذا تكررست المقررات والأحكام الإلهية، وتوافر النظام المعتمد على الإسلام، وتحققت العدالة الاجتماعية، يكون قد تحقق هدف متوسط أو في الواقع تكون إحدى مراحل الدرب قد قطعت. والمرحلة التالية هي أن يجد الناس الذين يعيشون في هذا النظام بطمأنينة وبلا هموم وفي ظل العدل، الفرصة والشوق للتخلق بالأخلاق الحسنة. هذا هو ما أردت اليوم التشديد عليه، وأريد أن أقول إنه هو الهدف بعد تأسيس نظام الحكم، بل هو الهدف بعد تأسيس النظام العادل وتكريس العدالة الاجتماعية والحكومة الإسلامية الحقيقية، هذا هو الهدف اللاحق.

تخلق الإنسان بالأخلاق الحسنة؛ الهدف الغائي من تأسيس الحكومة الإسلامية

يجب أن يتخلق الناس بالأخلاق الحسنة، وطبعًا التخلق بالأخلاق الحسنة يؤدي إلى السمو والتكامل المعنوي والروحي والمعرفة الأرقى، وهي من أطوار الإنسان الكامل. ونحن لا نستطيع حتى أن نفكر فيها بصورة صحيحة، إنما سمع المرء من أهله وكبرائه بعض الأشياء. الطور الذي يتعلق بنا هو طور الأخلاق، الأخلاق، الأخلاق. لاحظوا أنّ الرسول الأكرم ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»⁵¹، وهذا حديث مروي بطرق الفريقين من شيعة وسنة.

هذه الـ «إنما» لها الكثير من المعنى، أي إنّ البعثة هي أساسًا لهذا الغرض، وهذا هو الهدف من البعثة، وباقي الأمور مقدمة، «لأتمم مكارم الأخلاق» من أجل استكمال مكارم الأخلاق بين البشر وأفراد المجتمع والناس وهذه الأمة، وإنمائها وترشيدها ونشرها بين الجميع ليكونوا كلهم بشرًا بالمعنى الحقيقي للكلمة.

يجب أن نكون بشرًا آدميين، فيتعيّن أن نعزز ونستكمل في أنفسنا الأخلاق الإنسانية، هذه هي الخطوة التالية المهمة جدًا. في المجتمع الإسلامي، وفي النظام الذي تكون أركانه أركانًا إسلامية، إذا كنا مبتعدين عن الأخلاق الإلهية، ونلهث وراء أهوائنا ونزواتنا وأنانيّاتنا وعبادتنا لذواتنا، ويحاول كل واحد أن يغتصب ويسلب من هذا وذاك من أجل أن يحصل على أكثر ويأكل ويعيش أفضل، وينال إذا اقتضت الضرورة أكثر من حقه، ولا يكون هناك صفح ولا تجاوز ولا إيثار، فأيّ حكومة ستكون هذه؟! أيّ إسلام وأيّ مجتمع إسلامي سيكون هذا؟!

هذا هو إذاً أساس القضية: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»⁵².

أعزائي، اعلّموا أنّ العالم اليوم بحاجة إلى هذا. العالم المادي للأسف محروم من هذه الخصوصيات تمامًا!

أما الأخلاق الإلهية ومكارم الأخلاق فقد جرى إيضاحها وتفصيلها في الشرع الإسلامي المقدس، سواء الأمور التي تتعلق بالإنسان نفسه – كالصبر والشكر والإخلاص والقناعة – أو ما يرتبط بعلاقة الناس في ما بينهم – مثل الصفح والتجاوز والتواضع والإيثار وتكريم الآخرين – أو الأمور ذات الصلة بالمجتمع الإسلامي كله. للأخلاق الإسلامية مديات واسعة جدًا. هذه هي الأمور والخصال التي بذل الأنبياء والأولياء وعظماء الأديان الإلهية – ونبيّ الإسلام الكريم ﷺ والأئمة العظام في الدين الإسلامي – جلّ جهودهم لأجلها ولأجل تحقيقها.

طبعًا في حكومة الجور قد يكون وجود هذه الأشياء نادرًا جدًا، ومن الصعب حصولها. فكما قلنا في النظام الذي يتأسس على الظلم والباطل والماديات – ومثال ذلك الحكومات الطاغوتية في العالم – من الطبيعي لا تتوافر مثل هذه الأحوال بسهولة. ولكن في النظام الإسلامي يمكن حصولها وتوافرها بسهولة أكبر، والعالم اليوم بحاجة إلى هذه السجايا والخصال.

يجب على مجتمعنا أن يقوم بتحريك أساسي كمتّم أصلي للثورة الإسلامية الكبرى، ولهذا التحريك الكبير مرحلتان: الأولى استقرار النظام ونشر الأخلاق الإسلامية بيننا، وتحويل أخلاق الناس إلى أخلاق قيمية، فتكون هذه الأخلاق قيمًا عند الناس، فقد سقطت هذه الأمور عن كونها قيمًا طوال فترة حكم الطاغوت في هذا البلد. الإنسان الصادق يُنظر له على أنه ساذج في أعين ذوي النظرات الناقصة القاصرة، إنه صادق أي يقول كل ما يعلم. لكنّ الإنسان الصالح والمنضبط والدقيق هو الذي لا يصدق في الكلام، ويغيّر الحقائق ويستطيع أن يحتال ويغش! هذا هو تغيّر القيم، وهذا ما حصل طوال فترة حكم الطواغيت والملوك الظلمة الجائرين الفاسدين المعادين للأخلاق، وللأسف تضعضت الأسس والمؤسسات الأخلاقية في بلادنا بدرجات كبيرة.

طبعًا ساعدت الحركة الثورية على استعادة المؤسسات الأخلاقية والأسس والمعنويات الأخلاقية في المجتمع لعافيتها، وبنت فيها روحًا جديدًا، ولكن لا بدّ من السعي أكثر، هذه هي المرحلة الأولى.

أما المرحلة الثانية، فهي أن تعلموا هذه الأمور للعالم. فالعالم اليوم بحاجة إلى هذه الأخلاق والقيم. البشرية على مستوى العالم تعاني من غياب الأخلاق، والإسلام والمسلمون بوسعهما تقديم أفضل هدية أخلاقية للشعوب والبشرية.

دور الاستكبار العالمي في الوضع المؤسف للمجتمع البشري راهناً

للأسف، أعظم جرائم الاستكبار العالمي اليوم هي أنها تنتشر وتشيع الكذب والخداع والغش والباطل في العالم بسلوكها. لاحظوا حالياً في الحكومات المستكبرة في العالم، والحكومة الأميركية على رأس كل الحكومات المستكبرة، وسترون فيها أفراداً مارسوا أكبر قدر من الاغتيالات في أنحاء العالم. رُوي في الآونة الأخيرة أنّ أحد الساسة الأميركيين ادّعى أنّ القتل والمفقودين الذين لفتوا أنظار العالم إليهم في غواتيمالا قُتلوا على يد السي آي أي، منظمة التجسس الأميركية السي آي أي التي تصطاد المعارضين السياسيين واحداً واحداً وتقضي عليهم فيفقدون، ويتكشف الأمر الآن!

في كل مكان من العالم، خصوصاً في أميركا اللاتينية والكثير من أرجاء العالم يمارس هؤلاء الاغتيالات والإرهاب وقتل البشر، ويدبرون الانقلابات ويرتكبون الجرائم. وفي إيران، شهدنا بأنفسنا هذه الحالات ورأيناها، وكذا الحال في مناطق أخرى من العالم. إنهم يدعمون أقبح وأسوأ الإرهابيين في العالم، ويمنحونهم الملجأ ويتعاملون ويتعاطون معهم كأصدقاء، ويحترمونهم ويكرّمونهم ويساعدونهم مالياً، ولا يزالون يفعلون ذلك. قدّموا أكثر الدعم والمساعدة للحكومة الإسرائيلية القائمة على الإرهاب والاعتصاف والظلم والعدوان، قدّموا الدعم لها علانية، لم يقدموا المساعدات بهذا القدر الذي قدّمه لإسرائيل حتى لأصدقائهم العرب! أميركا الآن لا تقدّم المساعدات للحكومات التي تربطها بها علاقات صداقة تقليدية بالقدر الذي تقدّمه لإسرائيل، والواقع أنّ صديقتها الحقيقية هي إسرائيل التي ترجّحها على كل تلك الحكومات. والحال أنّ إسرائيل حكومة قائمة على الإرهاب، فمنذ بداية نشوء هذه الدولة قامت على الإرهاب والاغتيالات

واصطياد المعارضين والكذب والظلم وسحق الآخرين وتقتيل البشر جماعياً! هذا هو دعمهم واحتضانهم للإرهاب والإرهابيين. وفي الوقت نفسه، ترفع أميركا حالياً راية محاربة الإرهاب.

هذا هو الكذب والخداع! وهذا هو الابتعاد عن الأخلاق وحرمان البشر من الأخلاق. هذا أفزع وأحزن من أي جريمة في العالم، أن يرى الإنسان أشخاصاً في العالم يزعمون حمل القيم والفضائل وهم أول أعداء تلك الفضائل.

العالم بحاجة إلى رسالتكم ودربكم وإلى الحقيقة التي تحملونها، وبحاجة إلى قرآنكم الكريم وبعثة رسولكم العظيم ﷺ، لكنكم ستستطيعون تعليم العالم يوم تكونون قد تعلمتم أنتم، نستطيع ذلك يوم نكون قد تعلمنا وعملنا مسبقاً⁵³.

تعالى حقيقة النبي الأعظم ﷺ على فهم البشر وإدراكهم

حول الوجود المقدس للنبي الأكرم ﷺ يجب القول أولاً إنّ معرفة هذا الإنسان العظيم بالنورانية غير ميسورة لأمثالنا. إنّ حقيقة هذا الكيان العظيم الكريم وهذا الإنسان الأعلى والأرقى في كل أطوار التاريخ، والموجود الأعزّ في كل عالم الوجود، تتعالى على الأبعاد المادية. إنّ الوجود العزيز لهذا الإنسان أعلى مما يدركه البشر بعقولهم وتجاربهم وحواسهم حين يفحصون نبوغ النوابع وعقولهم وعلومهم وتجاربهم فيضعون شخصية ما في مرتبة عليا ومكانة رفيعة، ويرتبون آخرين دونه، وآخرين دونهم وهكذا.

حتى لو لم تكن هناك أي رواية وأي آية وأي آثار شرعية، لاستطاع الإنسان أن يدرك ذلك بالدلائل والأمارات. هذا المعنى رفيع جداً، فأصحاب المعنويات والأرواح السامية يستطيعون إدراك بصيص من ذلك النور. ونحن إنما نرى ونعرف ونشعر بذلك الوجود العزيز العظيم بحواسنا الظاهرية وبما لنا من قيود وحدود.

في حدود هذه الأبعاد التي يستطيع كل البشر فهمها واستيعابها، لا يمكن مقارنة هذا الوجود العظيم بأيّ من عظماء البشر. لاحظوا مثلاً أنّ الوجود المقدس للإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام استرعى اهتمام وانبهار الكثير من الواعين والعلماء في العالم سابقاً وحاضراً، فاعتبروه شخصية كبيرة وكائنًا شبه أسطوري. ولكن هذه الشخصية نفسها بما لها من أبعاد وعظمة ما هي إلاّ تلميذ وابن صغير مقابل الوجود المقدس للرسول الأكرم ﷺ، ولا يرى لنفسه شأنًا حيال عظمة الرسول. لاحظوا أنّ شخصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تضيع في البحر اللامتناهي للكيان العظيم الذي تمثل في الرسول الأكرم ﷺ.

محبة الرسول الأعظم ﷺ النقطة الوحيدة التي لا خلاف عليها بين المسلمين

ما يتعلق بعالمنا في الوقت الراهن نقطة أصرّ عليها دائماً وهي وجود نقطة ومحور مشترك بين الفرق الإسلامية – وللمسلمين اليوم الكثير من المشكلات والمعضلات التي يعانون منها وينبغي لهم استخدام كل الوسائل لإنقاذ أنفسهم منها – لا يوجد أي اختلاف عليه بينهم. حتى بالنسبة إلى عقيدة التوحيد المنفق عليها قد يكون للبعض تفاسيرهم وكلامهم الذي لا يوافق عليه بعضهم الآخر، أما بخصوص هذه النقطة فلا يوجد أي اختلاف بينهم، ألا وهي محبة نبي الإسلام الكريم سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ. هذا محور اجتماع واتحاد بين المسلمين ينبغي العمل وبذل الجهود حوله. وسبق أن ذكرنا هذه النقطة، وقد بذل بعض ذوي الهمم العالية جهودهم على هذا الأساس ومن أجل اجتماع المسلمين وإيجاد اتحاد بينهم. واليوم أيضاً يوجد أناس ذوو همم عالية يجب أن يجتمعوا على هذا الأساس ويدعوا المسلمين إلى الوحدة ويصلوا بهم إلى أطوار من الاتحاد.

نذكر نقطة حول قضايا العالم الإسلامي بمناسبة بركات هذا المولود وخيراته، وهي أن يفهم المسلمون وضعهم الراهن ويعرفوه ويشعروا بأن أعداء الإسلام يتربصون بهم الدوائر ويرسمون مخططات رهيبية لمستقبل المسلمين! فضلاً عما فعلوه لحد الآن، مجرد المعرفة بهذا الوضع يجب أن تنبّه ذوي الضمائر اليقظة إلى تحريّ العلاج. والعلاج ليس أمراً سهلاً بسيطاً، لكن فيه نقطتان أو ثلاث نقاط أساسية:

نقاط أساسية في معالجة أمراض راهنة يعاني منها العالم الإسلامي

هناك بالدرجة الأولى قضية الوحدة والاتحاد بين المسلمين. يجب على جميع الفرق الإسلامية – من شيعة وسنة ومذاهب مختلفة داخل التسنن ومذاهب شيعية متنوعة – أن تأخذها مأخذ الجد. يجب على المسلمين أن ينظروا لقضية الوحدة الإسلامية في الوقت الحاضر بعين الجد. ومعنى الوحدة الإسلامية معلوم. ليس المراد بها أن تذوب المذاهب كلها في مذهب واحد، فبعض الناس يرفضون المذاهب الأخرى وينفونها من أجل حصول الاتحاد بين المسلمين. ورفض المذاهب الأخرى لا يعالج مشكلة، إنما إثبات المذاهب هو الذي يحل المشكلة. هذه المذاهب الموجودة حاليًا تمارس شؤونها العادية كلها في منطقة عملها ووجودها، ولكن ليحسّنوا من علاقاتهم مع بعضهم بعضًا.

إنني أرى بعيني أيدي متآمرة تعمل بشكل خطير جدًا خصوصًا في السنوات الأخيرة – بعد الهجمات التي بدؤها إثر انتصار الثورة، للتفرقة بين المذاهب الإسلامية، لكنها أحبطت بتحركات حاسمة من قبل الثورة الإسلامية وقائدها الإمام الخميني العظيم. الأعداء كانوا دومًا يعارضون اتحاد المسلمين، والتاريخ شاهد على هذا المعنى. أما اليوم حيث ارتفعت الراية الإسلامية المظفرة في هذه البقعة من العالم وبكل عظمة وعزة، فصاروا يخشون الوحدة الإسلامية أكثر من أي وقت مضى.

أعزائي، وجود الجمهورية الإسلامية في هذا العالم الكبير، ووجود هذه الدولة القوية وهذا النظام المقتدر والمستقل وهذا الشعب الشجاع والشامخ والفعال والكفوء والمتدين وهذا البلد الكبير وهذه الثورة التي أثبتت نجاحها لحد الآن في معظم الساحات – سواء في انتصار الثورة أو في

الانتصار على هجوم العدو الأجنبي في الحرب المفروضة، أو في مجال البناء والعمران – واستطاعت صيانة الوحدة الوطنية بشكل كامل، دعا أعداء الإسلام للتفكير بعمق. إنهم يخافون لأنهم يجدون أن لهذه الثورة جاذبياتها. أينما كان مسلم في العالم، حين يرفع بصره ويرى هذه الراية الشامخة المرفرفة ينتابه الحماس وتتبعث في نفسه المشاعر الإسلامية. لاحظوا كيف ازدادت بعد انتصار الثورة الإسلامية حالات الثورة والمشاعر والتحركات الإسلامية ونجاحات الجماعات الإسلامية في المنطقة الإسلامية، من شمال أفريقيا والجزائر وإلى هنا وحتى الشرق. وهذا بفضل وبركة هذه الراية الرفيعة العالية. لقد انبعث في المجتمعات الإسلامية الشعور بالاستقلال والهوية الإسلامية والشعور بالشخصية، وانتاب أعداء الإسلام والمسلمين الخوف. الذين عملوا وجهدوا عشرات الأعوام ليخرّجوا المسلمين ضعفاءً ويائسين ودون شخصية ولا هوية، رأوا فجأة أن كل جهودهم ذهبت أدراج الرياح وكل متاعبهم باءت بالفشل. لقد بعث قيام هذه الدولة الإسلامية الشعور بالعزة لدى المسلمين. وراح الأعداء يحاولون بمختلف الطرق قطع الأواصر بين الدولة الإسلامية في إيران وبين المجتمعات والتجمّعات المسلمة في أقطار العالم. إنهم يفعلون هذا. ومن أساليبهم وطرائقهم التفرقة الطائفية، وإشعال الحروب والمعارك بين السنة والشيعة، وتضخيم الفوارق المذهبية والقول إنّ أولئك شيعة ولا صلة لهم بكم، والحال أننا هنا رفعنا راية الحكومة الإسلامية والقرآن الكريم والاسم المبارك لرسول الإسلام محمد المصطفى ﷺ، وهذا ما يعشقه ويشتاق إليه جميع المسلمين. هذا أحد السبل والطرق. ومن طرائقهم أيضاً أن يوجّهوا تهم الإرهاب وما شاكل ليسقطوا الجمهورية الإسلامية وهذا الشعب الكبير وهذه الدولة المعنوية والأخلاقية والقيمية من الأنظار في العالم.

حين ترونهم يتشدقون لهذه الدرجة باتهامات حقوق الإنسان وانتهاك حقوق الإنسان والأعمال الإرهابية وما إلى ذلك، فمن أجل إثبات ذلك في العالم، وهم يعلمون أن هذا كذب. السبب هو أنهم يريدون فصل الرأي العام العالمي عن نظام الجمهورية الإسلامية. الغاية هي خلق البون والفواصل، ومن أجل ألا يكون هناك انجذاب وصلات بين هذه القلعة الشامخة للإسلام والقرآن وبين المجتمعات الإسلامية في كل أنحاء العالم. وبالطبع فإن الله تعالى يبطل كيدهم: { إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا 15 وَأَكِيدُ كَيْدًا } 54، { وَمَكْرُؤًا وَمَكْرَ اللَّهِ } 55 طوال هذه الأعوام كلما فعلوا شيئاً أحبطه الله تعالى وأبطله. لكنّ العدو على كل حال يخلق العقبات والموانع والمشكلات، وينفضح في بعض المواطن، لكنه لا يقلع عن عدوانه! هنا تكتسب قضية الاتحاد والوحدة الإسلامية والتفاهم

الإسلامي معناها، لاحظوا كم هذه القضية مهمة لمستقبل العالم الإسلامي. إنها ليست قضية يمكن المرور بها مرور الكرام، فكلهم يجب أن يعتبروا أنفسهم مخاطبين بهذا الكلام. إنني أقولها للجميع، لأهل السنة وللشيعة، وأقولها لمؤلفي الكتب والشعراء وأصحاب المطابع ولمن لديهم مواقعهم ومكانتهم بين الناس ويتحدثون، وثمة من يستمع لهم. كلهم يجب أن يفهموا هذه الحقيقة ويعرفوا العدو، احذروا من أن يتموضع العدو في خنادقكم، واحذروا من أن تهاجموا الأصدقاء وأنتم تقصدون مهاجمة الأعداء. كونوا عالمين بالزمان، أي اعرفوا العدو والصديق وساحة الصراع. هذه أمور على جانب كبير من الأهمية.

كلهم مخاطبون بهذا الكلام، ولا فرق بين الشيعة والسنة، ولا بين الإيراني وغير الإيراني. نحن في إيران لا مشكلة لنا مع أهل السنة والحمد لله. طوال سبعة عشر أو ثمانية عشر عامًا بعد الثورة عشنا دومًا في وئام ومحبة، ونشكر الله على ذلك. إخواننا في المناطق التي يشكل فيها أهل السنة الأكثرية يقدمون أكثر المساعدات للحكومة والنظام الإسلامي، فالقضية قضية العالم الإسلامي. والهّم همّ مستقبل الإسلام.

ضرورة استخدام المسلمين لمختلف طاقاتهم من أجل تحقيق النجاح

أعزائي، الحكومات والبلدان والمجاميع والمنظومات الدولية من أجل أن تكسب النجاح في ساحات الكفاح الحياتي تستخدم كل إمكانياتها وقدراتها – بما في ذلك الإمكانيات الجغرافية والتاريخية والقومية. فلماذا لا يستخدم المسلمون هذه الإمكانيات الهائلة التي وهبها الله تعالى لهم؟ المنطقة الجغرافية التي يقطنها المسلمون هي أهم مناطق العالم، وبلدانهم من أثرى بلاد العالم من الناحية الطبيعية. في الوقت الراهن يسيطر المسلمون على بوابة آسيا باتجاه أوروبا، وبوابة أوروبا باتجاه آسيا وأفريقيا، وبوابة أفريقيا نحو أوروبا وآسيا. هذه المنطقة المهمة عسكريًا والأراضي الزاخرة بالخيرات التي يمتلكها المسلمون تحتوي اليوم على طاقات وإمكانيات مثل النفط والغاز وما شابه من المواد التي يحتاجها البشر لحضارتهم بصورة يومية. المسلمون مليار ومئات عدة من الملايين، أي إنهم أكثر من خمس سكان العالم. هذا الكمّ الهائل من السكان في مثل هذه المنطقة وارتفاع راية الإسلام في قلب هذه المنطقة – أي في إيران الإسلامية التي هي اليوم قلب العالم الإسلامي ومركزه الرئيسي – لماذا لا يمكن الاستفادة من كل هذا؟ هذه إمكانية هائلة في أيدي المسلمين. وساوس فصل الدين عن السياسة التي همس بها البريطانيون يومًا وأشاعها الأميركيون يومًا وراح عملاؤهم يبيّون لها يومًا كلها من أجل أن يغفل المسلمون عن هذه الإمكانيات والمواقع. وتقع على الخواص الواجبات الأكبر في هذا السياق. الخواص هم العلماء والمستنبرون والشعراء والخطباء والصحافيون وأصحاب النفوذ بين الجماعات والناس، هؤلاء هم الذين يتحملون الحجم الأكبر من الواجبات. لقد حان الأوان لأن يصحو العالم الإسلامي على نفسه ويختار الصراط الإلهي المستقيم كسبيل نجاة له، ويسير فيه بقوة وخطوات راسخة. لقد حان الوقت لأن يحافظ العالم الإسلامي على اتحاده ويقف متحدًا مقابل العدو المشترك الذي نالت كل الطوائف

والجماعات الإسلامية ما نالت من ضرباته – أي الاستكبار والصهيونية – ويرفع شعارات واحدة ويكون له إعلام واحد وطريق واحد، وسيحظى إن شاء الله بتأييد الله وسننه وقوانينه، ويتقدم إلى الأمام.

نتمنى أن يوقظ الله تعالى المجتمعات المسلمة، ويعرّف الحكومات الإسلامية بواجباتها، ويثبت أقدامنا جميعًا على هذا الصراط الإلهي المستقيم، ويجعل القلب المقدس لإمامنا المهدي المنتظر (أرواحنا فداءه) ميرًا للمجتمعات المسلمة، ويشمل كل الجماعات المسلمة بأدعيته⁵⁶.

ضرورة تفكير المسلمين بأهمية بعثة النبي ﷺ الخاتم

من بين كل أحداث التاريخ البشري – الأحداث التي تقع للبشر – لو اعتبرنا بعثة الأنبياء أهمها وأكثرها تأثيراً في مصير الإنسانية – وهي أهمها فعلاً – لكانت بعثة النبي الخاتم ﷺ من حيث الأهمية على رأس كل الأحداث الكبرى والصغرى في تاريخ الإنسانية.

ما من حادثة من قبيل الثورات الكبرى وموت الشعوب وحياتها وظهور الشخصيات العملاقة وزوال الشخصيات الكبرى وانبثاق المدارس المتنوعة، توازي في أهميتها أهمية بعثة الأنبياء. تلاحظون اليوم أنّ أبقى وأخلد أشكال الفكر البشري هي الأشكال التي تأتي بها الأديان، وسيبقى الحال كذلك إلى الأبد. مع أنه يوجد اليوم الكثير من الناس لا يعرضون أنفسهم مباشرة لأنوار بعثة النبي الأكرم ﷺ – أي غير المسلمين – لكنهم انتفعوا لحد الآن من خيرات هذه البعثة على نحو غير مباشر.

لا مرأى أنّ العلم والحضارة البشريين، والأخلاق الصالحة بين البشر، والعادات الحسنة والكثير من هذه الأمور، إنّ لم تكن ذات صلة ظاهرية واضحة بالأديان فهي في جذورها الأصلية نابعة من الأديان والمعارف الإلهية، وعلى رأسها بعثة رسول الإسلام الكريم ﷺ، لكن في الوقت نفسه، ستنفع البشرية كلها من هذه الخيرات والبركات، وبنحو أكبر في المستقبل. إذًا، البعثة هي أهم وأبرز وأعظم حدث في تاريخ البشرية.

من المناسب أن يفكر المسلمون في هذا الحدث أكثر. لا يمكننا إنكار مشكلات العالم الإسلامي ومتاعبه وتجاهلها، ولا يمكننا استصغار نقاط الضعف التي تعاني منها المجتمعات المسلمة.

ذات يوم جرّب العالم حدثًا تَمَثَّلَ في سيادة الإسلام بنحو كامل على حياة الناس خلال أيام الحياة المقدسة للنبي الأكرم ﷺ وفترة محدودة من صدر الإسلام. وتلك الخيرات والبركات نفسها بلغت بالأمر حدًا استطاعت معه الأمة الإسلامية إيجاد أعظم الشعوب في حقبة من الحقب، وإيقاد مشعل من العلم والحضارة والثقافة والأخلاق والتقدم والدروس التي لا تُنسى لا تزال البشرية إلى اليوم تقتنيس منه. وقد حدث ذلك في فترة جهل مطبق ساد العالم آنذاك.

هذه بالتالي تجربة؛ فكلما ابتعدنا عن الإسلام وقلّ اهتمامنا برسالة البعثة، كلما ازدادت الحياة صعوبة علينا نحن المسلمين في الفترات والأحقاب المختلفة.

رسائل المبعث في القرآن الكريم

يمكن البحث عن رسالة المبعث في القرآن الكريم على شكل فصول وأقسام متميزة. أشير هنا إلى قسمين من هذه الرسالة العظيمة لتلاحظوا أهميتها بالنسبة إلينا نحن المسلمين، وكيف ترسم لنا الطريق والبرامج.

أحدهما الرسالة التي نقرأها في آيات من القرآن الكريم منها: { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ... كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ }⁵⁷، إنها رسالة الخروج من الظلمات إلى النور.

النور والظلام ليسا من الأمور التي يمكن أن يخطئ فيهما الإنسان حين تعترض سبيله القضايا المتنوعة. فالإسلام ورسالة البعثة تخرج البشر من ظلمات الجهل والعادات القبيحة والأخلاق السيئة والفتن بين الناس والخرافات التي تتحكم في أذهان الناس وتستنزفهم وتنحرف بهم عن الطريق المستقيم، وظلمات الظلم والطغيان – وهذه كلها ظلمات – وتدلهم على النور الذي ينتصب أمامهم ويهديهم إليه.

تكرر هذا المضمون في العديد من الآيات القرآنية، وهو يعبر عن تحوّل في حياة الإنسان من النواحي الاجتماعية ومن حيث الأهداف والناحية الفردية ومن كل الجهات والنواحي.

والنقطة المهمة الأخرى هي قضية الأخلاق والأخلاقيات وتزكية النفوس، وهي أيضاً جرى التأكيد عليها في آيات من القرآن الكريم، وقد ورد في الحديث النبوي المعروف بين كل الفرق الإسلامية: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»⁵⁸. لاحظوا أنه في المجتمع الذي تشيع فيه الأخلاق الحسنة ومكارم الأخلاق ويتمتع فيه الأفراد بالأخلاق الطيبة والحسنة مثل الصفح والأخوة

والإحسان والعدل والعلم وطلب الحق، ويشيع بينهم الإنصاف ولا تسود بينهم الرذائل والصفات الذميمة، لاحظوا في أي جنان سيعيشون!

تعاني الإنسانية اليوم من هذه المعضلات. فمشكلات العالم الإنساني في الوقت الراهن ناجمة عن الطغيان السياسي في العالم، والمشكلة لها جذور أخلاقية. ومعضلات عموم الناس ترجع غالبًا إلى جهلهم، والإسلام يرفع هذه المشكلات والمحن، فيجب على المسلمين أن يقدّروا هذه الرسائل حق قدرها ويعرفوا أهميتها⁵⁹.

البشرية اليوم أحوج من أي وقت لإحياء اسم الرسول ﷺ وتعاليمه

تكریم النبی الأعظم ﷺ وإحياء ذكره ليس مجرد فعل تشريفي، هذا مع أن وجود مثل هذه التشریفات بين الشعوب المسلمة هو الآخر حالة جيدة، بل ولازمة، على أن القضية الأكبر والأهم ليست هذه. العالم الإسلامي في الوقت الراهن أحوج إلى إحياء ذكرى رسول الإسلام الجليل أكثر من أي وقت آخر، والبشرية أيضًا بحاجة إلى هذا الاسم المبارك والذكرى والتعاليم المباركة. ولكن قبل التطرق لكل البشرية على العالم الإسلامي أن يعيد معرفة هذا الرصيد المعنوي العظيم. والأمر هنا على غرار الشعوب التي نامت جائعة فوق مصادرها المادية المجهولة قرونًا من الزمان، إلى أن جاء الآخرون ونهبوا مصادره وخيراتهم، كذلك يعاني العالم الإسلامي اليوم إلى جانب أرصده المعنوية الهائلة من كثير من المشكلات، والحال أن هذه الأرصدة والكنوز العظيمة الكبرى بوسعها إنقاذه ومساعدته.

ركيزتان أساسيتان في الإسلام: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة

قال أحد الأجلّاء قبل عشرات السنين: بُني الإسلام على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة. هاتان هما الركيزتان الأساسيتان في الإسلام: الأولى كلمة التوحيد، ومن بعدها وحدة الكلمة، وهذه الثانية تعود إلى الأولى، بمعنى وحدة الكلمة على أساس محور التوحيد. إنّنا اليوم أحوج من أي وقت آخر إلى هذا الشعار. العودة إلى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة.

كل ما ينزل اليوم بالمسلمين والشعوب المسلمة من البلى والصعاب ناجم عن إضاعة الحياة في ظل الإسلام. ليس التوحيد مجرد أمر ذهني، بل هو أمر واقعي ونظام وبرنامج حياة. يقول لنا التوحيد كيف نتعامل مع أصدقائنا، ونتعامل مع أعدائنا، وكيف نكون في نظامنا الاجتماعي، وكيف نعيش. يتصوّر بعضهم أنّ عقيدة التوحيد قضية تتعلق بما بعد الموت، والحال أن الاعتقاد بالتوحيد يبني هذا العالم ويشيّد الحياة. هذا ما نحتاج إليه اليوم، وهذا ما تحتاج إليه الشعوب الإسلامية.

كلما سرنا واقتربنا أكثر من التوحيد ومن العبودية لله كلما قلّت عنا شرور الطواغيت وأنداد الله. بمقدار ما سار الشعب الإيراني المسلم على خط التوحيد، استراح اليوم من تطاول أميركا وغير أميركا من مستكبري العالم وألسنتهم، واستراح من أوامرهم ونواهيهم وتحكّمهم. هذه هي خصوصية التوحيد والعبودية لله. إذا كنتم عبيدًا لله فإنّ العبودية لله لا تجتمع وعبودية الآخرين وخدمتهم والرضوخ لهم، هذا هو الركن الأول.

والركن الثاني هو توحيد الكلمة. الشعوب المسلمة يجب أن تتحد مع بعضها بعضًا. من أكبر مصائب العالم الإسلامي اليوم هو أن أعداء الإسلام فعلوا ما من شأنه تحويل ما يجب أن

يكون سبباً في اتحاد المسلمين – أي وجود الأعداء والصهاينة الغاصبين – إلى وسيلة لاختلافهم! فعلوا ما جعل بعض الحكومات المسلمة تتخذ هذا الأمر وسيلة للوقوف بوجه أخواتها، وتخلق اختلافات حقيقية. والحال أنّ وجود مثل هذا العدو في قلب البلدان الإسلامية يجب أن يقرب المسلمين من بعضهم بعضاً، ويشكلوا جبهة واحدة ويكونوا يدًا واحدة. هذه الخطيئة تعود إلى تدخل الاستكبار وتطاولهم. لولا دعم الاستكبار وعلى رأسه أميركا لمحتلّي فلسطين والإرهابيين الدوليين الموجودين في قلب البلاد الإسلامية – وهم الرؤساء الحاليون لحكومة إسرائيل الزائفة – لما أمكنهم البقاء، وكذا الحال اليوم.

لا يمكن للأميركيين أن يكونوا وسطاء في قضية فلسطين. فهم طرف في القضية، وعلى الضد من الحكومات والبلدان الإسلامية. وقد أثبتوا ذلك في الأحداث والأمر التي جرت خلال الأعوام الأخيرة. والآن لا ريب أنّ دعم أميركا هو الذي جرّأ الصهاينة على ارتكاب هذه الفاجعة العظيمة التي يرتكبونها، أي اغتصاب بيت المقدس قبلّة المسلمين الثانية، وإلا لم يكن الصهاينة ليتجرّؤوا على ذلك، لولا دعم أميركا ومساعداتها لاستطاعت الحكومات الإسلامية أن تتغلب على هذه الزمرة الطاغية. والآن لو اتحدت البلدان المسلمة والحكومات الإسلامية لاستطاعوا أن يكفّوا شرور الصهاينة.⁶⁰

وجود نبى الإسلام الكريم ﷺ هو الاسم الإلهي الأعظم

يوم المبعث هو بلا شك أعظم يوم في تاريخ البشرية، لأنّ الشخص الذي خاطبه الله تعالى وكلفه بالمأمورية وألقاها على عاتقه – أي الكيان المقدس لنبي الإسلام الكريم ﷺ – هو أعظم إنسان في التاريخ وأعظم ظاهرة في عالم الوجود ومظهر الاسم الأعظم للذات الإلهية المقدسة، أو بعبارة أخرى هو نفسه الاسم الإلهي الأعظم. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية لأنّ المأمورية التي أُلقيت على عاتق هذا الإنسان العظيم – وهي هداية الناس إلى النور ورفع الأغلال عن كواهلهم والتمهيد لعالم يناسب وجود الإنسان، وباقي الواجبات اللامتناهية للأنبياء بعد بعثتهم – ثقيلة وجسيمة وعظيمة جدًّا. فالمخاطب في البعثة هو أعظم الناس، والواجب المُلقى على عاتقه هو أعظم الواجبات، إذًا فهذا اليوم هو أعظم وأعزّ يوم في التاريخ.

البعثة استجابة لاحتياجات الإنسان الشاملة اللامتناهية

لو أراد شخص حصر مضمون البعثة في نطاق ما تفهمه وتتصوره عقولنا الناقصة، فلا ريب أنّ المبعث وحقيقته وحقيقة هذه الرسالة ستتعرض للظلم. لا يمكن تقييد مضمون بعثة الرسول في حدود فهمنا ونظراتنا الناقصة. ولكن إذا أردنا تعريف البعثة – رغم لانهايتها – في جملة واحدة مجملة يجب القول إنّ البعثة هي للإنسان. الإنسان أيضًا لانهاية وله أبعاد عظيمة ولا يتحدد في الجسم والمادة والأيام القلائل التي يعيشها في الدنيا، كما لا يتحدد بالمعنويات، ولا يتحدد في مقطع قصير من التاريخ. الإنسان دومًا وفي كل الأحوال إنسان، وأبعاد وجوده لا نهاية لها وغير معروفة. لا يزال الإنسان إلى حد الآن كائنًا غير معروف، والبعثة هي لهذا الإنسان ولأجل مصيره وهدايته.

طبعًا ينتفع كل فرد من الأفراد وكل جماعة من الجماعات البشرية في كل حقبة وزمان من هذه الموهبة بقدر استعدادهم واستيعابهم، مثلما انتفع المسلمون في صدر الإسلام من مفهوم البعثة وحقيقتها ونشروا هذا النور الساطع في كل أرجاء العالم، وهدوا الكثير من البشر إلى الطريق القويم وأخذوا بأيديهم إلى حقيقة العبودية. وبعد ذلك بمدة من الزمن وخلال فترة من فترات التاريخ استطاعوا بناء حضارة وعظمة وعلوم في العالم لا يزال بريقها مشهودًا إلى الآن من وراء جدران التاريخ العالية والفواصل الزمنية الطويلة، ولا يزال العالم يتنعم بنعم ذلك التقدم العلمي والصناعي والفكري والمعرفي والمدني. وطوال هذه العصور من الزمن متى ما استطاع المسلمون الانتفاع بشكل مناسب من الإسلام حققوا السعادة لأنفسهم. أيّ إنسان استطاع الانتفاع بقدر استيعابه أصاب السعادة بالمقدار نفسه.

ما حدث في إيران الإسلامية – أي هذه الثورة العظيمة وتأسيس هذا النظام الإسلامي – هو مخطط وقبس مما جاء به الإسلام للبشرية. كان الشعب الإيراني يعيش حياة سيئة تعيسة. كان يعيش زمنًا مظلمًا. كان قد ابتعد عن شأنه الإنساني مسافات شاسعة. كان قد تعرّض للظلم من النواحي العلمية والإنسانية والسياسية والاقتصادية بسبب البُعد عن الإسلام. وبفضل معرفته بالإسلام تمكّن هذا الشعب وبحركة عظيمة من إيصال نفسه إلى معين الإسلام، وتطبيق أحكام الإسلام عمليًا لنفسه، وتوفير إمكانيات العمل بهذه الأحكام لنفسه، واستطاع أن يفكر بالإسلام وينتفع منه، وأن يغور في أعماق الإسلام ويتعرّف على القرآن الكريم⁶¹.

في المقاييس البشرية تقاس بركة المولود والولادة بالآثار التي تترتّب على هذه الولادة، سواء منها الآثار المباشرة أو الآثار غير المباشرة. إذا صحّ هذا المقياس – وهو صحيح – يجب القول إنّ أكثر مولود مبارك على طول التاريخ هو الوجود المقدس لنبيّ الإسلام الكريم ﷺ. تبدأ هذه البركات منذ لحظة البداية، وليس هذا عجيبًا. قال النبي عيسى عليه السلام في بداية ولادته: { وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ }⁶²، فأعلن عن بركته منذ الساعات الأولى أو الأيام الأولى لولادته. وكذا الحال بالنسبة إلى رسولنا الأكرم ﷺ.

ما سجّلته التواريخ من انهيار قمّة قصر كسرى أو انطفاء النار في معبد النار القديم – وما إلى ذلك من العلامات والمؤشرات التي وردت – كلها بشائر بركات هذا الوجود العظيم. كل ما في العالم من أحوال قامت على أساس سيادة الشرك والكفر والاستبداد والظلم والتفرقة بين أبناء البشر، يجب أن تزول تدريجيًا ببركة وجود هذا الإنسان الراقى والممتاز والمنقطع النظير. ما تحمّله هذا الإنسان العظيم على عاتقه من أعمال وأعباء وجهاد هو الجزء الأثقل والأعظم من هذه العملية. بداية هذا الطريق وانطلاق هذه الدعوة يعدّ أهم جزء في هذه العملية.

إشكال العالم في ذلك الحين هو أن الناس وطبقات المجتمع في كل مكان من العالم كانوا قد تعودوا على سيادة غير الله وعلى حكم الطواغيت، وهيمنة الظلم والاختلافات الطبقية. من الذي يجب أن يقف بوجه هذه المظاهر؟ المظلومون بطبيعة الحال. وحين يكون المظلومون أنفسهم قد صدّقوا بوجوب سيادة الظلم، فلن يبقى أي أمل للإصلاح. وقد كانت المهمة العظمى للرسول الأكرم ﷺ ولدعوته النبوية هي إيقاظ الناس والعالم والبشرية: { إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ }⁶³. هذا ذكر وتذكير وتذكّر وإنذار وإيقاظ لكل البشر. من أصعب مراحل الأمر هو تحمّل هذا الإنسان العظيم

وتصدّيه لمهمّة الإيقاظ. التعصّبات والتحيزّات القبلية والشؤون الشخصية والأنانيات المختلفة صعبت وعقدت مهمة هذا الإنسان الكبير. لقد تحمّل النبي ﷺ جهدًا عسيرًا حتى استطاع فتح هذا الطريق البشري المغلق، وشقّ هذه الصخرة الهائلة. وكل من قام بشيء من بعد ذلك إنما كان تابعًا لهذا العظيم ومواصلاً لدربه ومشفوعًا بمساعدته.

انتفاع العلوم والحضارة البشرية من الإسلام وتعاليمه

ليس المسلمون وحدهم من انتفع من التعاليم النبوية. العلوم في العالم اليوم والحضارة في العالم راهناً والمعارف المتوفرة في العالم حالياً وتقدم القافلة الإنسانية مدين لوجوده ﷺ. وهذا ليس ما ندّعيه نحن المسلمين. كل المؤرخين والمنصفين يوافقون الفكرة القائلة إنّ انبثاق الصحة العلمية في العالم الإسلامي أدّى إلى انتقال هذه الصحة إلى سائر بقاع الأرض عن طريق الأسفار والتلاقح بين الشعوب، وحتى عن طريق فتوح البلدان والحروب التي خاضوها. المعارف والأفكار البشرية والأمور التي يهتم لها الإنسان في العصر الحاضر – نظير حقوق الإنسان، وحرية الإنسان، والمساواة بين أفراد البشر، والأخوة بين الناس – كلها هدايا قدّمها هذا الإنسان السامق. وفي الإسلام، ما ترتّب على هذه الحركة العظيمة هو تأسيس النظام الإسلامي. لم تكن هذه التعاليم لمجرد أن تعظ الناس، بل من أجل أن ترتّب شكل النظام الإنساني وقالبه بنحو يسهّل التحرك نحو تلك الأهداف ويرفع الموانع والعقبات التي تعترض السبيل، وهذا هو النظام الإسلامي.

الحمد لله على أنّ المجتمعات الإسلامية وقفت اليوم على أهمية النظام الإسلامي. على مدى سنوات طويلة توجّه الكثير من الكتّاب والخطباء الكبار والكثير من القلوب. لقد انطلقت الصحة الإسلامية، ووقفت المجتمعات الإسلامية على أهمية هذا الرصيد الذي تمتلكه، وطبعاً ازدادت عداوات أعداء الإسلام بالنسبة نفسها. إنهم يعملون دوماً على بثّ التفارقة والخلافات بين الشعوب المسلمة ليأخذوا كل جماعة وفئة نحو جانب عن طريق التحريض القومي والطائفي والعنصري والعنصري. وفي هذا إشارة إلى أنّ العدو أدرك أنّ الوعي الإسلامي والصحة الإسلامية في المناطق الإسلامية راحت تؤتي ثمارها وتفعّل فعلها، وهذه هي الحقيقة. لا مرأى أنّ هذا الشعور سوف يأخذ الشعوب الإسلامية صوب النظام الإسلامي ونحو تأسيس أمة إسلامية واحدة. هذا

مستقبل حتمي، ولن يكون لهذه العداوات والخصومات من أثر، ففوة الإسلام فوق هذه الأشياء. في إيران الإسلامية، المكان الذي لم يكن يخطر ببال أحد، كانت قوة الإسلام العظيمة هي التي وحدت الناس وقربت القلوب من بعضها بعضاً، وجعلت الإيمان الإسلامي رصيذاً وسنداً لهذا التحرك، وأوجدت نظاماً إسلامياً في هذا البلد. هذا شيء قد حدث وحصل.⁶⁴

وضع العالم وظروفه في زمن بعثة نبي الإسلام ﷺ

في الأعوام الماضية كانت مسألة البعثة وذكرى البعثة الكبرى حين تطرح، كان شعبنا يرى حركته وانبعائه العام ونهضته الوطنية التاريخية في الثورة الإسلامية استمرارًا لتلك البعثة النبوية العظيمة، وإلى جانب ذلك كان هذا السؤال يعنّ لأذهان بعض الأفراد على الأقل – من بين الخواص وأهل النظر – وهو: ما سرّ نجاح الإسلام في ذلك الزمن حيث غربة المعرفة وانتشار الجهل العام الذي ملأ كل العالم. لم تكن الجاهلية سائدة في المنطقة العربية فقط، إنما كانت الجاهلية حتى في الإمبراطوريتين العظيمتين يومذاك، وهما الإمبراطورية الإيرانية الساسانية والإمبراطورية الرومانية. لم يكن حتى في تلك الأنحاء والمناطق أثر للعدالة، وكان التمييز سائدًا. في إيران كان التعليم والمعرفة مختصين بطبقات معينة، وعموم الناس محرومين من حق العلم والدراسة. والرقّ كان على أسوأ أشكاله، وسوء معاملة الضعفاء على أسوأ صورته، وقضية المرأة ومشاركة المرأة في المجتمع والتعامل مع النساء كانت هي الأخرى أقبح ما يكون، وفي أسوأ درجات الامتهان والإذلال. كانت الجاهلية في كل مكان، والمعرفة كانت غريبة في كل مكان.

العوامل والعناصر المهمة في نجاح الإسلام

جاء الإسلام وأشرقت شمس المعرفة الإسلامية على القلوب والأذهان، ونمت وتقدمت هذه القافلة رغم وجود الجهل والظروف غير المؤاتية في العالم، وسار الرقيّ الإنساني بوتائر سريعة. لم يمض سوى نصف قرن على زمن البعثة حتى انضوت أكثر من نصف الأماكن المأهولة في العالم تحت لواء الإسلام، وهذا ليس بالشيء القليل. أين ما ذهب الإسلام رحّبت به جموع الناس وحشودهم، وأزاحت القوى [الضعيفة] التي زاحمته وتصدّت له بسهولة. أيّ عامل استطاع التقدّم بالإسلام نحو الاقتدار على هذا النحو، ومن ثمّ إرساء دعائم الحضارة الإسلامية. وقد بقيت هذه الحضارة الإسلامية في ذروة الإشراق والتألق حتى خلال أحقاب انحطاط الاقتدار السياسي للمسلمين، وتركت بصماتها على الثقافة في العالم، ونشرت العلم وأشاعت الثقافة الإسلامية. هذه تجارب عجيبة جدًّا في التاريخ، فما هو العامل في كل هذا النجاح؟ تشكل هذه القضية بحثًا ونقاشًا طويلًا جدًّا، وقد ناقش الباحثون والكتّاب هذه القضية، ويجب أن يواصلوا البحث والنقاش. وما أروم اليوم ذكره في نقطتين أو ثلاث نقاط هو جانب من هذه الحقيقة.

من المتيقّن منه أن أحد العناصر التي عملت على نجاح الإسلام هو الثقة بالله والأحكام الإلهية: { ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ ۖ وَكُتِبَ عَلَيْهِ ۚ وَرُسُلُهُ ۚ }⁶⁵. الرسول الأعظم ﷺ نفسه والمؤمنون في صدر الإسلام كانوا يعتقدون من أعماق قلوبهم برسالة الإسلام والشعارات والحقائق الإسلامية، ويرونها بكل كيانههم كافية لإنقاذ البشرية. هذا الإيمان عامل على جانب كبير من الأهمية، والعامل الآخر الذي توافر في رأس هذه الحركة على الأقل هو أنهم كانوا لا يابّهون لأنفسهم ومنافعهم ومصالحهم المادية الشخصية، هذا عامل على جانب كبير من الأهمية. كل هذه الروايات والأحاديث وكلمات نهج البلاغة وأحاديث النبي الأكرم

والأئمة عليهم السلام والشخصيات الكبيرة حول نبذ الدنيا وعدم الاكتراث لزخارفها ومادياتها في ما يخص الذات، إنما هو لأجل التأثير البالغ لهذا العامل. وبالطبع، فإن أعداء الإسلام وذوي الفهم الخاطئ من المسلمين توهّموا أو تظاهروا بأنه حين يدعو الإسلام إلى الزهد فالمراد هو عدم طلب الدنيا بمعنى مظاهر عالم الوجود والمظاهر الحياتية. والحال أن القضية لم تكن هكذا، إنما المراد بالزهد هو الدنيا السيئة والدنيا الذميمة، وأن نجعل أنا وأنتم أنفسنا ومصالحنا المادية هدفًا نلثت وراءه. هذا هو الشيء المدمر الذي يجلب البؤس والتعاسة، وهو أساس المسكنة.

أولياء الله – الذين استطاعوا الإمساك بهذه الراية بقوة والسير قدمًا في هذا درب الصعب من دون ملل أو تعب أو نكوص – كانوا أشخاصًا اجتازوا هذا المنعطف. لذلك نقرأ في دعاء الندبة، وهو دعاء حسن المضمون جدًا – الذي يحمد الداعي في بدايته الله تعالى على ما قدر لأولياته – وهذه البداية من أجمل وأعمق المفاهيم في هذا الدعاء – نقرأ القول: «بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنيّة وزخرفها وزبرجها»، رفعتهم إلى أرقى مراتب التكامل والسمو المعنوي، وللنعم التي «لا زوال لها ولا اضمحلال»⁶⁶، أعطيتهم هذه النعم واخترتهم، ولكن بهذا الشرط. الرسول الأعظم ﷺ في أرقى مراتب السمو البشري، وهذا غير ممكن من دون معونة الله وتمهيده. بيد أن الله منحه هذه الميزة مقابل شرط: «الزهد في درجات هذه الدنيا الدنيّة وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك ذلك»، قبلوا هذا الشرط وعملوا به، وهكذا تظهر شخصية الرسول الأكرم ﷺ والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، شخصية فولاذية لا تتعب ولا تنتهي، وتحمل على كاهلها أعباء لا تختص بزمانها، ويطلقون تحرّكًا ومسيرة لا تنتهي بانتهاء أعمارهم.

استمرار تألق الإسلام وتأثيره على مرّ التاريخ والحقبة المعاصرة

هذه المسيرة مستمرة. لاحظوا الآن، وبعد انقضاء أربعة عشر قرنًا، أنّ الإسلام لا يزال متألقًا، وكل هذا دائر حول محور ذلك الوجود العظيم وذلك الجهاد الدؤوب. هذه هي الأمور التي تديم المسيرة بهذا الشكل. وبالطبع فإنّ ما قام به المسلمون والمؤمنون والعظماء على امتداد الطريق ساعد في هذه الديمومة. ما نتوقعه هو ألا يضع كبراء العالم الإسلامي – سواء السياسيون منهم أو الشخصيات الدينية – مصالحهم في الدرجة الأولى من الأهمية، وما نتوقعه من الناس والشخصيات الكبيرة في زماننا ليس توقعًا انبثق لدينا في ضوء سلوك الرسول، لا، فالرسول أرقى من هذا بكثير.

إنّنا نتوقع هذا من أنفسنا أيضًا، ونتوقعه من الآخرين في العالم الإسلامي بآلّا نجعل مصالحنا والأنا على رأس الأولويات والأهداف، ولا نغلبها على كل الأشياء الأخرى، إنما نقدّم الإسلام وتحقيق قوة الإسلام واقتداره ورفعته والكمال الإسلامي على مصالحنا. إذا كان هذا فسيعود للأمة الإسلامية اليوم جانب كبير من قدراتها وطاقاتها الذاتية. والعنصر الذي استطاع هنا أن يحمل على عاتقه هذه الأعباء الثقيلة من الاهتمام والإيمان والعقيدة والمحبة وتحرك الجماهير ويصل بالأمور إلى هذا الحدّ – وأعني به إمامنا الخميني الجليل – كانت أهم نقطة فيه أنّه ألغى نفسه وتجاهلها، وجعل الواجب والتكليف محور عمله وتحركه، فلذلك نجح. هذا طبعًا بالإضافة إلى الكثير من الامتيازات الأخرى التي توافرت في ذلك الإنسان الجليل. هذا هو أساس الأمر. إنّنا في الجمهورية الإسلامية، وخلال هذه الأعوام العشرين، أين ما استطعنا تقديم الواجب والأهداف، وتهميش أنانياتنا والأشخاص والذات والأهواء، تقدّمنا إلى الأمام. ولكن متى ما حصل العكس تلقينا

الضربات والخسائر. طوال فترة حرب الأعوام الثمانية، والذين كانوا عارفين بالتفاصيل يعلمون جيدًا، أين ما سادت روح الواجب وفُلت الأنانيات لدى العاملين تقدّمنا إلى الأمام، ولكن أين ما سادت الأنانيات خسرنا وأصابتنا الأضرار، وكذا الحال اليوم أيضًا⁶⁷.

المقام السامي لوجود الرسول الأكرم ﷺ وشخصيته ورسالته

النبي الأكرم ﷺ من حيث الشخصية في ذروة عالم الخلقة، ومن حيث الأبعاد الممكنة الفهم لدى البشر، من قبيل المعايير الإنسانية السامية كالعقل والتدبير والفتنة والذكاء والكرم والرحمة والعفو والحسم، ومن حيث الأبعاد المتسامية على ذهن البشر وطاقته – الأبعاد الدالة على تجلي الاسم الأعظم لله في وجود الرسول الأكرم ﷺ، ومقام قربيه من الباري عزّ وجلّ – وهي أبعاد لا نعرف عنها سوى اسمها وصورتها، ولا يعلم حقيقتها إلا الله العظيم وأوليّؤه الكبار. كما أنّ رسالة هذا الإنسان العظيم ﷺ هي أرقى وأفضل رسالة لسعادة الإنسان، إنها رسالة التوحيد، وارتقاء مرتبة الإنسان، وتكامل وجود البشر.

صحيح أنّ البشرية لم توفق لحد الآن لتطبيق هذه الرسالة بنحو كامل في كل جوانب حياتها، لكن لا ريب في أنّ مسيرة السمو والرقىّ الإنساني ستصل يوماً من الأيام إلى هذه المرتبة. إنّها نقطة ذروة وأوج وسمو للإنسان. على افتراض أنّ فكر الإنسانية وفهمها وإدراكاتها السامية وعلومها تتقدّم إلى الأمام، ورسالة الإسلام حيّة متفاعلة، فلا شكّ في أنّ هذه الرسالة ستجد يوماً مكانتها في حياة المجتمع البشري. أحقية الرسالة النبوية، وأحقية التوحيد في الإسلام، ودرس الإسلام للحياة وطريق الإسلام لسعادة الإنسان وتقدمه، سوف يأخذ الإنسانية إلى حيث تجد هذا الدرب اللاحق المشرق، وتسير فيه وتتقدّم، وتحقق رفعتها وتكاملها.

المهم بالنسبة إلينا نحن المسلمين هو أن نضاعف من معرفتنا للإسلام ورسول الإسلام الكريم. من الآلام والأمراض الخطيرة في العالم الإسلامي اليوم هو مرض التفرقة والخلافات. محور وحدة العالم الإسلامي يمكن أن يكون الوجود المقدس لرسول الإسلام – وهو القطب الذي

يؤمن به الجميع وتلتفت حوله عواطف كل البشر -ليس لنا نحن المسلمين أيّ قطب – مثل الوجود المقدس للرسول الأكرم – بهذا الوضوح وبهذه الشمولية، فالمسلمون كلهم يؤمنون به، وبالإضافة إلى ذلك تربط قلوبهم عواطف وأواصر معنوية قوية بذلك الكيان المقدس، هذا هو خير قطب ومحور للوحدة.

جذور وأسباب الإهانات التي يوجّهها الأعداء لساحة النبي الأكرم ﷺ المقدسة

ليس من الصدفة أن نشاهد في الأعوام الأخيرة، وعلى غرار ما حصل في القرون الوسطى وأحقاب التحليلات المغرضة للمستشرقين، أنهم يوجّهون الإهانات لساحة النبي الأكرم ﷺ المقدسة. خلال فترات القرون الوسطى، كان القساوسة المسيحيون يكيلون الإهانات والشتائم لشخصية الرسول الأكرم ﷺ في كتاباتهم وخطاباتهم وأعمالهم الفنية، وذلك في الفترات التي شاعت فيها كتابة التاريخ من المستشرقين. وفي القرن الماضي شاهدنا أن المستشرقين الغربيين غير المسلمين اختاروا الشخصية المقدسة المباركة للرسول الأكرم ﷺ لتكون إحدى النقاط التي تطالها سهام تشكيكاتهم وإهاناتهم.

وقد مضت على ذلك الزمن فترة طويلة، لكنهم بدؤوا ممارساتهم هذه مرة أخرى في الآونة الأخيرة. خلال الأعوام القليلة الماضية، يلاحظ المرء هجمات صحافية وثقافية قذرة ومشؤومة في مناطق مختلفة من العالم ضد شخصية الرسول الأكرم ﷺ. يمكن لهذه العملية أن تكون مقصودة ومدروسة لأنها موجّهة ضد القطب الذي يمكن للمسلمين أن يجتمعوا حوله، فهم جميعاً يؤمنون بالذات المقدسة للنبي الأكرم ﷺ، ويحبّونه ويعشقونه ويلتفون حوله. لذلك يوجّه الأعداء حراهم وتشكيكاتهم ضده.

من واجب علماء الإسلام والمستنيرين المسلمين والكتّاب والشعراء والفنانين في العالم الإسلامي، وبمقدار استطاعتهم، رسم الصورة الصحيحة لشخصية النبي الأكرم ﷺ وأبعاد عظمة هذه الذات الكبرى للمسلمين وغير المسلمين. وهذه العملية ستساعد على اتحاد الأمة الإسلامية والقفزة التي تلاحظ اليوم لدى الأجيال الشابة في الأمة الإسلامية نحو الإسلام.

مؤشرات الصحة والانبعاث الإسلامي في العصر الحاضر

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، العالم الإسلامي اليوم بحاجة أكثر من أي وقت آخر إلى الاقتراب والاندكاك بالمباني والحقائق الإسلامية. إنّ الأرضية اليوم مهتأة في كل أرجاء العالم الإسلامي للتحرك والعمل الإسلاميين. لم يعد فهم حقيقة التوحيد يصعب على الشعوب المسلمة في الوقت الراهن، مقابل الفساد الذي يتقلب فيه العالم الغربي المادي. اليوم هو اليوم الذي يحتّم على علماء الإسلام ومفكره أن يتحركوا ويجدّوا ليعرّفوا القلوب على حقيقة الإسلام، ويقربوا الأمة الإسلامية من أرضية انبعاث الحياة الإسلامية وتجديدها، وقد توقّرت والحمد لله مقدمات ذلك، وظهرت نماذج لذلك في أطراف العالم وأنحاءه، وكان النموذج البارز لذلك قد تحقّق في هذا البلد وبين أبناء الشعب الإيراني الكبير بتأسيس نظام الجمهورية الإسلامية.

أين ما تعاملنا بصدق مع الإسلام وحقائق الإسلام والواجبات التي رسمها لنا الإسلام، كانت النصرّة الإلهية والفوز والموفقية من نصيبنا. لقد جرّبنا ذلك في قضايا البلاد الداخلية، ولاحظناه في قضايا العالم الإسلامي. إذا كنتم تشاهدون الشباب المؤمنين في لبنان قد استطاعوا تحقيق انتصار كبير لأنفسهم وللأمة الإسلامية وللشعب العربي، فذلك في ظل الإسلام والتعرّف على الإسلام والعمل بالحكم الإسلامي في هذا الخصوص.

وكذا الحال دومًا، هذا هو علاج آلام الأمة الإسلامية، وعلاج الوجد الكبير لأمة الإسلام، والجرح العميق في العالم الإسلامي، أي قضية فلسطين. لا يظنّ بعضهم أنّ قضية فلسطين قد انتهت وأنّ الشعب الفلسطيني قد قُضي عليه والقضية الفلسطينية دفنت تحت ركام الضجيج والصخب. هذا خطأ ووهم باطل. مرور الزمن لا يمكنه دفن حقّ مثل القضية الفلسطينية تحت أتربة العالم. فلسطين والشعب الفلسطيني حيّ ومستقبل فلسطين مشرق.

سقوط المعسكر الشرقي نموذج لإمكانية دحر المستكبرين

لاحظوا أنّ عددًا من البلدان – سواء في آسيا الوسطى أو في منطقة البلقان – كان بعضها خمسين عامًا وبعضها الآخر لسبعين عامًا ضمن منظومة الاتحاد السوفياتي، ولم يكن يخطر ببال أحد أن يعودوا يومًا لهويّتهم. لكنهم عادوا! ذات يوم كان الاتحاد السوفياتي يبدو عصيًا على الهزيمة والزوال، وكان السطحيون والظاهريون يخالون أنّ البلدان التي ذابت في المنظومة السوفياتية قد انتهت إلى الأبد. لكن الأمر لم يكن كذلك، وكذا الحال بالنسبة إلى فلسطين. فلسطين لا تنتهي، ولا تنمحي عن صفحة العالم، كما أنّ جنوب لبنان لم يكن ليضيع وينمحي. لم يكن الصهاينة قد دخلوا لبنان ليغادروه ذات يوم، جاؤوا ليبقوا هناك إلى الأبد! لاحظتم أنّ جهاد الشعب والشباب المسلمين في لبنان وصبرهم واستقامتهم طوال عشرين عامًا ضيق الخناق على العدو واضطره للتراجع. وهذه الحالة نفسها تصدق على فلسطين نفسها. مقاومة الشعب المسلم والاعتصام بالإسلام يمكنه إفشال هذه الخارطة الزائفة الكاذبة الحالية وإعادة الخارطة الحقيقية – خارطة فلسطين – والشعب الفلسطيني ثانية على هذه الأرض، هذا شيء ممكن وسيحصل بفضل الله تعالى.

في ظل معرفة الإسلام والعمل به يمكن حصول وتحقيق الكثير من الأمور التي قد تبدو لبعض العيون والأنظار مستحيلة وصعبة. وحينما تتحقق على الصعيد العملي سيلاحظ أنها لم تكن صعبة ومستحيلة إلى الدرجة التي كانوا يصفونها.

نسأل الله تعالى أن يمنّ على الأمة الإسلامية بالصحة، ويجعلنا ممن يعرف قدر الإسلام والقرآن الكريم، وقدر الذات المقدسة لرسول الإسلام الكريم ﷺ. وستتبدّل الاختلافات والنزاعات بين المسلمين إلى وحدة وألفة إن شاء الله. وسنستطيع في ظل العناية الإلهية والأدعية الزاكية

لسيدنا بقية الله الإمام المهدي المنتظر (أرواحنا فداءه) نحن وكلّ الأمة الإسلامية أن نصل إلى حيث أراد الإسلام لنا ولكل المجتمع الإنساني⁶⁸.

البعثة.. فتح الطريق لخروج البشرية من كل الظلمات الفردية والاجتماعية

المبعث هو عيد بحقّ، واحتفال كبير، احتفال للمسلمين في كل العصور والأزمان، ولكل الناس لو تمعنوا جيدًا في رسالة الإسلام.

لقد فتحت البعثة النبوية طريقًا جديدًا مقابل الإنسانية: { هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ }⁶⁹. البعثة هي من أجل أن تُخرج الناس من الظلمات وتهديهم إلى النور. هذه الظلمات تشمل كل أنواع الظلمات الموجودة في العالم، وفي أجواء الحياة البشرية وفي كل التاريخ. إنها ظلمات الشرك والكفر، وظلمات الجهل والحيرة، وظلمات الظلم والجور وانعدام العدالة والتميز، وظلمات البعد عن الأخلاق الإسلامية، والتلوث بأدران الفساد الأخلاقي، ظلمات اقتتال الإخوة، وظلمات سوء الفهم واعوجاجه وشتى صنوف الظلمات. يهدي الإسلام البشر للخروج من هذه الظلمات، وسوف تجد الإنسانية تدريجيًا هذا السبيل عن طريق التعلم والسعي والحركة والتصميم والتفكير السليم ومعرفة العقبات والموانع.

إمكانيات البشرية وقدرتها على فهم الرسالة النبوية أكبر حاليًا بكثير ممّا كانت عليه في الماضي. كلما كان علم البشر أكثر، كلما ارتفع احتمال توفيق رسالة الإسلام ونجاحها، كلما استخدم عتاة العالم – في أيّ مكان من العالم كانوا – أدواتهم الحيوانية والتعسفية أكثر لقمع المشاعر الإنسانية من أجل تسخير البشر والتحكّم بهم – وبهذا يظهر ظلم القوى المتعسفة ضد الإنسانية أكثر – كلما تفتح المجال أكثر للتعرف على نور الإسلام أكثر، وكلما تعطّش الناس للإسلام أكثر. إنّنا في الوقت الحاضر نشعر بآثار تعطش البشرية لرسالة الإسلام، وهي رسالة التوحيد والمعنوية والعدالة والكرامة الإنسانية، الناس متشوّقون لهذه الرسالة.

طبعاً من واجبنا نحن المسلمين أن نعرض هذه الرسالة على أنظار العالم، بسلوكنا وأقوالنا وعزيمتنا وإرادتنا. أينما صدر عن المؤمنين بالإسلام داخل الأمة الإسلامية تحرّك فيه فضيلة، ازداد الإسلام في أعين الناس في العالم نوراً وجاذبية، وأينما ظهر عن أنباء الأمة الإسلامية حالات ضعف وخور وذلة وانحطاط وتخلف، فسيكون هذا سبباً في الحط من شأن الإسلام. إذا صدر اليوم عن الأمة الإسلامية وأقويائها – الذين بوسعهم فعل شيء – كلامٌ وعملٌ يدلّان على الانحطاط فسيكون ذلك إهانة للإسلام في أعين الناس في العالم. لذا فإنّ واجبات الساسة المسلمين اليوم جسيمة جدّاً، وواجبات علماء الإسلام ثقيلة للغاية، ووظائف المستثمرين والفنانين والكتّاب والأدباء المسلمين هائلة بشكل كبير، وواجبات كل واحد من أبناء الإسلام في البلدان الإسلامية يمكنه التأثير في البيئة التي تحيط به، ثقيلة جدّاً. اليوم يوم يمكن فيه رفع رسالة الإسلام أمام العالم وأمام الإنسانية المظلومة والإنسان الحائر، والقول: «هذا هو سبيل نجاتكم، هذه حقائق»⁷⁰.

خلاصة سيرة النبي الأكرم ﷺ في الأعوام العشرة لحكومته في المدينة المنورة

خصّصْتُ الخطبة الأولى لشرح مختصر لسيرة النبي الأكرم ﷺ في فترة حكمته الإسلامية في المدينة المنورة التي استمرت عشرة أعوام، وهي من أعظم – ولا نغالي إذا قلنا إنها أعظم – فترات الحكم على مرّ التاريخ الإنساني. يجب معرفة هذه الفترة القصيرة والزاخرة والثرة والمؤثرة تأثيرًا خارقًا في التاريخ البشري. طبعًا، أوصي كل الإخوة والأخوات – خصوصًا الشباب – أن يراجعوا تاريخ حياة النبي الكريم ﷺ ويقرؤوه ويتعلموه.

فترة المدينة المنورة هي الفصل الثاني من فترة الأعوام الثلاثة والعشرين لرسالة النبي الأكرم ﷺ. الفصل الأول هو ثلاثة عشر عامًا في مكة – الذي يعدّ مقدمة الفصل الثاني – وهناك عشرة أعوام فترة المدينة المنورة وهي مدة إرساء دعائم النظام الإسلامي وبناء نموذج لسيادة الإسلام لكل العصور والأزمنة والأماكن في التاريخ الإنساني. هذا النموذج هو بالطبع نموذج كامل، ولا يمكن أن نجد له مثيلًا في أيّ من العصور الأخرى، ولكن بالنظر إلى هذا النموذج الكامل يمكن معرفة المعايير والملاكات. وتمثل هذه المعايير بالنسبة إلى أبناء البشر والمسلمين علامات ومؤشرات يستطيعون الاستعانة بها لتقييم أنظمة الحكم والناس. كان هدف النبي الأعظم ﷺ من الهجرة إلى المدينة هو الكفاح ضد البيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية الظالمة الطاغوتية الفاسدة التي سادت في كل أنحاء العالم، ولم يكن الهدف يقتصر على كفاح الكفار في مكة، إنما كانت القضية قضية عالمية. وقد تابع رسول الله ﷺ هذا الهدف، وأينما كانت الظروف مؤاتية نثر بذور الأفكار والعقائد الإسلامية، على أمل أن يحين الوقت المناسب لانبثاق هذه البذور وظهورها. كان الهدف إيصال رسالة حرية الإنسان وصحته وسعادته لكل القلوب. وهذا لم يكن

ممكناً إلاً بتأسيس نظام نموذجي. لذلك وفد الرسول الأكرم ﷺ إلى المدينة ليؤسس هذا النظام. أما كم سيسطيع التالون له مواصلته والاقتراب منه فهذا أمر يعود لعلو هممهم. الرسول الأكرم ﷺ يقدم النموذج ويعرضه على كل البشرية والتاريخ.

سبع ميزات رئيسية للنظام الإسلامي الذي أسّسه الرسول الأكرم ﷺ

النظام الذي أسّسه الرسول الأكرم ﷺ له الكثير من الخصائص والميزات، تلوح من بينها سبع ميزات مهمة:

الميزة الأولى هي الإيمان والروح المعنوية. المحفز والداينامو المحرك الحقيقي للنظام النبوي هو الإيمان الذي ينبثق من معين قلوب الناس وأفكارهم، ويأخذ بأيديهم وسواعدهم ووجودهم نحو الاتجاه الصحيح. إذًا، الخصيصة الأولى هي بث وتعزيز روح الإيمان والمعنوية ونشر الاعتقاد والأفكار الصحيحة بين الناس، وهذا ما بدأه الرسول الأكرم ﷺ من مكة، ورفع رايته باقتدار في المدينة المنورة.

والميزة الثانية هي القسط والعدل. أساس الأمر قائم على العدالة والقسط، وإيصال كل حق لصاحبه دون أي ملاحظات واعتبارات.

الميزة الثالثة هي العلم والمعرفة. كل شيء في النظام النبوي قائم على العلم والمعرفة والوعي والصحة. لا يأخذون أحدًا إلى اتجاه وهو مغمض العينين، إنما يحولون الأفراد إلى طاقات فعالة – وليست منفعة – بالوعي والمعرفة والقدرة على التشخيص.

الميزة الرابعة هي الصفاء والأخوة. النزاعات الناجمة عن الدوافع الخرافية والشخصية والنفعية والانتهازية مبعوضة كريمة في النظام النبوي، والنظام النبوي يحاربها ويرفضها. إنما الأجواء هناك أجواء محبة وأخوة وتعاطف ووثام.

والميزة الخامسة هي الصلاح الأخلاقي والسلوكي. إنه نظام يُزَكِّي الناس ويطهّرهم من المفسد والردائل الأخلاقية، يصنع أناسًا خلوّقين ذوي تزكية و طهر: { وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ }⁷¹. التزكية من الأركان الأساسية، بمعنى أن الرسول الأكرم ﷺ كان يمارس العمل التربوي على كل الأفراد والشخوص.

الميزة السادسة هي الاقتدار والعزة. ليس المجتمع والنظام النبوي نظامًا خانعًا عميلًا تابعًا، يمدّ يد الحاجة لهذا وذاك، بل هو نظام عزيز مقتدر يتخذ قراراته بنفسه، وحين يعرف صلاحه يعمل لتأمينه ويقوم بما يجب عليه من أجل تحقيقه.

والميزة السابعة هي العمل والتحرّك والتقدم الدائم، لا توقف في النظام النبوي. ثمة تحرّك وعمل وتقدم ونشاط دائمًا. لا يحدث في وقت من الأوقات أن يُقال في هذا النظام: لقد انتهى الأمر، ويجب أن نستريح بعد الآن! لا يوجد مثل هذا الشيء في هذا النظام. طبعًا هذا العمل عمل لذيذ ومبهج، وليس عملًا متعبًا أو مملاً أو رتيبًا. إنّه عمل يمارسه الإنسان بنشاط وشوق واندفاع.

دخل رسول الله ﷺ إلى المدينة ليؤسّس هذا النظام ويكمّله ويتركه نموذجًا أبدى عبر التاريخ، ليقيم كل من استطاع على مرّ التاريخ – أي من بعد زمانه وإلى يوم القيامة – ما يشبهه ويبثّ الشوق والتطلع في القلوب حتى يسير الناس نحو مثل هذا المجتمع. طبعًا، تأسيس مثل هذا النظام يحتاج إلى أسس عقيدية وإنسانية. أولًا، يجب أن تتوافر عقائد وأفكار صحيحة لينهض هذا النظام عليها. كان الرسول الأكرم ﷺ قد بيّن هذه الأفكار والعقائد في إطار التوحيد والعزة الإنسانية وسائر المعارف الإسلامية طوال ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة، ثمّ واصل في المدينة المنورة في كل آنٍ ولحظة، وإلى حين وفاته تبين وعرض هذه الأفكار والمعارف السامية – وهي أسس هذا النظام – للناس وعلمهم وأفهمهم إيّاها. ثانيًا لا بدّ من أسس وأركان إنسانية لينهض هذا البناء عليها – فالنظام الإسلامي لا يقوم على الفرد – وقد أوجد الرسول الأكرم ﷺ وأعدّ الكثير من هذه الأركان في مكة المكرمة. كان بعضهم من أصحاب الرسول الأجلّاء – على اختلاف مراتبهم – وهم ثمرة جهود النبي الكريم ومسايعيه وجهاده طوال فترة الأعوام الثلاثة عشر في مكة المكرمة، وبعضهم الآخر كانوا أشخاصًا تعرّفوا على الرسالة الإسلامية في يثرب قبل هجرة الرسول إليها، وهم أشخاص من قبيل سعد بن معاذ وأبي أيوب وغيرهما. وبعد أن وصل الرسول ﷺ إلى المدينة بدأ صناعة الإنسان من اللحظة الأولى، وشيئًا فشيئًا دخل المدينة مدراء

أَكْفَاءُ وَأَشْخَاصٌ عَظْمَاءُ شَجَعَانُ ذَوُو صَفْحٍ وَإِيمَانٍ وَقُوَّةٍ وَمَعْرِفَةٍ، فَكَانُوا أَرْكَانَ هَذَا الصَّرْحِ الشَّامِخِ الرَّفِيعِ وَأَسَاسَهُ الْمَتِينَةَ.

كَانَتْ هَجْرَةُ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ – الَّتِي كَانَتْ تَسَمَّى قَبْلَ دُخُولِ الرَّسُولِ إِلَيْهَا يَثْرِبَ، وَبَعْدَ أَنْ جَاءَهَا سَمِّيتَ مَدِينَةَ النَّبِيِّ – كَالنَّسِيمِ الرَّبِيعِيِّ الْعَلِيلِ الَّذِي انْتَشَرَ فِي أَجْوَاءِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ، وَشَعَرَ الْجَمِيعُ بِالْفَرَجِ وَالرَّاحَةِ وَالْإِنْشِرَاحِ لِدُخُولِهِ إِلَيْهَا، لِذَلِكَ تَنَبَّهَتْ الْقُلُوبُ وَصَحَّتْ. حِينَ سَمِعَ النَّاسُ أَنَّ الرَّسُولَ دَخَلَ قَبَا – وَقَبَا بِالْقَرَبِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَقَدْ بَقِيَ الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ ﷺ هُنَاكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا – كَانَتْ أَشْوَاقُ أَهَالِي الْمَدِينَةِ لِرُؤْيَيْهِ تَتَصَاعَدُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ. تَوَجَّهَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَى قَبَا وَزَارُوا النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ ﷺ وَعَادُوا. وَبَعْضُهُم الْآخَرُ انْتَظَرَ فِي الْمَدِينَةِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَهَا. وَحِينَ دَخَلَ الرَّسُولُ الْمَدِينَةَ بَعْدَ ذَلِكَ، تَحَوَّلَ الشُّوقُ وَالنَّسِيمُ اللَّطِيفُ الْخَفِيفُ إِلَى طُوفَانٍ فِي قُلُوبِ النَّاسِ فَغَيَّرَهَا. فَجَاءَ شَعْرُوا أَنَّ عَقَائِدَهُمُ السَّابِقَةَ وَعَوَاطِفَهُمُ وَانْتِمَاءَاتَهُمْ وَارْتِبَاطَاتَهُمْ وَعَصَبِيَّاتَهُمُ الْقَبْلِيَّةَ السَّابِقَةَ زَالَتْ أَمَامَ وَجْهِ هَذَا الرَّجُلِ وَسُلُوكِهِ، وَقَدْ انْفَتَحَتْ أَمَامَهُمْ بَوَابٌ جَدِيدَةٌ نَحْوَ حَقَائِقِ عَالَمِ الْخَلْقَةِ وَالْمَعَارِفِ الْأَخْلَاقِيَّةِ. وَكَانَ هَذَا الطُّوفَانُ قَدْ صَنَعَ أَوَّلًا ثَوْرَةً فِي الْقُلُوبِ ثُمَّ اتَّسَعَ وَامْتَدَّ إِلَى أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ احْتَلَّتْ الْقَلْعَةَ الطَّبِيعِيَّةَ فِي مَكَّةَ، ثُمَّ امْتَدَّ لِأَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ وَتَقَدَّمَ إِلَى أَعْمَاقِ الْإِمْبِرَاطُورِيَّتَيْنِ وَالْبُلْدَيْنِ الْكَبِيرَيْنِ فِي ذَلِكَ الْحِينِ. وَقَدْ هَزَّتِ الْقُلُوبُ وَأُوجِدَتْ ثَوْرَةٌ فِي النُّفُوسِ أَيْنَمَا سَارَ. لَقَدْ فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ إِيرَانَ وَالرُّومَ بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ. وَالشُّعُوبُ الَّتِي تَعَرَّضَتْ لِلْهَجُومِ بِمَجْرَدِ أَنْ رَأَتْهُمْ كَانَ هَذَا الْإِيمَانُ يَنْتَقِلُ إِلَى قُلُوبِهِمْ. وَالسَّيْفُ كَانَ مِنْ أَجْلِ رَفْعِ الْمَوَانِعِ وَحُكَامِ الْعُسْفِ وَالْمَالِ عَنِ الطَّرِيقِ، وَإِلَّا فَإِنَّ عُمُومَ النَّاسِ كَانُوا قَدْ رَحَّبُوا بِهَذَا الْمَدِّ، وَغَدَتْ الْإِمْبِرَاطُورِيَّتَانِ الْعَظِيمَتَانِ آنَ ذَاكَ – أَيُّ الرُّومِ وَإِيرَانَ – جِزْءًا مِنْ ذَلِكَ النِّظَامِ وَالْبَلَدِ الْإِسْلَامِيِّ مِنَ الْأَعْمَاقِ. اسْتَمَرَّ كُلُّ هَذَا لِمُدَّةِ أَرْبَعِينَ عَامًا، عَشْرَةَ أَعْوَامٍ فِي زَمَنِ حَيَاةِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ، وَثَلَاثُونَ عَامًا بَعْدَ رَحِيلِهِ ﷺ.

دروس عدّة من سيرة الرسول ﷺ خلال فترة حكمه في المدينة

بمجرد دخول الرسول الأكرم ﷺ إلى المدينة بدأ العمل والجّد. ومن جملة عجائب حياته ﷺ هو أنّه لم يهدر حتى لحظة واحدة أو يفترط بها طوال هذه الأعوام العشرة. لم يلاحظ أبدًا أنّ الرسول انقطع عن بثّ الأنوار والروح المعنوية والهداية والتعليم والتربية. يقظته ونومه، ومسجده، وبيته، وساحة حربه، وزقاقه، وسوقه، ومعاشرته العائلية ووجوده؛ كانت كلها دروسًا أينما حلّ أو ارتحل. يا لها من بركة في هذا العمر! الشخص الذي احتلّ بفكره التاريخ كله، وأثر عليه – وقد قلتُ مرارًا إنّ الكثير من المفاهيم التي راحت الإنسانية تقدسها لقرون من الزمان نظير مفهوم المساواة والأخوة والعدالة والحرية وحكم الشعب، كلها تأثرت بتعاليمه، ولم يكن مثل ذلك الشيء في تعاليم سائر الأديان، أو إنّها لم تظهر إلى النور على الأقل – لم يمارس العمل الحكومي والسياسي والجماعي سوى عشرة أعوام. يا له من عمر مبارك! لقد اتخذ مواقفه منذ بداية دخوله إلى المدينة.

الناقة التي كانت تحمل الرسول الأكرم ﷺ دخلت مدينة يثرب وأحاط بها الناس. وقد كانت يثرب في ذلك الحين موزّعة إلى محلات وأحياء، وفي كل حيّ بيوت وأزقة وأسوار وشخصيات بارزة، وكانت فيها قبائل بعضها من الأوس وبعضها الآخر من الخزرج. حين دخلت ناقة النبي مدينة يثرب لم تمرّ بقلعة من قلاع القبائل إلا وخرج أكابر القوم ومنعوا الناقة عن المسير قائلين: «يا رسول الله، تعال هنا وانزل علينا ولك بيوتنا وحياتنا وثروتنا وراحتنا». فقال النبي: «لا تصدّوا طريق الناقة، فإنها مأمورة»؛ أي إنّها تسير بأمر يوجّه إليها، «دعوها تواصل طريقها». ففتحوا الطريق أمام الناقة وسارت إلى الحيّ التالي، فهبّ أكابر القوم وأشرافهم وشيوخهم

وشخصياتهم وشبابهم أمام الناقة وقالوا: «يا رسول الله، انزل هنا فهذا بيتك ولك كل ما تشاء وكلنا في خدمتك». فقال لهم أيضاً: «دعوا الناقة تواصل مسيرها فإنها مأمورة». وهكذا سارت الناقة حياً حياً إلى أن وصلت حيّ بني النجار، ومنهم والد الرسول ﷺ، وهم يعدّون بالتالي أحوال الرسول، فتقدموا وقالوا: «يا رسول الله نحن أقرباؤك وكل ما لدينا لك فانزل في بيوتنا». فقال: «لا، إنها مأمورة، فأفسحوا لها الطريق». ففتحوا لها الطريق، وواصلت الناقة السير إلى أفقر أحياء المدينة، وجلست في مكان ما. نظر الجميع ليرى بجانب بيت من بركت الناقة، فوجدوا أنه بيت أبي أيوب الأنصاري، أفقر أو أحد أفقر الناس في المدينة. جاء هو وعائلته الفقيرة، فأخذوا متاع النبي وأدخلوه بيتهم. دخل الرسول بيتهم كضيف، ورفض ضيافة الأعيان والأشراف والمتنفذين ورؤساء القبائل وأمثالهم، بمعنى أنه حدّد موقفه الاجتماعي، وتبيّن أن هذا الشخص غير مرتين للمال والمكانة القبلية وشرف الرئاسة في تلك القبيلة أو أولئك القوم والعائلة أو الناس الانتهازيين.

منذ الساعة الأولى حدّد الرسول الأكرم ﷺ موقفه وتعامله الاجتماعي، وأنه منحاز لأي جماعة وطرف، ولأي فئة سيكون وجوده أنفع وأكثر خيراً وبركة. كلهم كانوا ينتفعون من الرسول وتعاليمه، ولكنّ المحروم أكثر سينتفع بطبيعة الحال أكثر، ولا بد من تعويض حرمانه. أمام بيت أبي أيوب الأنصاري، كانت هناك أرض، فقال: «لمن هذه الأرض؟»، قال له: «إنها ليتيمين اثنين». فدفع مائلاً من عنده واشترى هذه الأرض، وقال: «نبني في هذه الأرض مسجداً»، أي مركزاً سياسياً وعبادياً واجتماعياً وحكومياً، بمعنى مركز لاجتماع الناس. كان لا بدّ من مكان يعدّ مركزاً وقطباً، لذلك بدؤوا ببناء المسجد. لم يطلب أرض المسجد من أحد يهبها له، إنما اشتراها بماله. ومع أنّ ذلكم الطفلين لم يكن لهما أب يدافع عنهما، لكنّ الرسول دفع لهما حقهما كاملاً تاماً، وكأنه أبوهما والمدافع عنهما. حين تقرر أن يبنوا مسجداً، كان الرسول ﷺ أول أو من أوائل من هبوا وأمسك المعول بيده، وشرع بحفر أساس المسجد، ولم يكن فعله هذا عملاً تشريفياً، إنما بدأ بالعمل حقاً وعمل بعرق جبينه، عمل بطريقة قال معها بعض الذين كانوا جالسين جانباً: «أنجلس ورسول الله يعمل هكذا؟! بل نذهب ونعمل نحن أيضاً». لذا جاؤوا وشيّدوا المسجد خلال مدة قصيرة. لقد أثبت الرسول – هذا القائد المقتدر الرفيع – أنّه لا يرى لنفسه أيّ حق خاص مميز. إذا تقرر القيام بعمل معين فيجب أن يكون له نصيبه منه ومن جهوده.

الفطنة والتدبير الدقيق في الأداء

السياسي للرسول الأكرم ﷺ

ثم خطط لتدبير هذا النظام وسياساته وإدارته. حين ينظر المرء ويرى أنه ﷺ تقدم وعمل خطوة خطوة، وبشكل ذكي ومدبر، يدرك أي أفكار وحسابات دقيقة كانت وراء تلك العزيمة والتصميم القاطع الحاسم، والتي لا يمكن حسب الظاهر أن تكون إلا بفضل الوحي الإلهي. واليوم من يريد متابعة تلك الأوضاع التي جرت على مدى عشرة أعوام خطوة بخطوة، لما أدرك شيئاً. لو حسب الإنسان حساب كل واقعة بشكل منفصل لما أدرك شيئاً. يجب أن ينظر ويرى ما هو ترتيب الأمور، وكيف جرت كل هذه الأمور والأعمال بتدبير ووعي وحسابات صحيحة.

أولاً كان هناك مشروع إيجاد الوحدة، لم يكن كل أهل المدينة قد دخلوا في الدين الإسلامي. دخل أكثرهم في الإسلام وبقي عدد قليل جداً غير مسلمين. بالإضافة إلى ذلك كانت هناك ثلاث قبائل مهمة من اليهود تسكن المدينة هم قبيلة بني قينقاع، وقبيلة بني النضير، وقبيلة بني قريظة. كانت لهم قلاعهم الخاصة الملتصقة تقريباً بالمدينة. يعود نزوحهم للمدينة المنورة إلى ما قبل مائة عام أو مائتي عام من ذلك التاريخ، وسبب مجيئهم إلى يثرب بحد ذاته له حكاية طويلة مفصلة. يوم دخل الرسول الأكرم ﷺ المدينة كان اليهود فيها يمتازون ببعض الخصوصيات: أولاً كانت في أيديهم الثروة الأصلية في المدينة، وأفضل المزارع والتجارة وأكثر الصناعات ربحاً، من قبيل صناعة الذهب والجواهر وما إلى ذلك. وكان معظم أهالي المدينة يرجعون لهم في حالات العوز والحاجة، فيقترضون المال ويدفعون الربا؛ أي إنهم كلهم كانوا مدينين وتابعين لليهود من الناحية المالية. والسمة الثانية هي تفوقهم الثقافي على أهل المدينة، فقد كانوا من أهل الكتاب، وبالتالي لهم

معارف دينية وفكرية متنوعة بعيدة جدًا عن الذهنية نصف الوحشية السائدة في يثرب، لذا فهم كانوا مهيمنين فكريًا.

والواقع إننا لو أردنا التحدث بلغة العصر لقلنا إنّ اليهود في المدينة كانوا طبقة مثقفة مستنيرة، لذلك كانوا يحمّون الناس هناك، ويستهنون ويستهنون بهم. طبعًا حين تداهمهم الأخطار ويضطرون للتواضع والصغار كانوا يفعلون ذلك، لكنهم كانوا متفوقين بشكل طبيعي. والخصوصية الثالثة هي أنهم كانوا على ارتباط بالأماكن البعيدة، أي لم يكن فضاؤهم الحيوي في حدود المدينة فقط. كان اليهود واقعًا في المدينة المنورة، لذلك يجب على الرسول الأكرم أن يحسب لهم حسابًا. وقد أوجد ﷺ ميثاقًا جماعيًا عامًا. حين دخل إلى المدينة، تبين أن قيادة المجتمع هي لهذا الرجل، من دون وجود عقد على ذلك ومن دون أن يطلب ذلك من الناس، ومن دون أن يكون الناس قد تفاوضوا في هذا الشأن، بمعنى أن الشخصية والعظمة النبوية أخضعت الجميع أمامه بشكل طبيعي، وتجلّى أنه هو القائد ويجب على الجميع التحرك حول محور ما يقوله. كتب الرسول الأعظم ﷺ ميثاقًا وافق عليه ورضي به الجميع. إنّه ميثاق حول التعامل الاجتماعي والمعاملات والنزاعات والديات وعلاقات الرسول بمعارضيه وباليهود وغير المسلمين. كتب كل هذا وتم تسجيله، وكان شيئًا مفصلاً مستوعبًا يستغرق نحو صفحتين أو ثلاث صفحات كبيرة من كتب التاريخ القديمة.

والخطوة التالية المهمة جدًا هي إيجاد الأخوة. النزعة الأشرافيه والتعصبات الخرافية والغرور القبلي والبون بين الشرائح المتعددة من الناس أخطر البلايا التي تصيب المجتمعات المتعصبة الجاهلية العربية يومذاك. فأعلن رسول الإسلام ﷺ الأخوة، وسحق كل تلك الأمراض بقدميه. أوجد أخوة بين رئيس القبيلة الفلانية وبين شخص عادي جدًا أو متوسط. وقال إنكمأ أخوان، وقد قبلوا هذه الأخوة بكل رغبة. وضع الأشراف والأكابر إلى جانب العبيد المسلمين والمعتوقين، وأزال بذلك كل عقبات الوحدة الاجتماعية. حين أرادوا اختيار مؤذن للمسجد كان أصحاب الأصوات الجميلة والأشكال الجميلة كثرة، وهناك العديد من المعروفين والشخصيات البارزة، لكنّه اختار من بينهم جميعًا بلال الحبشي؛ لا جمال له ولا صوت، ولا شرف عائليًا ولا أب ولا أم من المعروفين المشاهير. لم يكن له إلا الإسلام والإيمان والجهاد في سبيل الله وإبداء التضحية في هذا السبيل، وهذا هو الملاك. لاحظوا كيف أعلن عن القيم بطريقة عملية. أثر عمله وسيرته ونهجه في القلوب، قبل أن يؤثر كلامه في القلوب.

ومن أجل أن يحصل هذا الأمر ويستقر، كان لا بدّ من المرور بثلاث مراحل: المرحلة الأولى إرساء دعائم النظام والتأسيس له، وهو ما حصل بهذه الأعمال. والمرحلة الثانية حراسة هذا النظام وحمايته، الكائن الحيّ الآخذ بالرشد والنمو الذي لو علم به كل أصحاب القوة والسلطان لشعروا بالخطر منه، له أعداؤه طبعًا. وإذا لم يستطع الرسول الأكرم ﷺ حماية هذا الوليد الجديد المبارك بوعي وفطنة مقابل أعدائه، فإنّه سوف يزول وتذهب كل جهوده هباءً، لذلك لا بدّ من حمايته. والمرحلة الثالثة هي استكمال البناء وترميمه. إرساء الدعائم والأسس ليس كافيًا، فهذه هي الخطوة الأولى. هذه الأعمال الثلاثة تحصل إلى جانب بعضها بعضًا. أولاً إرساء الدعائم والأسس، ولكن في أثناء عملية التأسيس نفسها أخذ الأعداء بنظر الاعتبار، واستمرت عمليات الحماية بعد ذلك أيضًا. وفي عملية إرساء الدعائم نفسها جرى الاهتمام بالأشخاص والبُنى الاجتماعية، واستمرت هذه الحالة بعد ذلك أيضًا.

نظر النبي فوجد خمسة أعداء أصليين يهددون هذا المجتمع الفتّي الجديد:

خمسة أعداء أصليين هددوا المجتمع الإسلامي في عصر النبي ﷺ

1 - القبائل نصف المتوحشة المحيطة بالمدينة

العدو الأول عدو صغير قليل الأهمية، ولكن يجب في الوقت ذاته عدم الغفلة عنه، فقد يخلق على حين غرة أخطارًا كبيرة. من هو هذا العدو؟ إنه القبائل نصف المتوحشة المحيطة بالمدينة. كان هناك على بعد عشرة فراسخ أو خمسة عشر فرسخًا أو عشرين فرسخًا من المدينة المنورة قبائل نصف متوحشة كل حياتها حروب ودماء وغارات ونزاعات ونهب في ما بينها. إذا أراد الرسول الأكرم ﷺ إقامة نظام اجتماعي سليم وموثوق وهادئ في المدينة، فيجب أن يحسب لهؤلاء حسابهم. فكّر الرسول الأعظم ﷺ بهؤلاء، وعقد المعاهدات مع أي قبيلة منهم وجد فيها علامات الصلاح والهداية، ولم يقل لهم منذ البداية يجب أن تدخلوا في الإسلام، لا، بل كانوا كفارًا ومشركين. لكنه عقد معاهدات معهم لكي لا يهجموا ويتطاولوا. وكان النبي الأكرم ﷺ شديد الإصرار على عهوده وصارم الالتزام بها، وسوف أتطرق لهذا الجانب لاحقًا. أما الأشرار وغير الموثوقين منهم فقد عالجهم النبي بنفسه وسار إليهم. والسرايا التي سمعتم أن النبي بعث خمسين شخصًا لتلك القبيلة وعشرين رجلًا لتلك القبيلة، حالة تتعلق بهؤلاء الذين كانوا ذوي طباع لا تقبل الهدوء والهداية والإصلاح، ولا يمكنهم العيش إلا بسفك الدماء والقوة. لذا سار النبي إليهم واشتدّ معهم وألزمهم حدودهم.

2 - الأشراف المستكبرون الحاكمون في مكة

العدو الثاني هو مكة التي كان لها مركزية، وكانت قطبًا مهمًا. صحيح أنه لم تكن في مكة حكومة بالمعنى الدارج للكلمة، لكن كان فيها جماعة من الأشراف المستكبرين المقتدرين المتنفيين،

يحكمون عملياً فيها. وقد كانت لهم خلافاتهم في ما بينهم، لكنهم اتحدوا مقابل هذا الوليد الجديد. وكان الرسول الأكرم ﷺ

يعلم أنّ الخطر الأفدح والأهم يأتي من هؤلاء، وهذا ما حصل عملياً. شعر النبي أنّه لو قعد حتى يأتيه هؤلاء فسوف يمنحهم الفرصة، لذلك سار إليهم، لكنه لم يسر نحو مكة، إنما هاجم طريق قافلتهم التي تمرّ بالقرب من مكة، فكانت معركة بدر أهم هجوم في بداية الأمر. بدأ النبي الأكرم ﷺ هجماته، وقابلوه بالحرب بكل عصبية وتشدد ولجاجة. واستمرّ الوضع على هذه الحال نحو أربعة أو خمسة أعوام، أي إن الرسول الأكرم ﷺ لم يكن ليتركهم لحالهم، وكانوا هم في المقابل يأملون أن يجتثّوا جذور هذا الوليد الجديد، أي النظام الإسلامي الذي يشعرون بالخطر منه. معركة أحد والمعارك الأخرى التي وقعت كانت على هذه الخلفية.

المعركة الأخيرة التي ساروا فيها نحو الرسول كانت معركة الخندق وهي من المعارك المهمة جداً. جمعوا كل قواهم واستعانوا بالآخرين، وقالوا نسير إليه ونقتل مائتين أو ثلاثمائة أو خمسمائة من أصحابه المقربين، وننهب المدينة، ونعود سالمين غانمين مطمئنين، ولن تبقى لهم باقية أو آثار. وقبل أن يصلوا إلى المدينة اطلع النبي على نواياهم وتحركهم وحفر الخندق المعروف. أحد أطراف المدينة كان هشاً ممكن النفوذ منه، لذلك حفروا هناك خندقاً بعرض أربعين مترّاً تقريباً، وكانوا في شهر رمضان. وحسب بعض الروايات فقد كان الجو بارداً جداً، ولم تكن هناك أمطار في ذلك العام، ولم يحصل الناس على عائدات ومحاصيل جيدة، لذلك كانت المشكلات كثيرة. وقد عمل النبي نفسه أشد وأكثر من الكل. أينما شاهد شخصاً تعب وتوقّف ولا يستطيع مواصلة العمل في حفر الخندق، كان الرسول يأخذ المعول منه ويعمل؛ أي إنه لم يكن يشارك بأوامره فقط، بل كان يشارك بجسمه وكده وسط جموع الناس. ووصل الكفار مقابل الخندق فشاهدوا أنّهم لا يستطيعون اجتيازه، لذلك اضطروا للعودة مهزومين مفضوحين يائسين مخفقين. فقال النبي: «انتهى الأمر، هذه ستكون آخر هجمة لقريش مكة علينا. من الآن فصاعداً سيكون الدور لنا، وسوف نهاجمهم نحن وهم في مكة».

في السنة التالية قال الرسول الأكرم ﷺ إنّنا نريد الذهاب للعمرة، ف وقعت حادثة الحديبية، وهي من الأحداث ذات المعاني العميقة الكبيرة. سار النبي إلى مكة بقصد العمرة. وشاهد المشركون أنّ النبي قادم إلى مكة في الشهر الحرام الذي لا حرب ولا قتال فيه وهم يحترمون

الأشهر الحرم. فماذا يفعلون؟ هل يفتحون له الطريق ليدخل؟ وما سيصنعون مع مثل هذا النصر الذي سيحققه، وكيف يمكنهم الحؤول دونه والتصدي له؟ هل يسبغون لحربه في الشهر الحرام؟ كيف يقاتلون؟ وأخيرًا، قرروا أن يسبغوا ويحولوا دون دخوله إلى مكة، وإذا أتهم الذريعة ارتكبوا مذبة ضد المسلمين. ودبر الرسول الأعظم ﷺ أفضل وأرقى تدبير اضطرهم للجلوس معه وتوقيع معاهدة معه ليعود، على أن يأتي السنة القادمة لأداء العمرة، وانفتحت الأجواء في كل المنطقة للإعلام والتبليغ النبوي. اسمه صلح، لكن الله تعالى يقول في القرآن الكريم: { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا }⁷². لو راجع المراجعون المصادر التاريخية الصحيحة المعتبرة للاحظوا كم كانت قضية صلح الحديبية عجيبة. توجه الرسول الأكرم ﷺ العام المقبل إلى العمرة وازدادت شوكته وقوته على الرغم منهم يومًا بعد يوم. وفي السنة التالية – أي في السنة الثامنة للهجرة – حين نقض الكفار عهودهم سار النبي وفتح مكة، وكان فتحًا عظيمًا ينم عن اقتداره وسيطرة حكومته. وعليه، تصرف الرسول مع هذا العدو أيضًا بتدبير واقتدار وصبر وأناة ومن دون اضطراب وتسرع، بل بخطوة إلى الوراء ليسير يومًا بعد يوم وخطوة خطوة إلى الأمام.

3 – القبائل اليهودية الثلاث

العدو الثالث هو اليهود، أي الأجانب غير الموثقين الذين رضوا مؤقتًا بمعايشة الرسول ﷺ في المدينة المنورة، لكنهم لم يكونوا يقلعون عن الإيذاء والإخلال والتخريب. ولو نظرنا لوجدنا أن جزءًا كبيرًا من سورة البقرة وبعض الأجزاء من سور قرآنية أخرى تتعلق بالكفاح الثقافي للرسول ضد اليهود، فقد ذكرنا أنهم كانوا أناسًا أصحاب ثقافة، ولهم وعيهم ومعارفهم، وكانوا يؤثرون تأثيرًا كبيرًا على أذهان ضعفاء الإيمان، ويتآمرون ويبثون اليأس في نفوس الناس ويشعلون النزاعات بينهم. لقد كانوا عدوًا منظمًا لرسول الله ﷺ والإسلام. وقد عمل الرسول معهم بالمداراة ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، ولكن حين شاهد بعد ذلك أن المداراة لا تنفع معهم عاقبهم. ولم يسر الرسول نحوهم دون مقدمات أو مسوغات. كل واحدة من هذه القبائل الثلاث قامت بشيء فعاقبهم الرسول حسب أعمالهم. في البداية خانه بنو قينقاع فسار إليهم الرسول وقال يجب أن تغادروا هذا المكان، فنزحوا وطردهم الرسول وبقيت كل مقدراتهم للمسلمين. والفئة الثانية هم بنو النضير خانوه أيضًا – وقصة خيانتهم مهمة في التاريخ – فقال لهم الرسول ﷺ: «خذوا مقدارًا من متاعكم وغادروا»، فاضطروا للجلاء والمغادرة. والطائفة الثالثة هم بنو قريظة الذين سمح الرسول لهم بالبقاء وأعطاهم الأمان ولم يطردهم، وأبرم معهم عهدًا لكي لا يسمحوا للعدو في

معركة الخندق بالدخول إلى المدينة من أحيائهم، لكنهم تصرّفوا بدناءة وتأمروا مع العدو ليهاجموا الرسول إلى جانب المشركين! أي إنهم لم ينكثوا عهدهم مع الرسول وحسب، وإنما حين حفر الرسول خندقًا حول جزء من المدينة كان هشًا يقبل التغلغل منه، وكانت أحيائهم في جانب آخر وكان لا بدّ أن يمنعوا العدو من الدخول للمدينة عن طريق أحيائهم، ذهبوا وتفاوضوا مع العدو ليدخل العدو وهم معه بالاشتراك من ذلك الجانب ويطعنوا النبي وجماعته من الخلف غدراً! وعلم الرسول بمؤامرتهم عندما حصلت.

استمرّ حصار المدينة نحو شهر، وقد خانوا الرسول ﷺ في أواسط هذا الشهر. وعلم الرسول بالأمر وبقرارهم هذا. ودبّر تدبيرًا ذكيًا جدًّا ليوثق بينهم وبين قريش – وقد كتبوا تفاصيل ذلك في التاريخ – وعمل ما من شأنه أن تزول الثقة بينهم وبين قريش. وكانت من حيل الحرب السياسية الرائعة جدًّا من قبل الرسول؛ أي إنّه شلّهم هناك لكي لا يستطيعوا توجيه ضربة له. وبعد ذلك حين هزمت قريش وحلفاؤها، وغادروا الخندق وعادوا إلى مكة، عاد الرسول إلى المدينة، وصلى صلاة الظهر في اليوم نفسه الذي عاد فيه، وقال: «نصلي العصر أمام قلاع بني قريظة، فسيروا إلى هناك»؛ أي إنّه لم ينتظر حتى ليلة واحدة، فسار إليهم وحاصرهم. واستمرّ الحصار والنزاع خمسة وعشرين يومًا. بعدها قتل الرسول كل رجالهم المحاربين، لأنّ خيانتهم كانت أكبر، ولم تكن تقبل الإصلاح. هكذا تعامل الرسول معهم، أي إنه دفع عن المسلمين خطر اليهود – في حادثة بني قريظة أساسًا وقبلها في حادثة بني النضير وبعدها في حادثة يهود خيبر – بهذه التدابير والقدرة والمتابعة والأخلاق الإنسانية السامية. ولم ينقض الرسول عهده في أيّ من هذه الحوادث، وهذا ما يؤيده حتى أعداء الإسلام بأن الرسول الأكرم ﷺ لم ينقض أي عهد من عهده في هذه الأحداث، إنما كانوا هم الذين نقضوا العهود.

4 – المنافقون

العدو الرابع هو المنافقون. المنافقون كانوا مبثوثين بين الناس والمسلمين، إنهم أناس آمنوا بالسنتهم لكنهم غير مؤمنين في بواطنهم وقلوبهم، وكانوا أناسًا منحطين معاندين ضيقي النظر ومستعدين للتعاون مع العدو، لكنهم غير منظمين. وهذا هو فرقهم عن اليهود. يتعامل الرسول مع العدو المنظمّ المستعد للهجوم والجاهز لتوجيه الضربات كما تعامل مع اليهود، ولا يعطيهم الفرصة والأمان، أما العدو غير المنظم، حتى لو كانت له عداوته وخبثه الفردي، فيتحمّله. كان عبد الله بن

أبيّ من أعدى أعداء الرسول ﷺ. وقد بقي على قيد الحياة إلى حدود العام الأخير من حياة الرسول، لكن النبيّ الأكرم لم يعامله معاملة سيئة. هذا في حين أنّ الجميع كانوا يعلمون أنّه منافق، لكنه تعامل معه بالماشاة وتصرف معه كباقي المسلمين، ومنحه سهمه من بيت المال، وحفظ له أمنه وحرمة. هذا مع أنّه مارس ما مارس من الإساءات والخبث، وهناك فصل من سورة البقرة يتحدّث عن هؤلاء المنافقين. وحين قام عدد من هؤلاء المنافقين بأعمال منظمة سار إليهم الرسول. في قضية مسجد ضرار أقام المنافقون مركزاً لهم، وشكلوا علاقات مع خارج النظام الإسلامي – أي مع من كان في منطقة الروم، مثل أبي عامر الراهب – ومهّدوا الأمور لتحرك جيش من الروم ضد الرسول. هنا تحرك الرسول ضدهم وهدم المسجد الذي بنوه وأحرقه. وقال إن هذا المسجد ليس بمسجد، بل هو مركز تأمر على المسجد وعلى الله وعلى الناس. وعندما أظهر بعض المنافقين كفرهم وخرجوا من المدينة وأعدّوا جيشاً في مكان من الأمكنة، حاربهم الرسول وقال إذا اقتربوا منا سرنا إليهم وقتلناهم، هذا مع أنّ المنافقين كانوا داخل المدينة أيضاً، ولم يكن النبي ﷺ يتعرّض لهم. وعليه، كان له موقف حاسم منظم مع الفئة الثالثة، لكنه تعامل بطريقة مرنة ليئة مع الفئة الرابعة، لأنّهم لم يكونوا منظمين وأخطارهم أخطار فردية. وكثيراً ما كان الرسول ﷺ يُخجلهم بسلوكه.

5 – العدو الداخلي.. الميول النفسية نحو الانحراف والضلال

أما العدو الخامس فهو عدو يعيش في داخل كل واحد من المسلمين والمؤمنين. وهو أخطر من كل الأعداء الآخرين. إنه عدو موجود في داخلنا نحن أيضاً. إنّ الميول النفسية والأهواء والنزوات والأنانيات والميل للانحراف والنزوع للانحراف والمزلق التي يمهد الإنسان نفسه الأرضية لها. وقد حارب الرسول ﷺ هذا العدو أيضاً حرباً لا هوادة فيها، بيد أنّ محاربة هذا العدو لا تكون بالسيف، بل هي بالتربية والتزكية والتعليم والإنذار. لذلك حين عاد المسلمون من إحدى الحروب بعد كثير من الجهد والتعب، قال لهم الرسول الأكرم ﷺ: «عدتم من الجهاد الأصغر وبقي عليكم الجهاد الأكبر». عجيب..! يا رسول الله، وما الجهاد الأكبر؟! لقد خضنا جهاداً بهذه العظمة والمتاعب، أو هناك جهاد أكبر من هذا الجهاد؟!، فقال لهم الرسول: «نعم، إنه جهاد أنفسكم». حين يقول القرآن الكريم: { الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ }⁷³، لا يريد بهم المنافقين، طبعاً بعض المنافقين هم أيضاً ممن في قلوبهم مرض، ولكن ليس كل من في قلبه مرض يمكن أن يقال إنه من المنافقين. قد يكون مؤمناً ولكن في قلبه مرض. ما معنى هذا المرض؟ معناه حالات

الضعف الأخلاقية والشخصية والأهواء والميل للأنانيات المختلفة التي إن لم تمنعها وتحاربها فسوف تسلبك الإيمان، وتفترغك من الداخل.

حين يسلبك هذا المرض إيمانك، يكون قلبك خلواً من الإيمان وظاهره الإيمان، وعندئذ سيُسمّى مثل هذا الشخص منافقاً. إذا خلت قلوبنا أنا وأنتم لا سمح الله من الإيمان وظاهرنا ظاهر إيماني، وإذا فقدنا الأواصر والالتزامات العقيدية والإيمانية، وما انفكّ لساننا يلهج بالكلام الإيماني الذي كنا نقوله سابقاً، فسيكون هذا هو النفاق، وهو خطر. يقول القرآن الكريم: {ثُمَّ كَانَ عِقَبَةَ الَّذِينَ أَسْأَوْا السُّوْأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ}،⁷⁴ الذين يفعلون الأفعال السيئة سيكون نصيبهم أسوأ الأشياء. فما هو أسوأ الأشياء؟ التكذيب بآيات الله. ويقول في موضع آخر: «الذين لم يقوموا بالواجب الإلهي الكبير المتمثل بالإنفاق في سبيل الله {فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ}»⁷⁵، لأنهم أخلفوا الله ما وعدوه تفاعل النفاق في قلوبهم. هذا هو الخطر الكبير على المجتمع الإسلامي، وأينما ترون في التاريخ أن المجتمع الإسلامي قد انحرف فهذا هو السبب. قد يدخل العدو الخارجي فيقمع ويدمر ويهزم وينتصر، لكنه لا يستطيع أن يدمر كل شيء، لأن الإيمان سيبقى وينمو ويتصاعد ويزدهر في وقت من الأوقات. ولكن حين تهجم جيوش العدو الداخلي وتُخلي داخل الإنسان وتفترغه، فإن الطريق سيتغيّر وينحرف. وأينما حصل انحراف فهذا هو السبب والمصدر. وقد حارب الرسول الأكرم ﷺ هذا العدو أيضاً.

كان الرسول الأكرم ﷺ مدبراً في تصرفاته وأعماله ولا يفوت الوقت. لا يسمح للوقت بالقوات في أي قضية من القضايا. كان يعيش القناعة والطهارة الشخصية، ولم تكن في ذاته المباركة أي نقطة ضعف. كان معصوماً ومطهراً، وهذا بحد ذاته أهم عوامل التأثير. علينا أن نتعلم، وجانب كبير من هذا الكلام يجب أن يُقال لي، ويجب أن أتعلمه أنا، والمسؤولون كذلك، التأثير بالأعمال أعمق وأوسع بكثير من التأثير باللسان. كان حاسماً وصريحاً، ولم يكن يتحدث بكلام ذي وجهين أبداً. طبعاً حين كان يواجه العدو كان يمارس العمل السياسي بدقة، ويوقع العدو في الخطأ. في أحيان كثيرة، فاجأ الرسول الأعداء وأخذهم على حين غرة، سواء من الناحية العسكرية أو من الناحية السياسية، لكنه كان مع المؤمنين ومع أصحابه صريحاً واضحاً دوماً يتكلم معهم بشفافية ولم تكن له معهم ممارسات سياسية. في حالات اللزوم كان يعاملهم بلين، مثل قضية عبد الله بن أبي التي فيها الكثير من الأحداث والتفاصيل. ولم ينكث أبداً عهده والتزاماته مع الناس

والجماعات التي كانت له معهم عهود وعقود حتى مع أعدائه وكفار مكة. لم ينقض الرسول ﷺ عهوده معهم، بل نقضوها هم، وردّ الرسول ردًا حاسمًا. لم ينكث تعهده ومواثيقه مع أحد أبدًا، لذلك كانوا يعلمون أنهم حين يبرمون العهود والمواثيق مع هذا الرجل يمكن الوثوق بعهوده وما يقوله.

من جهة أخرى لم يكن الرسول الأكرم ﷺ يترك تضرّعه، بل كان يعزز ارتباطه بالله تعالى أكثر فأكثر. في وسط ساحة الحرب، عندما كان ينظّم قواته ويشجعهم ويحضهم، كان يأخذ السلاح بنفسه ويمارس القيادة بحسم، أو يعلمهم ماذا يفعلون، ويقع على ركبتيه ويرفع يديه بالدعاء لله تعالى ويبيكي أمام الناس ويتكلم مع الله: «ربنا أنت أعنّا.. ربنا أنت انصرنا.. ربنا ادفع أنت أعداءك». لم يكن دعاؤه يصرفه عن استخدام قوّته، ولا استخدامه قوّته كان يغفله عن التوسل والتضرّع والارتباط بالله. كان لا يغفل عن الجانبين. لم يملكه الخوف أو التردد يومًا أمام العدو اللدود. الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهو مظهر الشجاعة، يقول: «متى ما كانت الظروف تسوء وتعسر في الحروب كنا نلوذ برسول الله». متى ما شعر شخص بالضعف في المواطن الصعبة كان يلوذ بالرسول. لقد حكم عشرة أعوام ولكن لو أردنا أن نعطي ما قام به خلال هذه الأعوام العشرة لمجموعة دؤوبة لتقوم به لما استطاعت إنجاز كل هذا الجهد والسعي والخدمات حتى في مائة سنة. إذا قارنّا أعمالنا اليوم بما قام به الرسول الكريم ﷺ، سنعلم عندها ماذا فعل الرسول. إدارة تلك الحكومة وتأسيس ذلك المجتمع وصياغة ذلك النموذج، من معجزات الرسول. عاش الناس معه عشرة أعوام نهارًا وليلاً، وكانوا يأتونه في بيته، ويزورهم في بيوتهم. وكان معهم في المسجد، ومعهم في الطرق والأسفار، ومعهم في النوم ومعهم في الجوع ومعهم في الأفراح. أجواء حياه الرسول الأعظم ﷺ كانت أجواءً مبهجة مليئة بالسُرور، كان يتمازح مع الأشخاص ويجعل لهم المسابقات ويشترك في المسابقات. الذين عاشوا مع الرسول تلك الأعوام العشرة تعمقت محبته والإيمان به في قلوبهم يومًا بعد يوم. في فتح مكة، حين جاء أبو سفيان خفية وبحماية العباس – عمّ الرسول – إلى معسكر المسلمين ليحصل على الأمان، شاهد عند الصباح أن النبي يتوضأ والناس من حوله يأخذون قطرات الماء المتساقطة من وجهه ويديه ويتنافسون عليها! فقال: «لقد شاهدت الأكاسرة والقيصرة – ملوك العالم الأقوياء الكبار – لكنني لم أشاهد فيهم مثل هذه العزة».

نعم، العزة المعنوية هي العزة الحقيقية: { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ }،⁷⁶ المؤمنون أيضًا إذا ساروا في هذا الطريق كانت لهم العزة. في مثل هذه الأيام – يوم الثامن والعشرين من

صفر - فارق الناس هذا الإنسان الرفيع والأب الحنون، وتركهم في لوعة وحزن. يوم رحيل الرسول الأكرم ﷺ وما قبله من أيام كان فيها مريضاً مرّت على المدينة بصعوبة، خصوصاً بتلك الظروف التي حصلت قبل رحيله بقليل. جاء الرسول إلى المسجد وارتقى المنبر وقال: «كل من كان له في عنقي دين أو حق فليأخذه مني». فانخرط الناس في البكاء وقالوا: «يا رسول الله، أكون لنا نحن في عنقك حق؟!»، فقال: «إن الفضيحة عند الله أشدّ من الفضيحة عندكم، إذا كان لكم حق في عنقي، ويطلبني أحد بشيء فتعالوا وخذوه لكي لا يؤخذ مني يوم القيامة». لاحظوا أي أخلاق هذه! من الذي يقول هذا الكلام؟ الإنسان العظيم الرفيع الذي يفخر جبرئيل بصحبته، لكنه لم يكن يمزح مع الناس، بل كان يتحدث بجدّ لئلا يكون قد أضاع وهو لا يعلم حقاً لأحد الناس. كرّر الرسول الأعظم ﷺ مقولته هذه مرتين أو ثلاثاً.

طبعاً وردت في التواريخ أحداث وأقوال لا أدري بالضبط أيها دقيق، لكن القول الذي روي غالباً هو أن رجلاً نهض وقال: «يا رسول الله، أنا لي في عنقك حق. ذات مرة كنت تجتاز بناقتك من جواري، وكنت أنا راكباً وكنت أنت أيضاً راكباً. واقتربت ناقتي منك فأردت أن تهشّها بعصاك فوقعت عصاك على بطني، وأنا أطلبك بهذا!». فرفع الرسول الأعظم ﷺ

قميصه وقال: «تعال واقتصّ مني الآن، ولا تدع الأمر يبقى ليوم القيامة». نظر الناس حيارى وهم يتساءلون أيريد هذا الرجل حقاً أن يقتصّ من الرسول؟ وهل سيطاوعه قلبه؟ وشاهدوا أن الرسول ﷺ أرسل شخصاً ليأتيه من البيت بعصاه نفسها. ثم قال: «خذها واضرب بطني بالعصا نفسها. فتقدم الرجل، والناس مبهورون ذاهلون متحيّرون خجلون خوفاً من أن يريد هذا الرجل أن يضرب النبي حقاً. لكنهم شاهدوه فجأة يقع على قدمي الرسول ويقبل بطنه، ويقول: «يا رسول الله! إنما أريد أن أنقذ نفسي من نار الجحيم بمسيّ لبدنك!».

اللهم بحق محمد وآل محمد، وبعزتك وجلالك، صلّ أفضل صلّاتك وسلم خير سلامك من اليوم إلى الأبد على الروح الطاهرة لرسولنا العزيز، وبلغه أفضل الطافك وفضلك. ربّنا اجزه عن الإسلام والمسلمين وعن البشرية خير الجزاء. اجعلنا أمّته ومن السائرين على طريقه وصراطه المستقيم. اجعل مجتمعنا شبيهاً بمجتمعه، ومنّ علينا جميعاً بهمة اتباعه واحتذاء خطاه 77.

أهمية ولادة الرسول الأكرم ﷺ وآثارها

لا مرأى أنّ اليوم الذي تنوّرت فيه الدنيا المظلمة بالأنوار الإلهية لهذا الكيان المقدس عند ولادته، يجب أن يُعدّ بداية تاريخ جديد للبشرية. كما قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كلماته، وكان نور السعادة قد فارق المجتمعات البشرية في ذلك العصر نتيجة سيادة القوانين والسلطات الجائرة: «والدنيا كاسفة النور، ظاهرة الغرور»⁷⁸. أظهر نور الرسول ﷺ منذ بداية ظهوره علامات سيادة الحق ودلائل حضور البرهان الإلهي بين الناس. العجائب التي وقعت عند ولادة الرسول الأكرم ﷺ كانت في الحقيقة إنذاراً للبشرية والتاريخ، وأن يتصدّع قصر كسرى عند ولادته ﷺ أو تتطفئ نيران في معابد النار، فهذا له معنى رمزي. المعنى الرمزي لهذه الحقائق والأحداث هو أنّ ظهور هذا الوليد المبارك فتح أمام البشر طريقاً يخرجهم من ظلمات الأوهام والأنظمة الظالمة. أما من هم الذين يختارون هذا الطريق ويسيرون فيه باقتدار، ومن الذين يعرضون عنه ولا ينالون شيئاً من خيراته، فهذا يعود إلى إرادة الأفراد ومشيتهم. هم الذين يختارون بأنفسهم مصيرهم ومستقبلهم، لكن هذا الدرب انفتح أمام الناس. أضف إلى ذلك أن السنة الإلهية جرت على أن تتجه المسيرة العامة للبشر نحو نفس هذه الأهداف السامية. هذا شيء تتجه صوبه المجتمعات البشرية بشكل قهري طبيعي. وهو ما تدلّ عليه كل أحداث التاريخ. الرقي العلمي والتقدم المعرفي للبشر يصبّان باتجاه تعاليم نبي الإسلام المكرم ﷺ ونحو نهايته وغايته.

واليوم يشعر البشر أكثر من أي وقت آخر بالحاجة إلى تعاليم رسول الإسلام النيرة⁷⁹.

المبعث في الحقيقة يوم ارتفاع راية رسالية، لها مميزات منقطعة النظير للإنسانية. والواقع أنّ المبعث رفع راية العلم والمعرفة. بدأت البعثة بكلمة «اقرأ»: { أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ }⁸⁰،

وب { ادْع إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ }⁸¹؛ أي الدعوة المصحوبة بالحكمة. والواقع أن الدعوة الإسلامية نشرُ للحكمة في كل أنحاء العالم على مرّ التاريخ. كما أن البعثة رفع لراية العدل، وتكريس للعدالة بين المؤمنين وعباد الله وكل أبناء البشر، كما أنّ الرسالة هي رفع راية الأخلاق الإنسانية السامية: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»⁸². يقول الله تعالى مخاطباً رسوله الكريم: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }⁸³؛ أي إنّ كل الأشياء والأمور التي يحتاجها البشر في كل الأزمنة والظروف، وفي كل ناحية من العالم، مُدرجة في هذه البعثة، أي العلم والمعرفة والحكمة والرحمة والعدل والأخوة والمساواة، وكل الأمور الأساسية التي يُناط بها سياق الحياة الإنسانية السليمة. ومع أنّ في الإسلام جهاداً، ومعنى الجهاد مكافحة التعسف والاعتداء – طبعاً اعتبر بعضهم عن سوء نيّة الدين الإسلامي دين السيف لوجود حكم الجهاد فيه – لكنّ هذا الإسلام نفسه يقول: { وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ }⁸⁴، أي إنه يفضّل السلام على الحرب حين تقتضي الظروف.

الإنسانية في الوقت الحاضر بحاجة إلى هذه المعارف. ونحن المسلمين مقصّرون ويجب أن نعترف بتقصيرنا، أولاً نحن مقصّرون في عرض المعارف الحقيقية للإسلام على مستوى العالم، وثانياً مقصّرون في عرض النماذج الصحيحة للإسلام على مستوى العالم. لو أجرى المسلمون أعمالهم وسلوكياتهم الاجتماعية والفردية، ونماذجهم الحكومية والسياسية على أساس هذه المعارف وبما يتطابق معها، لكان ذلك أعظم وأفضل دعوة للإسلام. طبعاً لا مرأى أنّ هناك اليوم أمواجاً دعائية وإعلامية معقدة ومتشابكة في العالم تركّز كلها ضد الإسلام⁸⁵.

العلامات الرمزية لولادة الرسول الأكرم ﷺ

في مثل هذا اليوم أظهر الله تعالى أعظم نذر وكنز إلهي هو الذات المقدسة لرسول الإسلام الكريم ﷺ. وكان هذا بداية حقبة حاسمة في مصير البشرية. قالوا في علامات ولادة الرسول الأكرم ﷺ إنه حين ولد انهارت قمة قصر كسرى، وانطفأت النار في معبد آذرگتسب التي بقيت متقدة قرونًا من الزمان، وجفت بحيرة ساوة التي كان بعض الناس آنذاك يعتقدون أنها بحيرة مقدسة، وانهارت وتكسرت أصنام كانت معلقة حول الكعبة. هذه العلامات - وهي رمزية تمامًا - تشير إلى اتجاه الإرادة والسنة الإلهية بولادة هذا الإنسان العظيم والشخصية السامية المنقطعة النظير. معنى هذه الأحداث الرمزية أن هذه الولادة المباركة من شأنها إنهاء حالات إذلال الإنسان، سواء عن طريق سيادة الحكام الجبابرة المستبدين - من قبيل ما كان يومذاك في بلاد إيران والروم - أو عن طريق عبادة غير الله. يجب أن يتحرّر البشر على يد هذا الوليد المبارك، من أغلال الجور التي ضربها الحكام الظالمون على الناس على مرّ التاريخ، وأيضًا من أصفاد الخرافات والمعتقدات غير الصحيحة والمذلة التي تجعل الإنسان ذليلاً خاضعًا مدّاحًا أمام كائنات أدنى منه وأخطأ، أو حيال غيره من البشر. لذلك تقول الآية القرآنية حول بعثة الرسول الأكرم ﷺ: { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا }⁸⁶، ليظهره على الدين كله حالة لم يوضع لها جدول زمني معين، إنما هي تشير إلى الاتجاه في هذه المسيرة. يجب أن تسير البشرية بفضل هذا الحدث نحو الحرية المعنوية والاجتماعية والحقيقية والعقلانية. لقد انطلق هذا الأمر، واستمراره بيد الناس. هذه بدورها سنة أخرى في عالم الخلقة.

لو وظّف الناس جهودهم ومساعدتهم وهمهم أكثر لحقّقوا الأهداف الإلهية - المرسومة في التعاليم والبرامج الإلهية - أسرع. أما إذا لم يستخدموها وأبدوا الضعف والتقاعد فسوف يتأخرون

في هذا الطريق سنين طويلة تشبه تيه بني إسرائيل: { أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ }⁸⁷. لقد تاه بنو إسرائيل في الصحراء بما كسبت أيديهم. كان بوسعهم أن يمنعوا ما حلّ بهم من عسر ومرارات، وكان بوسعهم أن يقصّروا مدة هذه الأزمة، وكان بمقدورهم في الوقت نفسه أن يزيّدوا من مدتها، وكذا الحال بالنسبة إلى مصيرنا. لقد شرح الله أسباب خلقة البشر وفلسفة البعثة وإرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية، شرّحت هذه الأمور وتمّ تعيينها للمسلمين. والبشر أنفسهم بمستطاعهم تقصير هذا الطريق الطويل، والوصول إلى الأهداف سريعاً أو متأخرين⁸⁸.

مقارنة بين جاهلية ما قبل الإسلام والجاهلية المعاصرة

بعثة النبي الأكرم ﷺ للإنسانية كانت بداية طريق جديد. والعالم الذي أحاط بتلك الرسالة ومكان ظهورها كان عالمًا بالغ السوء، ولا يمكن أن يطاق. كان عالم الميول الجامحة للماديات، وعالم الخصال الحيوانية، وعالم الأقوياء والعتاة والجبابرة المنفلتين، وعالم التمييز والفساد والظلم والشهوات والتحلل، ولم يكن هذا الوضع خاصًا بمنطقة الحجاز، إنما الدولتان الكبيرتان اللتان أحاطتا بشبه الجزيرة العربية أيضًا – أي إيران الساسانية والإمبراطورية الرومانية – عانتا من المشكلات نفسها.

الجاهلية التي كانت تفرض البؤس والمرارة على حياة الناس في زمن ظهور الإسلام كانت جاهلية شاملة. في ذلك العصر، كان هناك فتن لا تطاق، يعيشها الإنسان في كل المناطق المحيطة بشبه الجزيرة العربية، وقد كانت هناك علوم وحضارة – بمستوى ذلك العصر – وكان هناك نظام وحكومات ملكية وتشريفات وحالات انضباط ناجمة عن القوة المطلقة في تلك البلدان، لكن ما كان غائبًا هو نور الإنسانية والفضيلة. وما كان غائبًا هو بالضبط ما تحتاج إليه الإنسانية أمس الحاجة، أي بيئة الفضائل الإنسانية ومناخ الرحمة والإنصاف والعدالة. ما كان يحتاج الناس يومذاك إليه هو العدالة، وما كانوا يفتقدونه هو ألا يسحق الضعيف تحت أقدام القوي، وألا تُحتكر خيرات الأرض بيد عدد قليل من الأفراد الأقوياء ويحرم الآخرون منها. هذه كانت الأوجاع والآلام الكبيرة للإنسانية.

وقد كان الوضع على النحو نفسه في ظل الدولة الساسانية، وكذلك في ظل الدولة الرومانية، ولكن في كل واحدة بخصائص معينة. وقد كانت الحياة البدوية سائدة يومئذ في الحجاز بمواصفات وخصائص مختلفة. وقد ظهرت البعثة الإسلامية وسطعت مقابل كل هذا. لم تكن البعثة

مختصة بتلك المنطقة التي ظهرت فيها، بل هي لكل البشرية: { إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ }⁸⁹. استطاع النبي الأكرم ﷺ أن يقف بوجه ذلك الواقع المرّ ويغيّره، واستطاع أيضًا إيجاد صدوع كبيرة في جدران الفساد واللاعذالة في حياة البشر، وتدمير بعضها وإسقاطه، وإعداد بعضها الآخر للانهيّار والسقوط. كان يواجه الرسول الأكرم ﷺ أمامه أعتى صنوف الواقع وأصعبها. حين يكون القبح والفساد والخلل مجهزًا بالقوة والسيوف والإرادة والسياسة، فسيمثل خطرًا هائلًا يهدّد البشرية.

البشرية اليوم في القرن الحادي والعشرين، على الرغم من كل دعاواها، تسير نتيجة بعض حالات الضعف والخلل نحو هيمنة قوة أو مجموعة من القوى منفلة الزمام تعتمد على قبضتها الفولاذية، وأسلحتها الفتاكة لتقرّر لنفسها الحق، وهو حق غير موجود. وهذا هو الوضع الذي كان سائدًا يومذاك في بداية البعثة. وقد وقف الرسول الأعظم ﷺ، ولم يقل إنّ هذا واقع قائم وما عسى يمكن الفعل مقابل الواقع؟ بعض الناس يبررون ضعفهم وخور همهم بالقول إنّ هذا واقع وما عسانا فاعلين أمامه؟ ليس هذا هو الواقع الذي يجب أن نستسلم أمامه. فالواقع الطبيعي والواقع الذي لا يقبل العلاج والواقع المفروض على الإنسان، هذا هو الواقع الذي يجب على المرء التكيف والتأقلم معه. أما الواقع الذي يخلقه بعضهم بالقوة والعسف ضد جماعة أخرى فيجب قلبه وتغييره.

ليس من المنطقي أن نقول إنّ قوة الاستكبار اليوم واقع، فما نفعل أمامه؟ هذا واقع مفروض. والناس الكبار والأديان الإلهية وأصحاب الأفكار الكبرى يقفون بوجه هذا الواقع ويكافحونه ليغيّروه وسوف يتغيّر. هذه كانت حقيقة البعثة، يوم شاعت هذه الرسالة في أجواء مكة، قال: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»⁹⁰، حتى المنصفون والخيريون ما كانوا ليتجرّؤوا على التفكير باحتمال انتصار هذه الكلمة في يوم من الأيام؛ لأنّ الأرضية لم تكن معدّة. كل هذه الأصنام كانت معلّقة على جدران الكعبة، وتدعمها العصبية الجاهلية العميقة، وأشراف مكة، والعوائل القوية المتنفّذة التي تقلب كلمة لا إله إلا الله مصالحهم ووضعهم، ومن ورائهم الدولتان الساسانية والرومانية المقتدرتان. هل كان أحد ليتجرّأ والحال هذه على التفكير للوهلة الأولى بأنّ هذه الفكرة ممكنة الطرح والمتابعة؟! الأشخاص الضعفاء ينسحبون من هذه المرحلة، لكنّ الواجب والرسالة والبعثة دفعت بالرسول الأعظم ﷺ إلى الأمام. البعثة معناها الإرسال، وقد حدثت هذه البعثة لتغيّر

الأجواء في الحجاز بداية، ومن بعد ذلك في كل العالم المتحضّر آنذاك، وخلال نيّف وعشرين عامًا.

لم يكن قد انقضى أكثر من نصف قرن على ظهور الإسلام وأصل البعثة حتى تأثّر أكثر من نصف العالم المتحضّر بالإسلام. لا تظنوا أنّ دولاً وحكومات مثل الإمبراطوريات المقتدرة لم يكن لها شيء من العلم والعقل والتنظيمات والقوات المسلّحة والدعاوى والغرور والتكبر. بلى، كان لها، لكنّ الإيمان الصريح والواضح والمعتمد على المنطق القوي حين يملأ قلوب الناس ذوي الهمم والإخلاص والتضحية، فإنّ كل هذه الموانع والعقبات سترتفع، وكذا الحال اليوم أيضًا. الإيمان الإسلامي إيمانٌ يعتمد على المنطق والبرهان ويشتمل على خير البشر وسعادتهم⁹¹.

الصحة الإسلامية عودة المسلمين من حقبة الجهل والانحراف إلى تعاليم الرسول الحقيقية

كانت هذه الولادة طليعة الرحمة الإلهية في تاريخ البشرية. لقد عبّر القرآن الكريم عن وجود الرسول الأكرم ﷺ بأنه { رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }⁹²، وهذه الرحمة غير محدودة، فهي تشمل التربية والتزكية والتعليم، وهداية البشر نحو الصراط المستقيم، وتقدم الإنسان في مجالات الحياة المادية والمعنوية. وهي لا تختص بالناس في ذلك الزمان، بل تشمل البشرية على امتداد التاريخ: { وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ }⁹³. وسبيل الوصول إلى ذلك الهدف هو العمل بمعارف الإسلام وقوانينه المرسومة للبشرية.

شهدت الأمة الإسلامية الكبرى طوال قرون متمادية الكثير من التحديات والانحرافات. لقد أبعدنا أنفسنا عن الإسلام وانشغلنا بأشياء حذرنا الإسلام منها. انشغلنا على مدى هذا التاريخ الطويل بحروب داخلية، وانشغلنا بالقوى الطاغوتية، فكانت النتيجة أن لم تستطع الأمة الإسلامية الكبرى على امتداد قرون طويلة من بعد القرون الإسلامية الأولى الوصول إلى الهدف والغاية التي أرادها لها رسول الإسلام الكريم ﷺ والدين الإسلامي الحنيف. مع أن الله تعالى أودع في البلدان الإسلامية الكثير من الثروات المادية التي كان يمكنها أن تكون وسيلة لإحرازنا التقدم والرفعة، لكننا كنا على صعيد العلم والصناعة والكثير من مؤشرات التقدم في المراتب المتأخرة من العالم. لم يكن هذا هو الشيء الذي أراد له لنا الإسلام، كان هذا هو ما جلبته علينا أعمالنا السيئة وسلوكنا وغفلتنا نحن المسلمين: { وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ }⁹⁴. نحن الذين أوقعنا أنفسنا في هذه الأوضاع نتيجة غفلتنا على مرّ الزمان.

لقد اختلفت الأوضاع في العالم الإسلامي اليوم، والصحة الإسلامية محسوسة ومشهودة في كل أرجاء العالم الإسلامي. تلاحظ حركة ونهضة عظيمة في أطوار مختلفة في كل العالم الإسلامي، وهناك ميول للعودة إلى الأصول والمباني الإسلامية التي تورث المسلمين العزة والتقدم والرفق. يجب على المثقفين وعلماء الدين والسياسيين في العالم الإسلامي تعزيز هذه الحركة. فمن الخطأ أن يتصور بعضهم في العالم الإسلامي أنّ حركة الصحة الإسلامية بين الشباب تعود بالضرر على الحكومات الإسلامية. لا، فبوسع الحكومات الإسلامية بفضل الصحة الإسلامية أن تستعيد العزة التي سلبتها منها القوى المستكبرة. ومن النماذج على ذلك بلادنا وثورتنا وإمامنا الخميني الراحل. بعد أن عشنا قرونًا طويلة تحت وطأة الاستبداد وقرنين من الزمان تحت نير هيمنة الأجانب، صحتنا على أنفسنا، واستطاع إمامنا الخميني الجليل إعادة العزة للشعب. لقد ساد الإنجليز والروس والأميريكيون في هذا البلد على الترتيب، وكانوا هم الحكام الحقيقيين فيه، حتى لو لم يكونوا هم على رأس السلطة الظاهرية فيه. فقد كانت الأمور في أيديهم وكل شيء في البلاد تحت تصرفهم. كان شعبنا محرومًا من حقوقه ومصادره الطبيعية وعزته.

استطاع إمامنا الخميني الجليل بفضل العودة إلى الإسلام والتمسك به إزاحة الهيمنة الطويلة للاستبداد والاستعمار على بلادنا، ومنحنا العزة. استطاع منح شعبنا الشعور بالهوية الإسلامية ليشعروا أنّ بمستطاعتهم الوقوف على أرجلهم والاعتماد على أنفسهم واتخاذ القرارات والانتخاب بأنفسهم، وقول «لا» و«نعم» في القضايا المصيرية الحاسمة بأنفسهم. لم يتذوق شعبنا مثل هذا الطعم طوال قرون من الزمان، وقد منحهم الإسلام هذا الشيء. في أي نقطة من نقاط العالم تتعزز فيها حركة الصحة الإسلامية وتتصاعد ويشعر الناس والشباب في ذلك البلد أنّهم يقتربون من الإسلام، ستحصل هذه الحالة نفسها من تجديد الهوية والعزة⁹⁵.

إحياء ذكرى البعثة إعادة قراءة دروسها الكبرى

إحياء ذكرى البعثة، قبل أن يكون مجرد مراسم لإحياء ذكرى معينة، هو استذكار لدروس البعثة الكبرى، التي تحتاجها في الوقت الحاضر البشرية كلها، خصوصًا المجتمع المسلم. البشرية اليوم ممتحنة بهيمنة القوى الطاغوتية، وبما تتعرض له من ظلم وتمييز وفساد وتسلب أهواء جماعات خاصة على حياة الناس. تتلوى الحياة الإنسانية في الوقت الراهن تحت وطأة نزوات أشخاص لم يشمّوا ريح المعنوية، وتسيطر عليهم أهواؤهم وشهواتهم. الإنسانية اليوم أحوج من أي وقت آخر لرسالة البعثة.

بعثة النبي الأكرم ﷺ دعوة للتوحيد كمنهج حياة للبشر

بعثة النبي الأكرم ﷺ هي بالدرجة الأولى دعوة إلى التوحيد. ليس التوحيد مجرد نظرية فلسفية وفكرية، إنما هو منهج حياة للبشر. إنّه تسويد الإنسان لله على حياته، وتقصير لأيدي القوى المختلفة عن حياة البشرية. لا إله إلا الله هي رسالة نبينا الأعظم ﷺ وباقي الأنبياء والرسل معناها عدم تدخل القوى الطاغوتية والشياطين في حياة الناس وفي مسيرة الإنسان وانتخاب أنماط الحياة، وعدم تلاعب أهواء هذه القوى ونزواتها بحياة المجتمعات البشرية. إذا تحقّق التوحيد بمعناه الواقع الذي أراده الإسلام وحمله كل الأنبياء والرسل في حياة المجتمعات المسلمة والإنسانية، فستبلغ الإنسانية السعادة الحقيقية والفلاح الدنيوي والأخروي، وسوف تعمّر حياة البشر الدنيوية وتكون لصالح تكامل الإنسان ورفعته الحقيقية. الدنيا من وجهة نظر الإسلام مقدّمة ومعبر للآخرة. الإسلام لا يرفض الحياة الدنيا ولا يذمّها ولا يقصّيها، ولا يستهجن المتع والملاذات الدنيوية، بل يريد للإنسان أن يكون نشيطاً في ساحة الحياة بكل مواهبه وغرائزه، لكن كل هذا يجب أن يكون لخدمة رفعة روح الإنسان وبهجته المعنوية لتكون الحياة جميلة طيبة في هذه الدنيا. في مثل هذا العالم لا يوجد ظلم وجهل ووحشية، وهذه عملية صعبة تحتاج إلى تعب وكد وجهد، وقد بدأ الرسول الأعظم هذا الجهاد منذ اليوم الأول لبعثته.

البعثة دعوة لكل الكمالات التي يحتاجها البشر

ما دعا إليه الرسول الأكرم ﷺ هو ما كان البشر يحتاجون إليه في كل العصور والأحقاب التاريخية. دعا رسول الإسلام الكريم ﷺ الإنسان إلى العلم. وأولى الآيات القرآنية هي تكريم للعلم والمعرفة: { أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ 1 خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ 2 اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ 3 الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ } 96 يطرح التعليم أولاً. فالعلم وسيلة لنجاة الإنسان وفلاحه، وهو أمر لا يختص بزمان ومكان دون غيرهما، بل يشمل كل فترات الحياة البشرية. دعا رسول الله الناس إلى العمل والتحرك والقيام. قال الله تعالى في أوائل الآيات التي نزلت على الرسول الأكرم: { فَمَنْ قَانَذِرْ } 97؛ إنها دعوة للقيام والحركة والخروج عن حالة السكون والركون والجمود والشعور بالمسؤولية: { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ } 98. القيام لله مجدٍ ونافع في كل ظروف الحياة الإنسانية، ومن دون القيام والحركة لا يمكن الوصول لأيٍّ من الأهداف السامية.

دعا رسول الله ﷺ البشر إلى تزكية النفس وتنقيتها وتربيتها: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } 99. التزكية هي الشرط الأول، فمن دون التزكية سيكون حتى العلم وسيلة للفساد وانحطاط البشر وضلالهم وسقوطهم. وترون اليوم أنّ العلم أضحى وسيلة لسقوط البشر وانحطاطهم، حيث يستخدمون العلم لأسر الشعوب وقلب الحقائق وتجويع الناس. كم من البشر اليوم في أطراف العالم وأكنافه محرومون من مصادرهم الحياتية بسبب السلطات الاستعمارية التي هاجمتهم بوسائلها العلمية وتسلمت عليهم وفرضت عليهم حياة الفقر والبؤس والمسكنة والحرمان والتعاسة. وفي يومنا الحاضر أيضاً لا يزال الوضع على الشاكلة نفسها. يستخدم الاستكبار العالمي - الاستعمار بشكله الحديث في العالم - في الوقت

الراهن أدوات العلم ومنتجاته ليفرض التعاسة والبؤس على البشر، وليضرب عليهم الأغلال، ويحكم عليهم بالموت والإبادة، هذه هي حصائل العلم من دون التزكية.

يدعو الإسلام الأفراد إلى الأخوة وإلى المساواة بين الناس وعدم التمييز بينهم، وإلى عدم جعل الأعراق سبباً للتمييز بين أناس وأناس، وإلى عدم النظر لشعب على أنه متفوق طبيعياً وذاتياً على شعب آخر. يدعو الإسلام إلى أن أكرم الناس هم أتقاهم. فملاك التفوق والرفعة هو التقوى، والتقوى معناها مراقبة الإنسان لسلوكه والتدقيق فيه والنظر لمحط أقدامه ومسيره، والتنبّه للحدود الإلهية، والتخطيط للحياة. وهذا الأمر لا يتعلق بزمن خاص، فالبشر اليوم أيضاً بحاجة إلى هذه الأمور. مهما تطوّرت علوم الإنسان ومدنيّته تبقى هذه الأمور هي أسباب سعادته. على الأمة الإسلامية الاهتمام بهذه الأمور وأن تطلبها وتسعى إليها. وهي بحاجة إلى إرادة وعزم راسخ بين الشعوب المسلمة ومسؤولي البلدان ورؤسائها ومن بأيديهم زمام الأمور.

في الدعاء المأثور: «وقد علمت أنّ أفضل زاد الراحل إليك عزم إرادة يختارك بها»¹⁰⁰. إذاً، أفضل زاد إنساني هو أن تكون للإنسان عزيمة وإرادة يختار بهما سبيل الله ويسير فيه. طبعاً هذا الطريق صعب، لكنه يسهل بالعزيمة الإنسانية الراسخة. هذه أشياء يعلمنا الإسلام إيّاها. أين ما جرّبنا هذه الأمور في حياتنا وجدناها عملية، أي إن التجارب تعاضدها وتؤيّدتها كذلك.

مسؤولية العلماء والمتقنين والرؤساء والنخب في إصلاح المجتمعات الإسلامية

في صدر الإسلام استطاعت جماعة صغيرة بعيدة عن المدنية والعلوم ومحرومة من كل خيرات الحياة، بفضل هذه الأصول والتمسك بهذه الأركان، إطلاق أعظم مدنية في العالم على مدى قرون عدة، فانتفع العالم من مدنيّتهم وعلومهم. هذه هي تجربتنا السابقة، واليوم نحن في الجمهورية الإسلامية متى ما اعتمدنا على إرادتنا وتوكلنا على الله واستخدمنا طاقاتنا وقدراتنا وتخلينا عن أهوائنا وركّزنا على الأهداف كنا موفّقين في أعمالنا وخطواتنا.

من الواضح والبديهي أنّ صناعة المجتمع وصناعة المدنية والحضارة هي من أكبر أهداف الإسلام، لن تبقى من دون أعداء. وفي صدر الإسلام أيضًا ناصب بعضهم العداء لتأسيس النظام والمجتمع الإسلاميّين، وكذا الحال اليوم أيضًا. الشعوب المسلمة في الوقت الراهن وفي مختلف أصقاع العالم الإسلاميّ تجد في نفسها روح الاعتزاز بالإسلام، وتشعر بالعزة والفخر لانتمائها للإسلام. الصحة الإسلامية حقيقة ظهرت وبانت، سواء شاء أعداء الأمة الإسلامية أم رفضوا. والسير في هذا الدرب يحتاج إلى عزيمة راسخة من قبل مسؤولي البلدان وساستها.

نحن أول المخاطبين بهذا البيان والكلام، وتقع على عواتقنا مسؤوليات جسيمة. قال الرسول الأكرم ﷺ: «لا تصلح عوام هذه الأمة إلّا بخواصّها»¹⁰¹. إصلاح حشود الشعب وكتله غير ممكن إلّا بإصلاح نخبه وخواصه وعلمائه في كل بلد وكل مجتمع من المجتمعات. فسألوا الرسول الأكرم: «يا رسول الله وما خواص أمّتك؟»، فقال: «خواصّ أمّتي العلماء والأمرء»، إنهم العلماء والمتقّفون والواعون والأمرء والساسة¹⁰².

شخصية الرسول الفذة.. نموذج دائم لكل العصور

حياة الرسول الأكرم ﷺ حياة لله وفي سبيل الله ووقف لنشر التعاليم الإلهية، وشخصيته الفذة المنقطعة النظير نموذج ودرس دائم لكل عصور التاريخ الإسلامي: { لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ }¹⁰³ بهذا الجدّ والاجتهاد والكّد انتشرت تعاليم الإسلام في كل التاريخ. وليست هذه التعاليم للمسلمين فقط، إنما تنتفع البشرية كلها من انتشار تعاليم الإسلام. نحن المسلمين لو عرفنا قدر التعاليم الإسلامية وأدركنا عمقها فسنستطيع إيجاد عالم جديد يتطابق والإرادة الحقيقية والفطرية للإنسان. تستطيع الأمة الإسلامية عبر تمسكها بالإسلام إنقاذ العالم الغارق في الشهوات والغضب والجاهلية والأنانية وعبادة الذات. روح كل المعارف والتعاليم الإسلامية هو ألا يوضع زمام سلوك البشر وأعمالهم في الحياة بيد الشهوات والغضب، وألا توجّهه أنانيات الإنسان والمجتمع الإنساني، بل يوجّهه العقل والتقوى. انظروا لآلام البشر ومحنتهم من فقر وحرمان وتمييز وفساد وجهل وعصبيات عنثية، ما هو سبب كل هذا؟ والمذابح والحروب والظلم والجور والقساوة في المجتمع البشري من أين تنبع؟ جذور كل هذا في أن الذين لا يمسكون بزمام أنفسهم والواقعين أسرى لشهواتهم وغضبهم وأنانياتهم وحبّهم الجاه والمال، متى ما تحكموا في مصير البشر وفي أي مكان من العالم، ساقوا البشرية إلى الفقر والحروب والجهل والتمييز والفساد والفتن، والإسلام يروم معالجة هذه المحن. يقول الإسلام يجب عدم وضع أزيمة الإرادة والقرار واختيار البشر وحرّيتهم – وهي من أعظم مواهب الله للبشر – في أيدي الجهل والشقاء وعبادة الدنيا والأنانيات وعبادة الذات، بل توضع في أيدي العقل والتقوى¹⁰⁴.

نبي الإسلام.. معلم كل الفضائل من عدالة وإنسانية ومعرفة وأخوة ورشد وتكامل

أولاً أبارك هذه المناسبة البهيجة للأمة الإسلامية الكبرى ولشعبنا الإيراني العزيز وللحضور المحترمين في هذه الجلسة، خصوصاً الضيوف والإخوة غير الإيرانيين. وثانياً لدينا نحن المسلمين وبما يتناسب مع تكريم وإحياء شخصية نبي الإسلام الكريم ﷺ، الكثير مما نقوله لبعضنا بعضاً ونطرحه بيننا للبحث والدراسة. فرسول الإسلام معلم كل الفضائل والخصال الحميدة، وأستاذ العدالة والإنسانية والمعرفة والأخوة والرشد والتكامل والتقدم الدائم للبشر حتى نهاية التاريخ. متى يمكن للبشر تصوّر زمن يُستغنى فيه عن هذه الدروس الثمينة؟ البشرية اليوم أيضاً، وكما هي دوماً، بحاجة إلى دروس رسول الإسلام الكريم ﷺ وتعليمه.

شرح الواقع الراهن للمسلمين والدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية

ما أروم قوله اليوم في هذا الجمع من النخبة والخواص من الأمة الإسلامية هو قضية الوحدة والاتحاد بين المسلمين. يواجه العالم الإسلامي والأمة الإسلامية راهناً مصائب ومعضلات كبرى. صحيح أنّ كثيراً من هذه المصائب نابعة من داخلنا نحن المسلمين، فقد أبدينا التقصير والكسل والأنانيات والتكالب على الدنيا، ولم نسر بذلك في طريق الأمة الإسلامية نحو قمم التكامل الإنساني، وعلينا العودة والتعويض والتحرك والتوبة. ولكن ما من شك أيضاً في أنّ جانباً كبيراً ومهماً من حالات التأخر والمصائب والمشكلات عندنا خلال الفترات التاريخية الأخيرة نجمت في الحقيقة عن النظام العالمي الباطل الذي ساد بالأمس واليوم. النظام العالمي نظام هيمنة واقتدار يعتمد على التعسف والقوة، وليس نظاماً يرنو إلى حياة كريمة للبشر، بل هو نظام حياة الغابات.

انظروا لوضع العالم الإسلامي؛ كنا لسنوات طوال نتذكّر قضية فلسطين باعتبارها جرحاً عميقاً في الجسد الإسلامي، وقد أضيف لها العراق اليوم. انظروا ما الذي يفعله الغتة اعتماداً على القوة. يطرحون كل كلام خاطئ وغير منطقي في العالم على أنّه كلام صحيح ومنطقي، ويعملون به اعتماداً على القوة ومنطق السلاح والقوة السياسية والمالية. الجرائم التي تعدّ في أعراف كل الشعوب في العالم جرائم، يمارسونها علانية، ويطلقون عليها أحياناً بعض المسمّيات للتغطية على حقيقتها، وهم يعلمون أنّ أحداً في العالم لا يندفع بهذه المسمّيات، لكنهم في بعض الأحيان لا يضعون لها حتى هذه الأسماء والأقنعة. الحكومة الصهيونية الغاصبة تعلن صراحة إنني أغتال النخبة من الفلسطينيين، والحكومة الأميركية تدعمها رسمياً وعلناً! هذا هو الوضع في النظام العالمي اليوم.

يتحقق الإرهاب – ومحاربته ذريعة بيد الحكومة الأميركية المستكبرة لممارسة عسفها وجورها – صراحة باعتباره عملاً مشروعاً على ألسنتهم وفي ممارسات الحكام الصهاينة، وكل ذلك اعتماداً على القوة والسلاح. احتلال العراق عسكرياً وإهانة شعب كبير ذي ثقافة وإذلاله جريمة دولية، لكنهم يمارسون هذا العمل صراحة تحت عناوين حقوق الإنسان والدفاع عن الديمقراطية والحرية، وهو ما لا يصدّقه منهم أحد في العالم، لأنّ تصرفات المحتلين داخل العراق على الضد تماماً من هذا الشيء، وواضح أنّهم لا يأبهون لحقوق الإنسان ولحق الشعب في تعيين حكومته، ولا يقيمون لذلك أدنى قيمة. هم ينصبون وهم يعينون الحاكم وهم يسنون القانون وهم يعاقبون المخالف للقانون دون أي محاكمة، والعقوبة هي القتل الجماعي. لاحظوا ما الذي يجري في العراق! هذا هو واقع الأمة الإسلامية في الوقت الراهن.

تتعرّض الأمة الإسلامية راهناً لأطماع القوى العاتية وتطولها بسبب جريمة واحدة فقط هي وقوعها في منطقة من العالم ثرية، ولأنّ عجلة الحضارة الحالية في العالم لا تدور إلا بالخيرات الموجودة بوفرة في هذه المنطقة من العالم. والعناية في تطاولهم هذا لا يتورّعون عن ارتكاب أي جريمة، بل يعدّونها مشروعة لهم. هذا هو وضع الأمة الإسلامية! ألا تستطيع هذه الأمة الإسلامية الدفاع عن نفسها مقابل هذا التطاول والنهب الذي تمارسه القوى المتجيرة؟ الجواب: بلى، نحن نستطيع الدفاع، فلدينا الكثير من أدوات الدفاع عن حقوقنا ووجودنا. عددنا وعدد السكان عندنا كبير، ولدينا ثروات عظيمة، وفيها أشخاص مميزون، ولدينا أرصدة معنوية تمنح شعوبنا القدرة على الصمود مقابل العتاة، ولدينا ثقافة وحضارة ذات سوابق طويلة ونادرة النظير في العالم. لدينا الكثير من الإمكانيات. إذًا، يمكننا أساساً الدفاع، ولكن لماذا لا ندافع؟! لماذا لا نستطيع فعل شيء عملياً على الصعيد الميداني؟ لأننا غير متحدين، ولأنهم فصلونا عن بعضنا بعضاً بذرائع شتى. جيش منظم عظيم ومجهّز اسمه الأمة الإسلامية قسّموه إلى جماعات لا همّ لها ولا غمّ سوى مواجهة ومحاربة بعضها بعضاً، والخوف من بعضها بعضاً، ومهاجمة بعضها بعضاً والنيل من بعضها بعضاً. في مثل هذه الظروف واضح أنّ هذا الجيش سيفقد كفاءته ولن يستطيع فعل شيء.

مسؤولية الحكومات والنخبة المسلمين الثقافيين والدينيين حيال وحدة العالم الإسلامي

لقد آن الأوان اليوم لأن يعيد العالم الإسلامي النظر ويفكر في قضية الوحدة جيداً. تهديدات أميركا في المنطقة حالياً ليست موجّهة لبلد أو بلدين، بل موجّهة للجميع. تهديدات الرأسماليين الصهاينة الواقفين وراء الهيئة الحاكمة في أميركا لا تكتفي اليوم بابتلاع جزء من هذه المنطقة، إنما يريدون ابتلاع كل المنطقة، وهم يعلنون هذا الكلام اليوم بصراحة. مشروع «الشرق الأوسط الكبير» ليس له من معنى سوى هذا. منذ خمسين ونيّف من السنين، حين أُسّست الحكومة الصهيونية الغاصبة، ومنذ نحو مائة عام حين انبثقت هذه الفكرة في المحافل الغربية والأوروبية، كانت النية منعقدة على ابتلاع هذه المنطقة والاستيلاء عليها لأنهم في حاجة لها. ليس سكان المنطقة مهمّين بالنسبة إليهم، وكلهم معرضون لتهديداتهم. وحين يكون كلهم عرضة للتهديد فإنّ أعقل السبل هو أن يفكر الجميع ويضعوا أيديهم في أيدي بعضهم بعضاً. توصيتنا ومطالبتنا الجادة من الحكومات والشعوب الإسلامية هي أن يفكروا بهذا الأمر ويعملوا في إطاره، وهو قضية تتطلب جهوداً ومقدمات، ويجب إعداد مقدماته.

والعدو بطبيعة الحال لا يقعد عاطلاً عن العمل، وسوف يستخدم أدواته القديمة في التفرقة بين القوميات والمذاهب والطوائف، ويضخّم الموضوعات التي أكّد الإسلام على عدم تضخيمها. شدّد الإسلام على أنّ القوميات ليست معياراً للهوية وتشخيص الأمور: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }¹⁰⁵. لقد أكّد الإسلام أنّ الإخوة المسلمين يجب أن يتعاملوا في ما بينهم تعاملأ أخوياً، ولم يقل الإخوة السنة أو الشيعة أو أتباع المذهب الفلاني، بل قال المسلمين: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }¹⁰⁶. كل من يعتقد ويؤمن بهذا القرآن وهذا الدين وهذه القبلة فهم كلهم إخوة، هذا ما قاله لنا

الإسلام. لكننا نخفي الخناجر خلف أظهرنا لنطعن بها صدور إخواننا! وثمة مقصرون ومخطئون بين كل الفئات يجب منعهم ومواجهتهم. الأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى الوحدة من أجل حياتها وشموخها ونجاتها ورفعها راية الإسلام، أي منطق يمكنه المقاومة أمام هذه الأمور ليبثّ الخلافات والتفرقة؟ الوحدة مرجحة على كل الضرورات والأولويات، وهي مقدمة عليها جميعاً. لماذا لا نفهم ضرورة الاتحاد بين المسلمين؟! ثمة أعباء ثقيلة على عواتقنا والفترة فترة حساسة. إذا استطاع الأعداء احتلال هذه المنطقة بالقوة فسوف يعود العالم الإسلامي لعصر الاستعمار ويتأخر مائة عام أخرى ويزداد البون بين الأمة الإسلامية والعالم الحديث الصناعي مائة سنة إضافية. يجب أن نتحمل المسؤولية فنحن اليوم مسؤولون. الحكومات والنخبة والخواص ورجال الثقافة والدين اليوم مسؤولون، وكلنا مسؤولون حيال وحدة العالم الإسلامي. من أهم الكلمات التي كانت على لسان إمامنا الخميني الجليل { منذ ما قبل الثورة الإسلامية إلى آخر فترة من حياته وكان يؤكد عليها دائماً هي وحدة الأمة الإسلامية والاتحاد بين المسلمين وعدم تضخيم القضايا الصغيرة. ونرى اليوم أنها كانت توصية حكيمة وصحيحة جداً. ¹⁰⁷

مميزات الأمة الإسلامية من بركات بعثة رسول الإسلام ﷺ

تأسس الأمة الإسلامية بهذه الخصوصيات والمميزات الفريدة الفذة إحدى بركات هذه البعثة العظيمة. ليست الأمة الإسلامية مجرد عدد كبير من الناس يجتمعون حول محور عقيدي واحد، بل الأمة الإسلامية – كما أراد لها نبي الإسلام العظيم وتعاليم القرآن الكريم – هي مجموعة من الناس يتحلون بالعلم والأخلاق والحكمة والعلاقات السليمة فيما بينهم، ويشكلون مجتمعًا تسوده العدالة، ونتيجة كل هذا وصول الإنسان إلى ذروة التكامل الذي أودع الله تعالى في الإنسان قابلية الوصول إليه. الأمة الإسلامية مظهر التربية الإسلامية، وهذا ما بدأه نبي الإسلام الكريم ﷺ من الصفر في أصعب الظروف.

يوم خرجت صرخة التوحيد من حجرة رسول الإسلام الأكرم ﷺ بعد لحظة البعثة العظيمة، كان العالم – في كل أقطاره وأرجائه – عالم كفر وظلم وبُعد عن الأخلاق، وعالمًا يغرق فيه الإنسان في أنواع المشكلات والمفاسد. حصلت هذه الحركة العظيمة في حياة الرسول الأكرم ﷺ بنحو معجز خلال ثلاثة عشر عامًا فقط، وبعد ثلاثة عشر عامًا انعقدت النطفة الأولى للأمة الإسلامية في المدينة المنورة. وما كان بمقدوره أن يبذل هذه النواة المركزية إلى ما نعرفه عن الأمة الإسلامية في القرنين الرابع والخامس للهجرة هو الإيمان الواضح والتعاليم الواضحة والشاملة والعزيمة الراسخة والجهاد المستمر. هذه هي الأمور التي استطاعت تحويل ذلك المجتمع الصغير المؤلف من آلاف عدة من الأشخاص في المدينة المنورة في السنوات الأولى للهجرة إلى أمة عظيمة ومقتدرة وعالمة وعزيزة تمثل ينبوعًا متدفقًا على العالم بالعلم والحكمة خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة – وهذا ما يشرحه لنا التاريخ – ثم إنّ الأمة الإسلامية في منعطفاتها وملابساتها، أين ما غفلت عن تلك التعاليم مُنيت بالهزيمة والتراجع. أين ما حصل تجاهل للعلم

والأخلاق والعلاقات الاجتماعية والاقتدار المعنوي والعزة والوحدة، وفوق كل ذلك العدالة، توقف
رشد الأمة الإسلامية وتراجعت ووصل الأمر إلى حد استطاعت معه القوى الطامعة المعتدية
المتطاوله تمزيق هذه الأمة، وفرض تمزيق بعضها ببعضها الآخر من أجل أن تتسلط عليها
وتستحوذ على مصادرها وخيراتها.

بداية الصحوة الإسلامية المعاصرة.. الهجوم الشامل للاستكبار على الشعوب المسلمة

بدأت الصحوة الإسلامية في الحقبة المعاصرة منذ عشرات الأعوام، و[استمرت] إلى الآن بفضل تلك التعاليم والعودة إليها، وأعيد رفع راية التوحيد لتزفر، وكانت ذروة هذه العملية تأسيس نظام الجمهورية الإسلامية في هذه المنطقة الحساسة من العالم الإسلامي، حيث شعر المسلمون من خلال هذا الحدث بالهوية والعزة أكثر. ونحن اليوم مرة أخرى أمام تلك التجربة نفسها التي مرّت بها الأمة الإسلامية في القرون التي بدأت فيها فترة انحطاطها وزوالها. واليوم تنشّ على الأمة الإسلامية حربٌ ليقتلوا هذه النطفة في مهدها، وتنش القوى الجشعة المستكبرة بدافع طمعها بمصادر العالم الإسلامي العظيمة وذخائره الطبيعية والإنسانية اللامتناهية – كما يصرحون هم أنفسهم – حرباً برايات زائفة مزورة يرفعها الاستكبار، هي رايات الديمقراطية والحرية. فحقيقة القضية شيء آخر وهو القضاء على عنصر العزة لدى الأمة الإسلامية، ألا وهو الإسلام. حقيقة القضية هو القضاء على مراكز المقاومة، لكي لا تبقى أي عقبة أمام الناهبين الشرهين في هذه المنطقة.

يوم أبدينا الضعف والتقاعس، تقدم العدو واجتاحنا بالمقدار نفسه. وفي الوقت الحاضر يعاني كل مكان من العالم الإسلامي من المصائب والويلات. فلسطين تعاني المصائب، والعراق وأفغانستان كذلك، والكثير من البلدان الإسلامية معرض للتهديد من قبل هؤلاء الناهبين المستكبرين. إننا نستطيع عبر التمسك بالإسلام التغلب على هذا الضعف والخور، والوقوف بوجه الأعداء. ما يحتاجه العالم الإسلامي اليوم أمس الحاجة هو وحدة الكلمة. قلوب الشعوب المسلمة مملوءة قبحاً من ظلم الاستكبار وأعداء الإسلام. قلوب الشعوب المسلمة مكتظة بالهموم والغم

والعقد وحناجرهم مزدحمة بالصرخات لما يشاهدونه في العراق وفلسطين وأفغانستان اليوم. ويجب على الحكومات الإسلامية أن توظف هذه الطاقات والقوى المتراكمة¹⁰⁸.

وحدة المسلمين واجب عقلاي على عاتق الأمة الإسلامية

نبارك الميلاد السعيد لسيدنا خاتم النبيين وسيد البشر النبي محمد المصطفى ﷺ والولادة السعيدة لسيدنا الإمام جعفر الصادق عليهم السلام ، لكم أيها الحضور المحترمون والضيوف الأعزاء وسفراء البلدان الإسلامية وكل الشعب الإيراني والأمة الإسلامية الكبرى في جميع أرجاء العالم.

لقد أضحى هذا الاسم وهذه المناسبة بيننا معيارًا للوحدة. لذلك جعلنا اسم هذا الأسبوع من الثاني عشر من ربيع الأول (ولادة هذا الإنسان العظيم على رواية) إلى السابع عشر من ربيع الأول (ولادته على رواية أخرى) أسبوع الوحدة. أولًا لأنّ وحدة الأمة الإسلامية هي اليوم ودائمًا أحد أهم احتياجات هذه الأمة. وثانيًا لأنّ معيار الوحدة ومحور الاتحاد بين المسلمين هو الوجود المقدّس لنبي الإسلام المكرم وذكراه واسمه ﷺ.

تحدثنا كثيرًا عن الوحدة. ولو عملنا ببعض الذي قلناه لكان مصير المسلمين اليوم أفضل مما هو عليه. توجد بشكل طبيعي عوامل مضادة للوحدة – من قبيل التباينات القومية والمذهبية والطائفية والسياسية – ويجب مجابتهها. يجب بالاعتماد على الاسم المقدّس للرسول الأعظم وذكراه ﷺ – وهو محور وحدة الأمة الإسلامية – التغلب على هذه الاختلافات. لكن الأصعب من هذا هو أسباب التفرقة التي تُحقن بها الأمة الإسلامية. على خلفية هذه الاختلافات القومية والطائفية والمذهبية يعمل أعداء الإسلام وفقًا لسياستهم الدائمة على بثّ الخلافات والنزاعات بين المسلمين. يمكن مشاهدة أيدي الأعداء ومؤامراتهم وتدابيرهم خلف هذه الخلافات والنزاعات بكل وضوح. وينبغي معالجة هذه المشكلة، كما يجب على عقلاء الأمة من كل فرقة ألا يسمحوا لأمواج الفتنة – التي تثار من قبل أعداء الإسلام – بتهديد الهدوء والألفة والمحبة بين المسلمين باطراد.

القرآن الكريم يوصينا بالوحدة، ويهددنا بأننا إذا فقدنا اتحادنا وتضامننا فإنّ ماء وجهنا وهويتنا وقدرتنا ستذهب أدراج الرياح. وللأسف، فإنّ مثل هذه المشكلات ونقاط الخلل تلاحظ اليوم في العالم الإسلامي. المؤامرة ضد العالم الإسلامي اليوم كبيرة جدًّا، فإذا كانت المؤامرات المدبّرة المنظمة قد اشتدّت في الوقت الحاضر ضد الإسلام، فذلك لأنّ الصحة الإسلامية قد أفزعت الأعداء. الاستكبار العالمي والطامعون في البلدان الإسلامية والمتدخلون بين الحكومات والبلدان الإسلامية يخافون وحدة الأمة الإسلامية.

قراية مليار ونصف المليار من سكان الأرض هم مسلمون ويسكنون في واحدة من أهم وأثمن بقاع الأرض. كل هذه المصادر الطبيعية، وكل هذا التراث العظيم، وهذه الطاقات البشرية والمواهب الكفوءة، وهذا السوق الكبير للبضائع الغربية، وهذا النفط والغاز الثمين الموجود في هذه البلدان، هذه أشياء تغري القوى المستكبرة، لذا يرومون الهيمنة والتسلط التام عليها، لكنّ صحة الأمة الإسلامية تحول دون ذلك. وحدة الأمة الإسلامية أكبر سدّ في وجه هؤلاء الأعداء، لذلك يستخدمون كل طاقاتهم وقواهم لتحطيم هذا السدّ.

قيام الدولة الإسلامية في إيران ورفع راية التوحيد في هذا البلد – هذا المركز الحساس والمنطقة المهمة – أثارت حماسة الأمة الإسلامية وبعثت على صحتها ووعيها، وبثّت الأمل في مصيرها وقدراتها وأعادت لها ثقتها بنفسها. هذه الصحة والثقة بالنفس دفعت الأعداء إلى مخططات معقدة، وهي مخططات تنتصب أمامنا اليوم. إنهم يعارضون العالم الإسلامي كله، ويعارضون وجود الإسلام وتعاليمه. رئيس جمهورية أميركا تحدّث صراحة عن حرب صليبية، والأجهزة الاستكبارية – أميركا والصهيونية – تسمّ الأجواء دومًا بإعلامها، لتزرع الخلافات وتشعل النزاعات بين البلدان والحكومات الإسلامية.

أسباب تذرّع الأعداء بحقوق الإنسان ومحاربة الإرهاب

أعداء الإسلام يعانون من فقر فكري ونظري، فهم لا يملكون الفكر الذي يمكنهم طرحه في العالم الإسلامي، وليس لديهم المدرسة والأفكار الراقية التي تستطيع اجتذاب قلوب النخبة في العالم الإسلامي إليها، ولا يمكنهم عرض مثل هذه الأمور، لذلك يرفعون لاجتذاب قلوب الغافلين راية حقوق الإنسان ومعاداة الإرهاب. هذا في حين أن أميركا والصهيونية وهؤلاء المستكبرين هم أنفسهم أكبر منتهك لحقوق الإنسان، فقد جرحوا بجرائمهم ضد حقوق الإنسان مشاعر العالم.

أي حكومة أم أي جماعة تضاهي الكيان الصهيوني في تعاملها الشقي السيئ مع شعب أو جماعة إنسانية معينة؟ أي حكومة مستكبرة تعاملت مع الشعوب المسلمة بكل هذا الاستكبار الذي تنتهجه أميركا اليوم؟ لقد ركّزوا إعلامهم اليوم ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية، لأنّ فيها خيرة الوجوه المدافعة عن الإسلام، ومصالحهم هنا مهذّدة أكثر من أي مكان آخر. على أن الهدف ليس الجمهورية الإسلامية فقط، إنما هم يريدون الهيمنة على كل العالم الإسلامي، وكل الشرق الأوسط، ويريدون السيطرة على كل البلدان الإسلامية والاستحواذ عليها بقبضاتهم المجرمة الأثمة. لو استطاعوا الوصول إلى أهدافهم لتعرّضت الحكومات الواحدة تلو الأخرى للخطر والتهديد. في حال تقصير المسلمين والشعوب لما سلمت سوريا ومصر والسودان وبلدان أفريقيا وبلدان الشرق الأوسط والبلدان الإسلامية في شرق آسيا من تطاول هؤلاء الناهبين العالميين. هذا تحذير للعالم الإسلامي.

يتحمّل النخبة والسياسيون في العالم الإسلامي اليوم مسؤوليات جسيمة، فليفضحوا الناهبين في بلدانهم وفي المناطق التي لهم ولكلامهم فيها نفوذ، وليحبطوا مفعول إعلامهم الخبيث ضد الإسلام بكل عزم، ولا يسمحوا لمخططاتهم بأن تؤتي أكلها. هذه مسؤولية على عاتقنا جميعاً.

تظاهر القوى الكبرى بالاعتداد أكبر من اقتدارها الحقيقي. ذات يوم لم يكونوا راضين بوجود الجمهورية الإسلامية، واليوم فإنّ عمر الجمهورية الإسلامية ست وعشرون سنة، وفي كل يوم نحرز تقدماً بلطف الله وحوله وقوته أكثر من اليوم السابق. إنهم يتظاهرون بالاعتداد من أجل إخافة الشعوب بهيبتهم وأبّهتهم ووجوههم العبوسة. بيد أن حقيقة الأمر هي أن قدراتهم ليست كما يُوهمون. لقد بقيت أميركا إلى اليوم تتخبط في مستنقع العراق وأفغانستان.

العالم الإسلامي لديه قوى كامنة، وتقع مسؤوليات كبيرة على علماء الدين والمثقفين والسياسيين والجماعات والجمعيات وأصحاب الأقلام والخطباء وكل الذين لهم منابر دولية أو وطنية في أي بلد من البلدان.

اربطوا على قلوب المسلمين، وطمئنوهم إلى قدراتهم الذاتية وادفعوهم إلى تعزيز قواهم الداخلية بالعلم والعقل والتدبير، وشجّعوهم على الوقوف بوجه منطق القوة الذي يعتمد العتاة في العالم. لقد وعد الله تعالى: «من كان لله كان الله له»¹⁰⁹، { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ }¹¹⁰. سوف يمدّ الله عزّ وجلّ يد العون ويهدي ويرشد. لقد علم إمامنا الخميني الجليل هذا الدرس قولاً وعملاً لشعب إيران، ورأى الشعب نتائجه وثماره بعينه، والعالم شاهد على هذا المعنى.

لا نشكّ في أنّ الوعد الإلهي القائل: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ }¹¹¹، وعدّ عملي سوف يتحقق. وشرطه هو الصمود والاستقامة وعدم إضاعة الطريق وعدم تضييع الهدف والحفاظ على الوحدة والتوكل على الله تعالى.¹¹²

يوم المبعث عيد البشرية كلها عبر التاريخ

يوم المبعث عيد للكل، وليس للمسلمين فقط. ولادة أيّ نبي وحصول أي بعثة عيد ويوم جديد لكل البشرية. كل الأنبياء الإلهيين حين بعثوا هدوا قافلة البشرية التائهة نحو الكمال والعلم والأخلاق والعدالة، وقربوها خطوة من الكمال الإنساني. كل حالات التعقل البشري على مدى التاريخ ناجمة عن تعاليم الأنبياء. الأخلاق الإنسانية – هي التي توفر للإنسان إمكانية مواصلة الحياة – والفضائل الأخلاقية كلها من تعاليم الأنبياء. فكرة التوحيد والعبودية أمام الله درس من دروس الأنبياء. الأنبياء والرسل يعدّون الحياة للبشر ويجعلونها ساحة للرشد والحركة والتكامل. ورسول الإسلام المكرم ﷺ خاتم الرسل والأنبياء والمبعوث بالكلام النهائي الأخير الذي لا نهاية له للبشرية.

نحن المسلمون يجب علينا بطبيعة الحال أن نعرف قدر ذلك، ويجب علينا التفكير في ظاهرة البعثة، واستلهام الدروس منها. كما يجب علينا تحويل هذا الماضي المشرق إلى نبراس في طريقنا نحو مستقبلنا الصعب.

حقائق العالم المعاصر وضرورة التنبّه لها:

1 - صحوة العالم الإسلامي

توجد في العالم اليوم حقائق عدة لا سبيل لإنكارها. الحقيقة الأولى صحوة العالم الإسلامي، فهذا مما لا يمكن لأحد الشك فيه. يشعر مسلمو العالم في كل أنحاء العالم اليوم - سواء في البلدان الإسلامية أو في البلدان التي يشكلون فيها أقلية - بالميل نحو الإسلام وباستعادة هويّتهم الإسلامية. المثقفون في العالم الإسلامي اليوم متبرّمون من الاشتراكية والمدارس الغربية وميالون نحو الإسلام، ويطلبون علاج آلام البشرية من الإسلام، ويستفتونه في ذلك. قلوب أبناء الأمة الإسلامية في الوقت الراهن لها نزوع نحو الإسلام غير مسبوق طوال قرون. بعد الهيمنة السياسية والثقافية الشديدة والواسعة للغرب والشرق طوال عقود من الزمن على البلدان الإسلامية، راح الشباب في العالم الإسلامي حاليًا ينظرون للإسلام. هذه حقيقة يعترف بها الغربيون ومستكبرو العالم أنفسهم. لقد كرّروا مرارًا أنّه في أي بلد من البلدان الإسلامية إذا أُقيمت انتخابات حرة سيكون الفائزون عناصر تعتقد وتلتزم بالإسلام وتدعو إلى الإسلام. ولهذا فإنّ مزاعم الديمقراطية وإرادة الديمقراطية التي يطلقها الغرب اليوم مزاعم متناقضة. من جهة يرفعون راية الديمقراطية وينادون بها، ومن جهة أخرى لا يتجرّؤون على رفع هذه الواجهة بصورة حقيقية في العالم الإسلامي، لأنهم يعلمون أنّه في أي بلد من البلدان الإسلامية إذا كان القرار لأصوات الشعب وانتخابه فإنّ الإسلاميين دون شك سوف يمسون بزمام السلطة والحكم، وهم الذين ستنتخبهم الجماهير.

العالم الغربي وأميركا وصنّاع الفكر السياسي الغربي - الصهاينة والأروقة الرأسمالية الغربية - يعلمون اليوم جيّدًا أنّ التحرك العظيم للشعب الفلسطيني ناتج عن ميله للإسلام. فقد جعل هذا الشعب الإسلام محور تحركه فاكسب بذلك الشجاعة وألقى بنفسه في لهوات الجهاد بالمعنى

الحقيقي للكلمة. أينما اكتسب شعب مثل هذه الروح فلن تستطيع أي قوة – قوة عسكرية أو غير عسكرية – مواجهته وقمعه والتغلب عليه. هذا ما يفهمونه جيداً، وقضايا العالم الإسلامي وأحداثه كلها تؤيد هذه الحقيقة. هذه حقيقة أكيدة وهي قيام الصحة الإسلامية، بل النهضة الإسلامية في العالم الإسلامي اليوم. ما من أحد بوسعه إنكار هذه الحقيقة.

2 – إسلام التفكير والتعمق والتحرر الفكري.. المظهر الحقيقي للصحة الإسلامية

الحقيقة الثانية هي أنّ القوى المستكبرة هي العدو رقم واحد لهذه الصحة والنزعة الإسلامية والنهضة التحررية. والسبب واضح، لأنّ الإسلام يعارض الهيمنة، ويعارض تبعية الشعوب للقوى الأجنبية، ولا يرضى بالتخلف العلمي والعملية – الذي فرض على البلدان الإسلامية سنين طويلة – ويخالف تقليد الشعوب للآخرين تقليداً محضاً أعمى. هذا كله على الضدّ من السياسات الاستعمارية والاستكبارية التي فرضت طوال مائتي عام أو أكثر من قبل المستكبرين والغربيين على العالم الإسلامي. واليوم يقتررون لأنفسهم مصالح في هذه المنطقة. والصحة الإسلامية تقف على النقيض تماماً من إراداتهم، لذلك يعارضونها بكل قواهم وكل الوسائل السياسية والإعلامية.

يستخدمون اليوم كل الأساليب والحيل الإعلامية ضد الإسلام. انظروا اليوم ولاحظوا كم هو معقدّ وواسع ما تقوم به الحكومات الغربية – سواء في أميركا أو في أوروبا – ضد المسلمين والإسلام. كل الأدوات الفنية في متناول أيديهم، ويستخدمونها لخدمة هذا الهدف الوسيخ. يمارسون العداء ضد الإسلام بأعلى درجاته الممكنة ممزوجاً بالأنشطة الثقافية والأمنية والسياسية والعسكرية، هذه أيضاً حقيقة ناصعة وأكيدة.

الحقيقة الثالثة – والكل يعلم بهذه الحقيقة، رغم أنّ كثيرين ينكرونها – هي أنّ مظهر هذه الصحة الإسلامية ليسوا أولئك الذين يعرضون وجهاً إرهابياً في العالم الإسلامي. الذين يرتكبون هذه الجرائم في العراق، والذين يعملون في العالم الإسلامي باسم الإسلام ضد المسلمين، والذين يجعلون أهم واجباتهم تأجيل الخلافات بين المسلمين – تحت عناوين الشيعة والسنة والقوميات المتنوعة – هؤلاء لا يمكنهم بأي حال من الأحوال أن يمثلوا الصحة الإسلامية ويرمزوا لها. وهذا ما يعلمه المستكبرون أنفسهم، الذين يحاولون عرض الإسلام على العالم الغربي في إطار الجماعات المتحرّرة والإرهابية، يعلمون جيداً أنّ الحقيقة شيء آخر. الإسلام الذي يشعر العالم

الإسلامي راهناً بصحوة الانجذاب نحوه هو إسلام الفكر والتفكر والتعمق والطرح الجديد، إسلام حلول مشكلات الحياة لإزالة العقد في الحياة الإنسانية، وليس إسلام التحجر، ولا إسلام العيون المغمضة، ولا إسلام البُعد عن كل ألوان التحرر الفكري، هذا شيء يفهمه المستكبرون.

الحقيقة الأخرى هي أنّ العالم الغربي بكل قواه وقدراته لم يستطع التغلب على الصحوة الإسلامية. يمارسون الإعلام والدعاية بهذه الكثافة في شتى أنحاء العالم الإسلامي ضد الإسلام وضد الجمهورية الإسلامية، وضد القادة والمصلحين الإسلاميين الكبار، وضد الأحكام الإسلامية، ويعدّون ويخرّجون كل هذه الأعداد من المرتزقة لشتى الإسلام واتهامه واتهام أحكامه، ويستخدمون الأوراق والضغوط العسكرية، والضغوط الاقتصادية، ويلجؤون للحرب الإعلامية الواسعة بشكل عجيب، والمدهش أنهم لم يفلحوا لحد الآن. الميل الغالبة للشباب المسلم في البلدان الإسلامية هي باتجاه الإسلام والتفكير الإسلامي. هذا الوجد والشوق والتطلع يزداد في قلوب أبناء الشعوب المسلمة يوماً بعد آخر.

ما يترتب على هذه الحقائق هو أن العالم الإسلامي يجب أن يعرف قدر هذا الواقع. السبيل الوحيد الذي أمام العالم الإسلامي اليوم لصيانة مصالح الشعوب المسلمة هو توحيد الكلمة حول محور الإسلام، وقول «لا» للأهداف والمطامع الاستعمارية للأعداء والمستكبرين. هدف الاستكبار هو محو الهوية الوطنية والدينية في العالم الإسلامي، خصوصاً في الشرق الأوسط. مجابهة هذه الأهداف ممكنة بمزيد من الاتحاد والتضامن والتمسك بالإسلام والدعوة للإسلام والوقوف بوجه أطماع أميركا وجشع المستكبرين، ولا سبيل غير ذلك. أميركا اليوم وجه مخزٍ وغير مرغوب به في كل العالم. لقد سحق الأميركيون اليوم كل شعاراتهم تحت أقدامهم بما يمارسونه من أعمال. والضغوط التي يمارسونها حالياً في العراق، وانعدام الأمن هناك، ودعمهم غير المشروط للصهاينة القتلّة السفاحين، والفجائع التي يرتكبونها في أفغانستان، والضغوط التي يمارسونها على الحكومات الإسلامية، هذه كلها صنعت حالياً من أميركا وجهًا كريهاً ممقوتاً في العالم الإسلامي. بوسع العالم الإسلامي اليوم الوقوف بوجه هذه القوة الجشعة، ويجب أن يقف بوجهها، ولا سبيل أمامه سوى المقاومة والصمود.

يجب على الحكومات الإسلامية من أجل الحفاظ على مصالحها الوطنية، ومن أجل استقطاب عواطف شعوبها، وأداء مسؤولياتها التاريخية، أن تعتمد على المحاور الأساسية لهوية

الأمة الإسلامية، ويجب عليها أن تدافع بصراحة عن الشعب الفلسطيني، وعن كامل استقلال العراق، ومنح الشعب العراقي كامل حرّيته واختياره، وأن تدافع عن شعب أفغانستان، وعن الشعوب المسلمة في أوروبا وآسيا وأفريقيا، وعن الهوية القرآنية وأحكام القرآن الكريم في البلدان الإسلامية. كما يجب عليها توثيق علاقاتها فيما بينها، وأن تكون صادقة مع بعضها بعضاً، وأن تساعد بعضها بعضاً، وأن يأخذ بعضها بأيدي بعضهم الآخر. عندئذ ستستطيع الأمة الإسلامية إنقاذ نفسها من تحت نير الاستكبار، واجتياز التهديدات التي يشكلها الاستكبار للعالم الإسلامي.¹¹³

دروس الرسول الأكرم ﷺ وواجب الجميع في مراجعتها والعمل بها

في هذه المرحلة من الزمن يبدو اسم الرسول الأعظم ﷺ وذكره أكثر حيوية وحضورًا من أي وقت آخر. وهذه من تدابير الحكمة والألطف الإلهية الخفية. الأمة الإسلامية وشعبنا في الوقت الحاضر أحوج من أي وقت مضى إلى رسوله الأعظم محمد ﷺ. إننا بحاجة إلى هدايته وبشائره وإنذاره ورسائله ومعنوياته ورحمته التي لقّنها دروسًا للبشرية. درس رسول الإسلام الكريم ﷺ لأمته ولكل الإنسانية في الوقت الراهن، هو أن نكون علماء ونكون أقوياء، وهو درس الأخلاق والكرامة والرحمة والجهد والعزة والمقاومة. إذًا، فاسم هذه السنة هو بشكل طبيعي الاسم المبارك لرسول الإسلام الأعظم ﷺ. في ظل هذا الاسم وهذه الذكرى، يجب على شعبنا أن يراجع دروس الرسول الأكرم، ويجعل منها دروسًا لحياته وبرامجه الجارية. شعبنا يفخر بتتلمذه في المدرسة النبوية وتلقيه الدروس المحمدية. شعبنا يرفع بمقاومة وقوة راية الإسلام بين أبناء الأمة الإسلامية. وقد صبر على الصعاب، وشاهد ثمار المشاركة والحضور في ساحة الشرف والمجد هذه، وستكون هناك في المستقبل مزيدٌ من النجاحات والثمار بفضل من الله.

يجب علينا إدراج دروس الرسول الأخلاقية ودروسه في العزة وفي طلب العلم وتحصيل الحكمة والكرامة وفي الوحدة، وهي كلها دروس حياتنا، يجب إدراجها ضمن خطط حياتنا.

في وسط الساحة اليوم ثمة حكومة مصممة وخادمة، وشعب جاهز للعمل ومفعم بالأمل، وشباب متحمّس موهوب هؤلاء موجودون في هذه الأرض، وهذه بشارة كبرى لمستقبل بلادنا

وشعبنا.

نسأل الله تعالى أن يُرضي عنا الروح الطاهرة لرسولنا الأعظم ﷺ، وأن يزيد دومًا من بركاته على هذا الرسول الكريم، رسول الرحمة والعزة، وعلى أمته، ونسأله أن يسرّ القلب المقدس لإمامنا المهدي المنتظر (أرواحنا فداءه)، ويمنّ علينا بالتوفيق والتأييد في السير على هذا الدرب الصعب¹¹⁴.

رسول الإسلام مجمع كل فضائل الأنبياء والأولياء

هذه السنة هي سنة رسول الإسلام الأعظم ﷺ، واسمه يزيّن عامنا هذا. وما عسانا نقول حول رسول الإسلام الأكرم، سوى أن نقول إنّه مجمع فضائل كل الأنبياء والأولياء، إنه الشكل التام والكامل لكل الفضائل التي ظهرت طوال التاريخ في سلسلة الأنبياء والأولياء الإلهيين. يقول الشاعر: «اسم أحمد اسم كل الأنبياء، إذا كان لدينا المائة فلدينا التسعون داخل هذه المائة»¹¹⁵.

حين نذكر اسم الرسول الأعظم، وكأن شخصية النبي إبراهيم، وشخصية النبي نوح، وشخصية النبي موسى، وشخصية النبي عيسى، وشخصية لقمان، وشخصيات كل عباد الله الصالحين، وشخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأئمة الهدى عليهم السلام مجتمعة مجسّدة في هذا الوجود المقدس. يمكن تشبيه الرسول الأعظم ﷺ بأزهر نجم في سماء الكائنات، والتعبير بهذا الشكل عن ذلك الوجود الكبير المقدّس. لماذا نقول إنه نجم زاهر، ولا نقول إنه شمس؟ لأنّ للشمس جسمًا وكتلة معينة ومحددة، وهي نيّرة وعظيمة، لكنها بالتالي كرة وكتلة سماوية. ولكن بين هذه النجوم التي ترونها هناك مجرّات أكبر آلاف المرات من المجرة التي نراها فوق رؤوسنا في السماء ليالي الصيف. المجرة هي مجموعة من آلاف المنظومات والشموس. ورسول الإسلام الأعظم ﷺ

كيان أشبه بالمجرة التي فيها آلاف الشمس المشرقة بالفضائل. العلم في رسول الله الأكرم ممتزج بالأخلاق، والحكومة بالحكمة، وعبادة الله بخدمة خلق الله، والجهاد بالرحمة، وحبّ الله بحبّ مخلوقات الله، والعزة بالتواضع والترابية، والعصرية ببُعد النظر، والصدق مع الناس بالحنكة والتعقيدات السياسية، وغرق الروح في ذكر الله بالخوض في شؤون الصلح وسلامة الجسم. الدنيا والآخرة مجتمعتان فيه، وقد جمع كذلك بين الأهداف الإلهية السامية والأهداف الجذابة للبشر. إنّه

نموذج كامل لم يخلق الله تعالى في عالم الوجود مخلوقاً أكمل منه. إنه المبشّر والمنذر والشاهد والمشرّف على كل البشرية. وهو داعي كل البشرية إلى الله والسراج المنير الذي يضيء للناس طريقهم: { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا 45 وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا } 116.

سنة الرسول الأعظم ﷺ هي سنة هذا الوجود الشبيهة بالمجرات لحكومتنا وشعبنا. هذا بالإضافة إلى أنّ وجود الرسول الأكرم ﷺ

على الصعيد الدولي نقطة التقاء معتقدات وعواطف كلّ الشعوب المسلمة. الكيان المبارك لرسول الإسلام العظيم هو القطب الذي تلتقي عنده كل القوميات والمذاهب والطوائف في الأمة الإسلامية بكل معتقداتها وعواطفها. فأن نكون في مثل هذا العام وبمثل هذا الاسم هذا يضع على عواتقنا تكاليف وواجبات جسيمة. يجب على شعبنا وحكومتنا في هذا العام أن يعملوا بنحو منسجم مع الحكمة النبوية والعلم النبوي والحكومة النبوية والعدالة النبوية والأخلاق والكرامة النبوية والتواضع والعزة النبوية، والجهد والرحمة النبوية. وهذه بالطبع ليست مهمات سنة واحدة، كما أنّ الرسول الأكرم ﷺ

ليس رسول سنة واحدة، فكل السنين سنّي رسول الله، وكل التاريخ تاريخ الرسول محمد ﷺ. لكنّ هذا يعني أنّه يجب علينا في هذه السنة قطع خطوات كبيرة وضخمة وإنجاز أعمال ممتازة على سبيل بناء مثل هذا المجتمع والعالم الذي قصده رسولنا الكريم. سنة الرسول الأكرم هي سنة النظرات البعيدة المدى وسنة العمل والجهد والخدمة. وسنة البرمجة الواعية الدقيقة لمستقبل البلاد. إنّها سنة التحرك إلى الأمام 117.

رسالة تسمية سنة باسم الرسول الأكرم ﷺ

تسمية هذه السنة باسم رسول الله المبارك لها رسالة، ويجب أن نتلقى هذه الرسالة بكل
كياننا وقلوبنا، ونسير بمقتضاها، وليس الأمر أن نبارك عامنا هذا باسم رسول الإسلام الأكرم ﷺ.
والرسالة هي أن مجتمعنا – أفرادًا وجماعات – يجب أن يقتربوا يومًا بعد آخر من الشيء الذي
عقد رسولنا الكريم العزم عليه وجاهد وجدّ في سبيله. لا يمكن تلخيص الأهداف السامية لرسول
الإسلام ﷺ في جملة واحدة، ولكن يمكن تسجيل عناوين لها لجعلها نصب أعيننا ومنهج حياتنا
طوال عام وطوال عقد وطوال عمر بأكمله.

الأهداف العليا لرسول الإسلام:

1 – إتمام مكارم الأخلاق

من العناوين العامة في إطار أهداف رسول الإسلام الكريم إتمام مكارم الأخلاق: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»¹¹⁸. المجتمع من دون التحلي بالأخلاق الحسنة لا يمكنه تحقيق الأهداف السامية المرادة من بعثة الرسول. ما يأخذ الفرد والمجتمع إلى المراتب الإنسانية السامية هو الأخلاق الحسنة، والأخلاق الحسنة ليست التعامل بأخلاق مع الناس فقط، بل بمعنى تربية الصفات الحسنة والأخلاق الفاضلة في القلب والروح، وانعكاسها في الأعمال والتصرفات. الناس الذين يسود الحسد حياتهم، ويريدون الشر والسوء لبعضهم بعضاً، ويحتالون على بعضهم بعضاً، ويعيشون حالات الحرص على الدنيا والبخل بالمال، والحقد على الآخرين، في مثل هذا المجتمع حتى لو طُبّق القانون بشكل دقيق لن تتوافر السعادة والراحة. وحتى لو تطوّر العلم وتنامت الحضارة الظاهرية لتصل إلى ذروة العظمة والجلال، فلن يكون ذلك المجتمع المجتمعي الإنساني المنشود، المجتمع الذي يشعر الأفراد فيه بانعدام الأمن من بعضهم بعضاً، ويشعر كل واحد من أفرادِه بأنه محسود من قبل الآخرين وأنّ الآخرين يكتّون له السوء والضعينة والحقد ويتآمرون عليه، وينظرون بعين الحرص له ولأمواله وممتلكاته، مثل هذا المجتمع لن يعيش الراحة طبعاً. أما إذا سادت المجتمع الفضائل الأخلاقية، وتغلّغت في قلوب الناس وأرواحهم، وكان الناس عطوفين بعضهم تجاه بعض، ويتعاملون في ما بينهم بالصفح والعفو والتسامح والتجاوز، ولا يحرصون على مال الدنيا، ولا يبخلون بما لديهم، ولا يحسدون بعضهم بعضاً، ولا يعرفون سبل تقدم الآخرين، ويتحلون بالصبر والأناة والتحمل، مثل هذا المجتمع حتى لو كان من الناحية المادية غير متقدم تقدماً كبيراً، فإنّ أهله سيشعرون بالراحة والطمأنينة والسعادة. هذه هي الأخلاق، وهذا ما

نحتاج إليه. يجب علينا تربية الأخلاق الإسلامية في قلوبنا باستمرار. فالقوانين الفردية والاجتماعية الإسلامية لها مكانها ومكانتها وهي وسيلة لإسعاد البشر (هذا مما لا شك فيه)، ولكن حتى التطبيق الصحيح لهذه القوانين بحاجة إلى الأخلاق الحسنة.

من أجل أن تسود الأخلاق مجتمعاً من المجتمعات، لا بدّ من توافر أمرين: أحدهما تدريباً لنا وجهادنا نحن، والثاني التعليمات الأخلاقية التي يجب أن يغدّي بها الناس عن طريق التربية والتعليم والمراكز التربوية والتعليمية والعلمية على كل المستويات. هؤلاء يتحملون مسؤوليات. هذا جانب من الأعمال اللازم تنفيذها في سنة رسول الله الأعظم ﷺ، أي أن نجعل أنفسنا مؤمنين مسلمين تابعين للرسول الأكرم من حيث الأخلاق الفاضلة. يجب أن نعرف لائحة الصفات الرذيلة والقبیحة، ونرى أيها موجود فينا فنحاول اجتنبه وتركه. كما ينبغي أن نعرف لائحة الأخلاق الحسنة الحميدة، ونحاول عن طريق تدريب أنفسنا أن نوفرها فينا. طبعاً، المحبة هي سبب التقدم في هذا السبيل. محبة الله ومحبة رسول الله ومحبة هذا الدرب ومحبة أساتذة الأخلاق – أي الرسل والأنبياء والأئمة المعصومون عليهم السلام – إنه الحبّ الذي يتقدم بالإنسان سريعاً في هذا الطريق. يجب أن ننمي هذا الحبّ في أنفسنا يوماً بعد يوم: «اللهم ارزقني حبّك وحبّ من يحبك وحبّ كلّ عمل يوصلني إلى قربك»¹¹⁹. محبة الله ومحبة أحبّاء الله ومحبة الأعمال التي يحبّها الله؛ هذه أنواع الحبّ التي يجب أن نغذيها وننميها في قلوبنا. هذه واحدة من تعاليم الرسول الأكرم ﷺ في سنة الرسول الأكرم.

2 – الاستقامة والثبات

المسألة الأخرى هي قضية الاستقامة والثبات والصمود. يقول الله تعالى لرسوله الكريم في سورة هود: { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا }¹²⁰. وفي الرواية عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: «شَيَّبَتْنِي سُوْرَةُ هُوْدٍ»¹²¹، وهذا من شِدَّةِ الْعَبَاءِ وَالْجَسَامَةِ الَّتِي فِي هَذِهِ السُّوْرَةِ، أَي مَوْضِعِ مَنْ سُوْرَةُ هُوْدٍ هُوَ الْمَقْصُودُ؟ يَرُودُ أَنَّ الْمُرَادَ هُوَ هَذِهِ الْآيَةُ: «فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ». لماذا شَيَّبَتِ هَذِهِ الْآيَةَ رَسُولُ اللَّهِ؟ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِيهَا: «اسْتَقِمْ وَاصْبِرْ وَاثْبِتْ فِي هَذَا الدَّرَبِ كَمَا أَمَرْنَاكَ». وَهَذَا الثَّبَاتُ بِنَفْسِهِ عَمَلِيَّةٌ صَعْبَةٌ. إِنَّهُ الصِّرَاطُ، إِنَّهُ جِسْرُ الصِّرَاطِ الَّذِي صَوَّرَ مَظْهَرَهُ لَنَا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ. جِسْرُ الصِّرَاطِ هُنَا هُوَ بَاطِنُ أَعْمَالِنَا وَدَرَبِنَا. إِنَّا الْآنَ نَسِيرُ عَلَى جِسْرِ الصِّرَاطِ،

ويجب علينا التدقيق والحذر بشدة. وإذا أراد المرء التدقيق في كل تصرفاته وسلوكياته فإنّ ذلك سيثيبه.

لكنّ الأهم من كل هذا في رأيي هو الجملة التي تليها: «ومن تاب معك». ليس الرسول الأكرم وحده هو المأمور بالاستقامة والصبر، إنما يجب على كل جموع المؤمنين الهائلة الصبر والاستقامة في هذا الدرب. الناس المعرضون من ناحية لهجمات البلايا والمشكلات الحياتية – من أعداء ومتآمرين وخصوم وقوى مسلطة – والمعرضون من ناحية أخرى لهجمات أهوائهم النفسية – من رغبات ونزوات وعدم طاقة مقابل المال والمتاع الدنيوي الجذاب الذي يشدّ القلوب إليه – قد ينحرفون عن هذا الصراط المستقيم يمينًا ويسارًا. حبّ الذهب والفضة، وحبّ المال، وحبّ الشهوات الجنسية، وحب المناصب وما إلى ذلك، كل واحد من هذه الأمور فخ وأغلال في عنق الإنسان تجرّه إليها. المقاومة والثبات مقابل هذه الجاذبيات بحيث لا تزلّ أقدام الإنسان: «ومن تاب معك»، وتصبير المؤمنين بين هاتين الجاذبتين القويتين – جاذبة ضغوط الأعداء وجاذبة الضغوط والأهواء الداخلية – وهذين المغناطيسين، وإبقاؤهم على الخط المستقيم وهدايتهم، هي على أغلب الظن المهمات التي شَيَّبَ النبي الأعظم ﷺ.

هل تعلمون أي منعطفات ومزالق صعبة عبّرَ نبي الإسلام الأعظم بالمسلمين فيها – سواء في الفترة المكية (ثلاثة عشر عامًا) أو في الفترة المدنية حيث جرى تأسيس نظام الحكم – ليصل بهم إلى تلك القمم؟ مثل هذا التحرك العظيم لم يكن من عمل أي إنسان كان. أولئك الناس الذين لم يكونوا يفهمون شيئًا ولم يشموا رائحة الأخلاق الإنسانية، حوّلهم الرسول الأعظم ﷺ إلى أناس تشعر ملائكة الله بالهوان والصغر مقابل عظمتهم وأنوارهم، هذه هي الاستقامة، ونحن اليوم بحاجة إلى الاستقامة. نحن أيضًا تتجاذبنا من جهة زخارف الحياة الملونة وتثير رغباتنا وأهواءنا. خلال فترة الثورة، كم شاهدنا من أناس كانت معتقداتهم وقلوبهم صالحة، لكنهم لم يطبقوا الصبر مقابل الركون للراحة وأمام الشهوات وأمام السلطة والمناصب ومديح هذا وذاك، وحيال تهديدات العدو، فانزلقوا نحو جانب معين، وتحولوا في بعض الحالات إلى معارضين ومعاندين لسبيل الله. إذا فالصبر والاستقامة حالة ضرورية، والاستقامة ضرورية مقابل العدو أيضًا. العدو يهدد ويعدّ ويتوعد ويستعرض عضلاته وقواه دومًا أمام المجتمع الإسلامي، ويتحدث بمنطق القوة، وقد يخلط لغة القوة في بعض الأحيان بشيء من الحلوى والوعود المعسولة ليضلّ القلوب عن سبيل الله.

والاستقامة أمام خدع الأعداء وتهديداتهم ميزة كبرى إذا تحلّى بها شعب من الشعوب فسيصل إلى القمّة وإلى حيث لا يجد العدو فائدة من التهديدات، فيضطر للتأقلم أو الاستسلام¹²².

أهمية وضع الأمة الإسلامية بالنسبة لروح الرسول الطاهرة

مما يلفت الانتباه في خصوص العلاقة بين نبي الإسلام الكريم ﷺ والأمة الإسلامية قضية مصير الأمة الإسلامية والأحداث والوقائع التي تجري على هذه الأمة. { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ }¹²³. وهذه الحالة تنسحب على كل عصور التاريخ. ما يجري على الأمة الإسلامية مهم بالنسبة إلى روح الرسول الأكرم الطاهرة. فعيناه البصيرتان الناظرتان قلفتان على حال الأمة الإسلامية.

لقد مرّت هذه الأمة بفترات وعصور عصيبة وشهدت الكثير من المنعطفات التاريخية، ووصلت اليوم إلى هذه النقطة المصيرية الحاسمة. إذا أبدت الأمة الإسلامية اليوم الهمة فستستطيع اختيار طريق يشطب على تأخرها ومشكلاتها وصعابها وذلتها. ورواد هذه الحركة هم النخبة في المجتمع، سواء النخبة السياسيون أو النخبة العلميون أو النخبة الثقافيون – على مستوى الحوزات الدينية أو الجامعات – الذين بوسعهم توصية الأمة الإسلامية باختيار هذا الدرب وهدايتها إليه.

الطريق الآخر هو أن تبقى الأمة الإسلامية في الغفلة التي أرادها لها أعداء الإسلام. أن نبقى في الغفلة والاختلافات وضيق الأفق والأنانيات والتكالب على الدنيا وعدم شعور النخبة بالمسؤولية، وإذا حصل هذا فإنّ درب سعادة العالم الإسلامي في الدنيا سيبتعد عن متناول الأمة الإسلامية لعشرات الأعوام الأخرى على الأقل. هذه هي خصوصية زماننا هذا. اليوم هو يوم اختيار الأمة الإسلامية لطريقها. صحيح أنّ الحركة في طريق الرشد والصواب ليست بالأمر الدفعي الفجائي، إنما تؤتي ثمارها تدريجياً وعلى المدى المتوسط أو على المدى البعيد، إلا أنّ تحرّك النخب والمسؤولين واتخاذهم للقرارات بطريقة تكشف الدرب للآخرين وتدلّهم عليه، وفي كل بقاع العالم الإسلامي، إذا تأخر فسيكون ذلك في ضرر الأمة الإسلامية مع كل يوم من التأخير.

يجب على الجميع الشعور بالمسؤولية. اليوم يوم اتحاد الأمة الإسلامية. لاحظوا كم يبذل العدو من الجهود والأموال في سبيل إفساد حتى هذا الاتحاد الضعيف الراهن، ولاحظوا الوضع في العراق، والأوضاع في سائر المناطق الإسلامية التي هي عرضة لنفس المؤامرات وبدرجات مختلفة، وذلك من أجل أن يبنوا التفرقة والنزاعات بين الطوائف الإسلامية والفرق الإسلامية والقوميات والشعوب الإسلامية بذرائع شتى، فيقتل هؤلاء أولئك ويقتل أولئك هؤلاء، ويحقد هؤلاء على أولئك ويحقد أولئك بالمقابل على هؤلاء، وتكون النتيجة الغفلة عن أعداء العالم الإسلامي الأصليين والمخططين للسيطرة والهيمنة على هذه المنطقة من العالم.

لو كان العالم الإسلامي متحدًا لوجب ألا تكون فلسطين اليوم وحيدة، ولما كان ينبغي أن تبقى الحكومة المنبثقة من أصوات الشعب الفلسطيني تحت الضغوط، وتهدد بقطع المساعدات ما لم تغض الطرف عن مبادئها. يجب على العالم الإسلامي أن يعلن بصوت واحد وبكلمة واحدة دعمه للشعب الفلسطيني والمسؤولين الفلسطينيين، ويدعم إصرارهم على مبادئهم. لو حصل هذا لما عاد الذين أسسوا أساس البؤس للشعب والبلاد الفلسطينية بمقدورهم أن يتحدثوا بهذه اللهجة الهجومية الدائنة. ترتكب كل هذه الفجائع ضد الشعب الفلسطيني، والسادة الأوروبيون المحبّون للإنسان والإنسانية والمدافعون عن حقوق الإنسان، كأنهم صمّ بكمّ وعميان لا يرون شيئًا. ثم تتولى الحكومة الفلسطينية زمام الأمور بأصوات الشعب وإرادته فيصّرّحون ويتخذون المواقف ضدها. هذا بسبب تفرق العالم الإسلامي، وهو بسبب أنانيات النخب والسياسيين في العالم الإسلامي.

الصحة الإسلامية..

السبيل الوحيد لاستعادة الأمة الإسلامية عزتها

يجب علينا اليوم أن نصحو ونفهم أنّ قرارنا وتصميمنا يرسم المصير التاريخي للعالم الإسلامي. وبالطبع فإنّ هذا القرار لا يرتبط بنا شخصيًا وباحضرنا. ما من سبيل أمام الأمة الإسلامية اليوم سوى أن تؤمن بقدراتها وتكفّ عن الخضوع للظلم وتقرّر الخروج من تحت أعباء التعسف ومنطق القوة. إننا لا ندعو الشعوب المسلمة لحمل السيوف ومحاربة بلدان العالم، بل ندعوهم ونوصيهم بمعرفة حقوقهم وقدرهم ومنزلتهم وعزتهم وعزة شعوبهم وتاريخهم وتراثهم القيم، والاعتماد عليه، وعدم السماح لعالم الكفر والاستكبار – وهو اليوم في قبضة الصهاينة – بإهانتهم. هذا هو ما نقوله: { عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ }¹²⁴. الصعاب التي تمرّون بها ويعاني منها العالم الإسلامي والأمة الإسلامية عسيرة على رسول الله ﷺ وتحزّ في نفسه: { حَرِصٌ عَلَيْكُمْ }، يريد هدايتكم ويبغي لكم السعادة والتقدم على هذا الصراط الإلهي المستقيم المرسوم لكم من أجل سعادة دنياكم وآخرتكم، هذا ما يريده رسول الله ﷺ منا.

ما نقوله هو أنّ الكيان المقدس لرسول الإسلام الكريم العظيم ﷺ هو أهم قطب لإيجاد الوحدة بين المسلمين. وقد ذكرنا سابقًا إنّ العالم الإسلامي بوسعه الوثام والاجتماع حول هذا القطب. فهذا القطب هو المحور الذي يمكن لعواطف كل المسلمين أن تدور حوله. إنّه مركز الحب والعشق لكل العالم الإسلامي. ولاحظوا حاليًا أنّ الأقلام القابضة أجورها من الصهاينة تستهدف هذا القطب وتوجّه له الإهانات، وذلك من أجل أن يزول تدريجيًا قبح وخطر توجيه الإهانات للأمة الإسلامية ويصبح أمرًا مألوفًا. هذا هو القطب الرئيس، ويجب على السياسيين والنخب العلمية والثقافية والكتاب والشعراء والفنانين التركيز على هذه النقطة والعمل على تقريب كل المسلمين من

بعضهم بعضًا تحت هذا الشعار. لا تنظروا إلى نقاط الاختلاف، ولا توجّهوا التهم لبعضكم بعضًا ولا تكفّروا بعضكم بعضًا ولا تخرجوا بعضكم بعضًا من حدود الدين. القلوب تنبعث وتتوثب في كل أنحاء العالم الإسلامي بذكرى الرسول الأكرم ﷺ وحبّه، وتغدو يانعة ريّانة مزدهرة. كلنا والهون وعشاق لهذا الإنسان العظيم.

هذا الأسبوع هو أسبوع الوحدة بحقّ، وهذه الأيام هي أيام الاتحاد بين المسلمين حقًا. واجبات المسؤولين السياسيين ثقيلة، ويجب على المسؤولين الثقافيين والكتاب والعلماء أن يتجنّبوا طرح القضايا الخلافية الباعثة على التفرقة. ينبغي للسنة والشيعه والجميع أن يركّزوا على محور الاتحاد هذا. ومن المتوقع من العلماء والنخب السياسية أن يعوا خطورة الظرف والزمان وأهمية اتحاد المسلمين، ويتفطنوا لمؤامرة الأعداء لكسر هذا الاتحاد والوئام.

هذا هو كلامنا وقولنا لشعبنا وللعالم الإسلامي، ونسأل الله تعالى بشرف الرسول ﷺ وعزته وكرامته عنده أن يوفّق العالم الإسلامي في هذا الدرب، ويجعل غد الأمة الإسلامية خيرًا من يومها¹²⁵.

مميزات الرسول الأعظم ﷺ لتحمل أعباء البعثة الهائلة

هذه السنة في بلادنا هي سنة الرسول الأعظم، واليوم هو يوم بعثته. وقد قال هو ﷺ في حديث متواتر معروف: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». ¹²⁶ حصلت البعثة في العالم بهدف نشر وإكمال مكارم الأخلاق والفضائل الروحية بين البشر.

ما لم يكن الشخص أفضل الناس من حيث مكارم الأخلاق، فإن الله تعالى لا يكلفه بمثل هذه المأمورية العظيمة الخطيرة. لذا يخاطب الله تعالى رسوله الكريم في بدايات البعثة قائلاً: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } ¹²⁷. إعداد الرسول الأكرم ﷺ ليكون وعاءً يستوعب الوحي الإلهي عملية تعود إلى ما قبل البعثة. لذا جاء في التواريخ أن الرسول الأكرم ﷺ حينما كان شاباً يعمل في التجارة ويحصل على أموال كثيرة من التجارة، كان ينفقها كلها كصدقات على المساكين والفقراء. في هذه الفترة، وهي فترة أواخر مرحلة تكامل الرسول الأكرم ﷺ، وقبل نزول الوحي – الفترة التي لم يكن قد بعث فيها بالنبوة بعد – كان الرسول يصعد الجبل إلى غار حراء ويتأمل الآيات الإلهية، وينظر عميقاً في السماوات والنجوم والأرض، وهذه الخلائق التي تعيش على الأرض بمشاعر مختلفة وطرائق شتى من العيش. كان يرى فيها جميعاً آيات إلهية، وكان خضوعه أمام الباري عز وجلّ وخشوع قلبه حيال الأوامر والنواهي والإرادة الإلهية يزداد باستمرار، وكانت براعم الأخلاق الحسنة تنمو في نفسه أكثر فأكثر على مرّ الوقت.

وجاء في الرواية إنه كان «من أعقل الناس وأشجعهم» ¹²⁸. كان الرسول قبل البعثة وبفضل تأمله في الآيات الإلهية يزداد عمقاً وغنى عقلياً يوماً بعد آخر، إلى أن وصل إلى سنّ الأربعين: «فلما استكمل أربعين سنة ونظر الله عز وجلّ إلى قلبه فوجده أفضل القلوب وأجلّها وأطوعها وأخشعها وأخضعها» ¹²⁹. كان قلبه في الأربعين من عمره أنور القلوب وأخشعها

وأكثرها استيعابًا لتلقي الرسالة الإلهية: «أذن لأبواب السماء ففتحت ومحمد ينظر إليها»¹³⁰. حين وصل إلى هذه المرحلة من المعنوية والروحانية والنورانية وذروة الكمال، فتح الله تعالى أمامه أبواب السماء وأبواب عوالم الغيب لينظر إلى العوالم المعنوية والغيبية، «وأذن للملائكة فنزلوا ومحمد ينظر إليهم». كان يرى الملائكة ويتكلمون معه، ويسمع كلامهم، إلى أن نزل جبرائيل الأمين عليه وقال: «اقرأ»، فكانت بداية البعثة.

بدأ هذا المخلوق الإلهي المنقطع النظير وهذا الإنسان الكامل الذي بلغ مثل هذه المرتبة من الكمال قبل نزول الوحي الإلهي عليه، بدأ منذ اللحظة الأولى للبعثة جهادًا مركبًا شاملاً صعبًا وواصله على مدى ثلاثة وعشرين عامًا بمنتهى الصعوبة. جهاد في داخله، وجهاد مع الناس الذين لم يكن لهم أي نوع من الإدراك للحقيقة، وجهاد ضد ذلك المناخ المظلم الحالك الذي يقول عنه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة: «في فتن داستهم بأخفافها، ووطئتهم بأظلافها، وقامت على سنايكها»¹³¹. كانت الفتن تثقل على الناس من كل حذب وصوب، فتن طلب الدنيا، والشهوات والظلم والعدوان والردائل الأخلاقية في أعماق وجود الناس، وتعدّي الأقوياء على الضعفاء دون أي مانع أو رادع. حالات التعدي هذه لم تكن في مكة وفي جزيرة العرب فقط، بل كانت في أرقى الحضارات آنذاك أي الإمبراطورية الرومانية الكبيرة والدولة الشاهنشاهية في إيران. انظروا في التاريخ، كانت صفحات التاريخ المظلمة قد استغرقت كل الحياة البشرية. وقد بدأ الجهاد بمثل هذه القدرات العظيمة والجهود المتظافرة التي لا يمكن تصورها منذ الساعات الأولى للبعثة، وتحمل النبي الأكرم ﷺ مسؤولية الوحي الإلهي، وقد نزل الوحي الإلهي على القلب المقدس للنبي الأكرم كما ينساب الماء الزلال على الأرض الخصبة، فمنحه الطاقة والقوة، واستخدم ﷺ كل قوته ليضع هذا العالم على أعتاب تحوّل عظيم، ونجح في ذلك.

شيدت الخلايا الأولى من جسد الأمة الإسلامية في أيام مكة الصعبة باليد المقتدرة لرسول الإسلام الكريم ﷺ. وقامت الأعمدة المتينة التي ينبغي أن ينهض صرح الأمة الإسلامية عليها، وظهر المؤمنون الأوائل وأول الناس الذين وعوا هذه المعرفة وتحلوا بهذه الشجاعة والنورانية التي ألهتهم لاستيعاب معنى الرسالة النبوية والوله بها: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ} ¹³². تفتحت القلوب وأبوابها على هذه المعارف والأوامر والنواهي الإلهية بفضل اليد المقتدرة للرسول الأكرم ﷺ. وتنورت الأذهان وتعززت الإرادات، وكانت هناك صعاب وشدائد

في فترة مكة واجهت هذا العدد القليل من المؤمنين – الذين كانوا يزدادون يوماً بعد يوم – بشكل لا يمكن تصوّره من قبلنا أنا وأنتم. في مناخ تسوده برمته القيم الجاهلية، والعصبيات والحميّات الخاطئة والأحقاد العميقة والقساوات والشقاوات والظلم والشهوات، وتملاً حياة الناس بالبؤس والتعاسة وتجعلها أحجاراً صلبة صمّاء، على مثل هذه الصخور الصمّاء نبتت هذه الغرسات الخضراء ونمت. وهذا ما يقول عنه الإمام علي بن أبي طالب: «وإن الشجرة البرية أصلب عوداً وأقوى وقوداً»¹³³.

ما من طوفان كان بوسعه أن يزعزع هذه الغرسات والشجيرات التي نبتت بين الصخور وضربت جذورها في الأرض. مضت ثلاث عشرة سنة، ثم تمّ تشييد صرح المجتمع الإسلامي والمجتمع المدني النبوي على هذه الأركان القوية. وقد استغرق بناء الأمة عشرة أعوام. ولم تكن صناعة الأمة هذه مجرد عمل سياسي. إنما كانت السياسة جزءاً منها. والجزء الأصلي فيها هو تربية الأفراد واحداً واحداً: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ }¹³⁴. لاحظوا كلمة { يُزَكِّيهِمْ } التي تعني أنّ كل واحد من القلوب خضع لتربية الرسول الأكرم ﷺ. لقّن الرسول الأذهان والعقول واحداً واحداً العلم والمعرفة: { وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ }، والحكمة مرتبة أعلى. لم يعلمهم القوانين والضوابط والأحكام فقط، بل علمهم الحكمة أيضاً. فتح أعينهم على حقائق العالم. عمل الرسول الأكرم ﷺ

على هذه الطريقة لمدة عشرة أعوام. من جهة كانت هناك السياسة والإدارة والحكومة والدفاع عن كيان المجتمع الإسلامي ونشر الإسلام وفتح الطريق للجماعات خارج المدينة كي تدخل تدريجياً إلى نور الإسلام والمعارف الإسلامية، وكان هناك من جهة أخرى تربية الأفراد واحداً واحداً. أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، لا يمكن الفصل بين هذين الجانبين.

إشاعة نظرية فصل الدين عن السياسة

من قبل المستكبرين المستعمرين

البعض اعتبروا الإسلام مجرد قضية فردية، وفصلوا السياسة عن الإسلام. هذا هو ما يروج له حاليًا في الكثير من المجتمعات الإسلامية وفي علوم العالم المستكبر المستعمر الغربي المهاجم: فصل الإسلام عن السياسة! سلبوا الإسلام السياسة، والحال أن النبي الأكرم ﷺ في بداية هجرته وفي مطلع تمكّنه من الخلاص من صعوبات مكة، كانت السياسة أول شيء فعله. تشييد المجتمع الإسلامي، وتأسيس الحكومة الإسلامية، وتشكيل النظام الإسلامي، وتشكيل جيش إسلامي، وإرسال رسائل إلى كبار الساسة في العالم، والخوض في الميدان السياسي الكبير في العالم آنذاك، هذا كله سياسة. كيف يمكن فصل الإسلام عن السياسة؟! وكيف يمكن تفسير وصياغة السياسة بيد هادية غير يد الإسلام؟! { الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ }¹³⁵، بعضهم يبضّعون القرآن ويقسمونه ويمزقونه: { تَوَمَّنْ يُبِغِضَ وَتَكْفُرُ بِبَعْضِ }¹³⁶. يؤمنون بالعبادة التي جاء بها القرآن الكريم، لكنهم لا يؤمنون بالسياسة الموجودة في القرآن الكريم! { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ }¹³⁷. ما هو القسط؟ القسط معناه تكريس العدالة الاجتماعية في المجتمع. من الذي يستطيع القيام بذلك؟ تشكيل مجتمع فيه العدل والقسط عمل سياسي ومن مهمة مسؤولي البلاد. هذا هو هدف الأنبياء. ليس نبينا محمد وحسب، بل النبي عيسى والنبي موسى والنبي إبراهيم وكل الأنبياء الإلهيين عليهم السلام جاؤوا من أجل السياسة ولتأسيس النظام الإسلامي، وترى بعضهم من المتظاهرين بالقداسة والتدين يقولون: لا شأن لنا بالسياسة! وهل الدين منفصل عن السياسة؟! وتصرّ الآلة الإعلامية الغربية الخبيثة على تكرار التوصية

بفصل الدين عن السياسة، وفصل الدين عن الدولة. إذا كنا مسلمين فالدين والدولة ممتزجان. وهما ليسا من قبيل الشئيين اللذين ألصقا ببعضهما بعضاً، بل الدين والدولة شيء واحد.

الدين والدولة في الإسلام ينبعان من مصدر واحد وهو الوحي الإلهي. هذا هو القرآن والإسلام. بعضهم يفصلون السياسة عن الإسلام، وبعضهم في الجانب المقابل يعتبرون الإسلام ليس سوى سياسة وألاعيب وممارسات سياسية، ويتجاهلون الأخلاق والمعنويات والمحبة والفضيلة والكرامة وهي الأهداف الأكبر لبعثة رسولنا الأكرم ﷺ. هؤلاء أيضاً هم من { الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ } 138. وهذا أيضاً من قبيل { تُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ } 139. اختزال الإسلام إلى جملات سياسية براقية وناصعة، والغفلة عن خشوع القلوب وعن ذكر الله والنقاء والمعنوية والركوع أمام الله والطلب من الله وعشق الله والبكاء مقابل عظمة الخالق وطلب الرحمة من الله والصبر والحلم والسخاء والجود والصفح والتسامح والأخوة والرحمة، والالتصاق بالسياسة فقط باسم الإسلام. هذا أيضاً انحراف يشبه ذاك الانحراف، ولا فرق بينهما.

حاجة الأمة الإسلامية للحكومة الإسلامية الحقيقية

{ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ }¹⁴⁰، هنا توجد تزكية وتعليم. مجال التربية في الدين هو قلوبنا أنا وأنتم، وعقولنا أنا وأنتم، وجوارحنا وأيدينا وأرجلنا أنا وأنتم. { يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جُحْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنْفِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ }¹⁴¹، لا بدّ من الأيدي والقوة مقابل الأعداء والمهاجمين والذين يريدون الحؤول دون انتشار أنوار المعنوية والوحي، { وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ }¹⁴². لا بدّ للمهاجمين من أن يواجهوا بدءاً فولاذية وقبضة حديدية وإرادة لا تتزعزع ولا تتحلل. هذا هو علاج آلام الأمة الإسلامية اليوم.

الأمة الإسلامية في الوقت الراهن بحاجة إلى الحكومة الإسلامية بالمعنى الحقيقي للكلمة. الحكومة الإسلامية تعني الحكومة التي يهّمها أمر قلوب الناس والشعوب، وكذلك عقولهم وعلومهم وتقدّمهم العلمي، وأيديهم وجوارحهم وقدراتهم، وكذلك إدارة شؤونهم إدارة سياسية صحيحة. هذا هو ما تحتاجه الأمة الإسلامية اليوم.

جذور انحطاط الأمة الإسلامية وعوامله

منذ أن فصلت الأمة الإسلامية بين الدين ونظام الحكم، وفصلت الأخلاق عن إدارة المجتمع، تعرّضت لصنوف من الخلل. يوم رفع ملوك أطلقوا على أنفسهم اسم الخلفاء – في بغداد والشام وهنا وهناك من العالم الإسلامي – راية الإسلام، وانشغلوا تحت هذه الراية بأهوائهم النفسية وشهواتهم وأغراضهم وتكبرهم وغرورهم السلطوي، وجمعهم للثروات وخزائنها، تمهّدت الأرضية لانحطاط العالم الإسلامي. مع أنّ حركة النبي الأكرم ﷺ وأصحابه الأجلاء المجاهدين المقاتلين كانت تنشر الإسلام بسرعة كبيرة – وكان هذا الإنجاز العظيم الذي قام به الرسول الأكرم قد أهدى الازدهار للمسيرة السياسية والعلمية للإسلام التي استمرت إلى القرنين الرابع والخامس للهجرة – إلا أنّه كان في الوقت نفسه أشخاصاً في البلاطات والعوائل الحاكمة ينتثرون بذور الضعف والانحطاط والفساد والنفاق. وكانت تلك البذور هي التي نمت وفرضت الانحطاط على الأمة الإسلامية، وها نحن نشعر اليوم بنتائج ذلك بجلودنا ولحمنا ودمنا وعظامنا بعد قرون عدة. نحن الشعوب الإسلامية الذين تعرضنا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين الميلادي للاستعمار وهيمنة الأعداء تأخرنا عن قافلة العلم، وازداد أعداؤنا قوة وازددنا نحن ضعفاً – وقد امتصّوا دماءنا وازدادوا بها قوة، وفقدنا نحن دماءنا وازددنا ضعفاً – ووصل الأمر إلى درجة أن وقع مصير الأمة الإسلامية ومصير الشعوب المسلمة، في منطقة الشرق الأوسط خصوصاً، بيد حكام ظلمة غير منصفين، وسيطرت بريطانيا في فترة، ومن بعد ذلك حوّلت بريطانيا تراثها للشيطان الكبير المعاصر أي نظام الولايات المتحدة الأميركية. على كل حال، استغلوا ضعف العالم الإسلامي.

رحمة الله على إمامنا الخميني الجليل الذي أيقظ شعبنا، وأنزل طاقاته وقدراته إلى الساحة. نحن أيضاً كنا ننسحق تحت الأرجل والأقدام. في مدينة طهران هذه كانت تمارس أنكر المنكرات ولا أحد يعترض. جاء لمدينة طهران هذه أعداء الإسلام وتصرفوا كأنهم في بيوتهم وعاشوا بمنتهى الأمن! نهبوا أموال هذا البلد ونهبوا نفطه وحالوا دون تقدمه وفرضوا مخططاتهم الخيانية الظالمة على هذا الشعب، وكان مدراء البلاد، أي محمد رضا شاه ومن حوله يقفون منحنين أمامهم، يلتون كل مطالبهم ويجدون في خدمتهم. طبعاً كانت هناك في ظاهر الأمر بعض الأبهة والفخخة، لكن الأمور لم تكن في أيديهم. في مدينة طهران هذه، كان بلاط إيران يسأل سفير أميركا وسفير بريطانيا حول أهم قضايا البلاد: هل أفعل هذا وهل أترك ذاك؟ وهذه الأمور موثقة وموجودة حالياً. وللأسف فإنّ هذا الوضع لا يزال قائماً اليوم في الكثير من البلدان الإسلامية. هذا الشعب القدير والواعي وذو السوابق التاريخية العظيمة، هذا الشعب الذي راح اليوم يعبر عن مواهبه وقدراته في ميادين العلم والجهاد والتقنية والسياسة، كان ينسحق تحت الأقدام.

أنزل الإمام الخميني الشعب إلى الساحة، ووثق به، وعبر الشعب عن نفسه وأثبت قدراته. حينما وثق الإمام الخميني بالشعب وثق الشعب به. هذا البلد الذي كان أمل الكفر تحوّل إلى رافع لواء الإسلام المحمدي الأصيل، وسوف يتقدم إن شاء الله باستمرار على هذا الصراط، والذين يتصوّرون أنه بتقادم العهد على بداية الثورة وبرحيل إمامنا الخميني الجليل سوف يبتعد الشعب عن القيم والمبادئ كانوا على خطأ وتلاحظون أنهم أخطؤوا. إننا معتصمون بهذه القيم ونعتبرها سبباً لعزتنا الوطنية، ونعتقد أنّها تؤدي إلى نمو مواهب شعبنا وقابلياته. سوف نستطيع بفضل الإسلام وبحول الله وقوته وبسرعة أكبر من السرعة المألوفة والعادية أن نرتقي قمم العلم ونفتحها. سوف نتغلب على الضعف الذي فرض علينا سنين طويلاً وسوف نقوي أنفسنا ونزداد قوة وعزة. ومن الواضح ألا يرضى الاستكبار عن هذا. ومن الأكيد أن يحاول العتاة بضجيجهم وغوغائهم وإعلامهم ودعائاتهم وعملهم السياسي وضغوطهم الاقتصادية أن يمنعوا استمرار هذه المسيرة، لكنهم لن يستطيعوا، فنحن واقفون صامدون. هذا الشعب واقف صامد والشعوب المسلمة قد استيقظت. قلوب الشعوب المسلمة اليوم مليئة بمقت الصهاينة وكره أميركا. البلدان الإسلامية وشبابها حالياً في كل منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وآسيا متشوقون لانبثاق هويتهم الإسلامية. هذا هو الشيء الذي نما وتساعد لدى الشعوب¹⁴³.

حاجة البشرية الدائمة لرسول الرحمة ﷺ ورسالته الإلهية

إحياء هذه الأيام هو من أجل أن نتذكر عظمة مولود هذا اليوم. والفهم والإدراك البشريّان أصغر حقًا من أن يستطيعا استيعاب تلك الحقيقة الهائلة والروح السامية استيعابًا صحيحًا. ما يجري على ألسنة أمثالنا يتعلق بالجوانب الظاهرية للقضية:

فاق النبيين في خلق وفي خلق

ولم يدانوه في علم ولا كرم

وكلهم من رسول الله ملتمس

غرفًا من البحر أو رشفًا من الديم¹⁴⁴

هذه هي الأمور التي يستطيع العقل والإدراك البشريّان أن يشاهداها من بعيد في وجود النبي الأعظم ﷺ، فيغرق من يدركها في بركات أحكامه وقوانينه وكلماته.

إننا اليوم كمسلمين وبشر بحاجة إلى الرسول الأكرم ﷺ. نحن بحاجة إليه حتى من باب كوننا بشرًا. فالرسول الأكرم كان رحمة للعالمين، ولم يكن رحمة للمسلمين فقط. البشرية كلها مدينة لبركات الرسول الأعظم ورحمته. ما منحه هذا الإنسان العظيم للبشرية كرسالة إلهية – والقرآن الكريم يجمع كل كلياتها وقضاياها العامة – موجود اليوم بين أيدينا ونستطيع الانتهال والاستفادة منه.

فتح الرسول الأكرم ﷺ سبيل النجاة أمام البشرية، وفتح أمامها طريق الصلاح. وشجّع الإنسانية على السير في درب يمكن للسير فيه أن يعالج مشكلات الإنسانية، ويداوي جراحها وأوجاعها. للبشرية آلام قديمة مزمنة لا تختص بزمان دون زمن. البشرية بحاجة إلى العدالة والهداية والأخلاق الإنسانية العليا، وتحتاج إلى من يأخذ بيدها ويهديها. العقل البشري يحتاج إلى معونة المبعوثين الإلهيين. وقد فتح الرسول الأكرم ﷺ هذا الدرب أمام الإنسانية بكل سعة الهداية الإلهية وإمكانياتها. ما أدى وسيؤدي في المستقبل أيضاً إلى أن يتمتع البشر بهذه الهداية والمعونة الإلهية أمر يتعلق بالبشر أنفسهم، ويتعلق بجهلنا نحن، وبقصورنا وكسلنا وتقاعسنا وأهوائنا وأنانياتنا. لو فتح البشر أعينهم واستخدموا عقولهم وعقدوا همهم وساروا وقاموا وتحركوا فإن الطريق مفتوح من أجل علاج كل هذه المشكلات والآلام القديمة والجراح المزمنة التي يعانون منها.

ثمة في مقابل هذه الدعوة دعوة الشيطان الذي يعبئ جنوده وأنصاره وتلامذته مقابل الأنبياء، فيقف البشر على مفترق طريقين ويجب عليهم اختيار واحد منهما.

صحة المسلمين الراهنة والانفتاح على المعارف الإسلامية

الأمة الإسلامية اليوم، وفي كل الأقطار الإسلامية، لها نظرة جديدة للشريعة والديانة الإسلامية. بعد حالات الغفلة الطويلة والابتعاد عن زلال الحقائق الإسلامية خلال العصور المتعاقبة والقرون المتوالية، فتحت البشرية عينها اليوم وفتح العالم الإسلامي والأمة الإسلامية عينيها على الأحكام والمعارف الإسلامية، فقد أثبتت الفلسفات البشرية المصطنعة ضعفها وعجزها على مسرح الحياة. بوسع العالم الإسلامي في الوقت الحاضر وعبر تمسكه بالشريعة والمعارف الإسلامية أن يتقدم إلى البشرية ويكون رائدها نحو السمو والكمال. العالم اليوم جاهز لتحرك الأمة الإسلامية. التقدم العلمي الذي أصابته البشرية – وقد تهيمت الأخلاق والمعنوية والروح الدينية غالبًا – والعلوم البشرية ونظرة الإنسان الجديدة لحقائق الطبيعة والعالم يمكنها أن تمثل رصيدًا وعاملًا مساعدًا لحركة الأمة الإسلامية. المعارف الإسلامية بين يدي العالم الإسلامي وفي متناول يديه. سيرة الرسول وكلامه وفوق كل ذلك «القرآن الكريم» موجود لدى العالم الإسلامي وبوسع المسلمين أن يتحركوا.¹⁴⁵

حاجة البشرية لرسالة البعثة، وثلاثة معالم مهمة للدعوة الإسلامية: العلم والحكمة، والتزكية والأخلاق، والعدالة والإنصاف

بعثة الرسوم الخاتم ﷺ كانت بمثابة فتح الباب أمام كل واحد من أبناء البشر لإنقاذهم من الآلام المزمنة القديمة التي عانت منها المجتمعات البشرية. بعضهم استجابوا لهذا النداء وانتهلوا من معينه وأحرزوا فوائده، وبعضهم الآخر تخلفوا وأصابهم ضرر ذلك.

ونعتقد أن البشرية اليوم في أمس الحاجة لرسالة البعثة واتباع تعاليم الأنبياء الإلهيين العظام، المجتمعة على أكمل وجه في تعاليم الإسلام والقرآن الكريم. وعلى رأس المعالم والخطط في الدعوة الإسلامية ثلاثة أمور أهم من غيرها، صرّحت بها الآيات القرآنية الكريمة، وهي: العلم والحكمة، والتزكية والأخلاق، والعدالة والإنصاف.

لو نظرنا بدقة وبصورة صحيحة لوجدنا البشرية اليوم بحاجة إلى هذه الأشياء الثلاثة. لقد تطور العلم البشري في الوقت الراهن تطورًا كبيرًا، ولكنّ تطوره كان في بُعد واحد. تطورت العلوم المادية والطبيعية – العلوم ذات الصلة بالحياة المادية – بين أبناء البشر، لكنّ الإنسانية لا تزال على صعيد العلوم المعنوية – الأمور التي تنوّر عقول البشر في ما يتعلق بأصل الخلقة والتوحيد الإلهي وتهدي قلوبهم نحو الاتجاه الذي خلّقوا من أجله – بحاجة إلى التعلم والتطور. دعوة الإسلام إلى العلم دعوة شاملة، وقضية الأخلاق والتزكية المعنوية والروحية أهمّ اليوم حتى من العلم. معضلات البشرية وويلاتها ناجمة عن الابتعاد عن التزكية الأخلاقية.

الواجب الخطير للنخبة والمسؤولين في البلدان الإسلامية

المعنيّون بهذا الكلام هم بالدرجة الأولى النخبة من الشعوب والمسؤولون عن شؤون البلدان والمجتمعات. إذا كانت ثمة أخلاق ومعنوية وتركيزية في الرأس والقمة من المجتمعات البشرية – وهم النخبة السياسيون والعلميون والثقافيون – فسوف تهبط مياه هذا ينبوع الفيّاض على السفوح، ويتمتع عموم الناس أيضًا بالأخلاق الحسنة. مسؤولو البلدان الإسلامية هم المعنيون قبل غيرهم بهذا النداء والكلام. المعضلات والأوجاع الرئيسة للإنسانية هي حبّ الدنيا وحب الشهوات والانجراف وراء النزوات والميول الحيوانية، والصداقات والعداوات ذات الأصل الحيواني المادي، وتأجيج الحروب لأسباب حبّ السلطة والرغبة في التوسّع ونشر السلطة المادية، وحالات انعدام الأمن الناجمة عن الخبث والردائل السياسية لدى السياسيين والمسؤولين في البلدان المختلفة.

التركيزية الأخلاقية عملية ضرورية لأي بلد من البلدان. عطف الناس على بعضهم بعضًا وإنصافهم لبعضهم بعضًا ومراعاة حال الآخرين في التخطيط للحياة، والرحمة والمروءة بين الناس، أشياء تبتّ الهدوء والطمأنينة في حياة البشر. حين نلاحظ أنّ العالم اليوم يحترق بنيران انعدام الأمن أكثر من الماضي – انعدام الأمن اليوم أكبر بلاء يعاني منه البشر، أو هو على الأقل من أكبر البلايا التي يعانيها البشر حاليًا، فالناس لا أمن لهم داخل عوائلهم وفي بيئة حياتهم الاجتماعية، وفي بلدانهم وأوطانهم – وانعدام الأمن هذا ناجم عن سوء السياسات والتعطش للسلطة وانعدام الأخلاق وبعد الناس عن التركيزية. وقد دعانا الإسلام إلى التركيزية، وهذا جانب مهم جدًا من التعاليم الإسلامية: { يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ }¹⁴⁶.

العدالة وإفشائها وتكريسها هو ما أمر به كل الأنبياء الإلهيين، وقد قال عزّ وجلّ إنّ إرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية وكل جهود الأنبياء وأنصارهم هو { لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ }¹⁴⁷، أي

لأجل أن يعيش الناس حياة فيها قسط وعدل.

الشخصية الفذة لنبي الإسلام الكريم ﷺ هي القطب الأصلي والمحور الرئيس لاتحاد كل الطوائف الإسلامية. قلوب الجميع مفعمة بحبّ الرسول الأكرم ﷺ. كل واحد من أبناء الأمة الإسلامية يعشق هذا العبد المختار من عباد الله، وهذا الإنسان الراقى على مرّ التاريخ. فليجعلوا هذا الحبّ وسيلة ومحورًا لاتحاد الأمة الإسلامية، وليقربوا مكوّنات الأمة الإسلامية من بعضها بعضًا¹⁴⁸.

استذكار البعثة مراجعة لدرس خالد للأمة الإسلامية وكل البشرية

استذكار البعثة لا يعني مجرد استذكار حدث تاريخي – هذا ما ينبغي ألا نغفل عنه أبدًا عند تعاملنا مع هذا الحدث الكبير وهذه الذكرى البشرية والإنسانية العزيزة – إنما التركيز على هذه الذكرى العظيمة هو في الحقيقة تكرار ومراجعة لدرس لا ينسى، موجّه بالدرجة الأولى للأمة الإسلامية، سواء كل واحد من أبناء الأمة الإسلامية أو خواصها ونخبها من سياسيين وعلماء ومتفنيين، وهو درس موجّه بالدرجة التالية لكل أبناء البشر. إنه تكرار درس واستلهم نموذج وتمرين واستذكار حدث فيه الكثير من الدروس والعبر.

أبعاد هذا الحدث متنوعة جدًا. والحق أنه لو أراد شخص التعبير ببيان بليغ – ولو على نحو الإجمال – عن جوانب البعثة لوجب عليه كتابة كتب والتحدّث ساعات طوَالًا. ولكن حين ينظر المرء لهذا الحدث نظرة أولية يستفيد دروسًا عدة. لاحظوا أنّ الرسول الأكرم ﷺ ظهر بهذه الرسالة التي جمعت كل احتياجات البشرية للكمال في مجتمع لم يكن فيه أيّ من تلك الكمالات والقيم الإيجابية.

كان الرسول الأكرم ﷺ رسول العلم، ولم يكن في ذلك المجتمع علوم. وكان رسول العدل ولم يكن في ذلك المجتمع حتى رائحة العدل، وكان الأقوياء والعتاة والرؤساء المتعسفون مسيطرين على أرواح الناس وأموالهم. وكان رسول الأخلاق والتسامح والصفح والإنصاف والمحبة، وقد كان المجتمع آنذاك يعيش ظروف القحط بخصوص هذه الأحوال والمعاني، حيث كان مجتمعًا عنيفًا متعسفًا يتقبّل العنف ويرضخ له، وبعيدًا عن الأخلاق والمعنوية وعن العلوم والمعرفة، ومنشدًا للأهواء والنزوات النفسية والعصبيات الجاهلية وحالات التكبر والغرور غير المسوّغة.

الأبعاد المتعددة والمتنوعة لبعثة الرسول الأكرم ﷺ

في مثل هذه الأجواء المتحجرة والعسيرة، وفي مثل هذا الجذب الخالي من أيّ ماء أو زرع، نبتت هذه الغرسة ونمت طوال ثلاثة عشر عامًا في تلك الظروف الصعبة، وأفضت هذه الأعوام الثلاثة عشر إلى تشكيل نظام حكم، وتأسيس مجتمع على أساس العلم والعدل والتوحيد، والمعنوية والأخلاق والكرامة. أبدلت الذلة إلى عزة، والوحشية إلى أخوة، والعصية إلى تسامح وتعقل، والجهل إلى علم. وأوجد أرضية وقاعدة متينة صلبة، استطاع المسلمون على أساسها الرقيّ طوال قرون إلى قمة المدنية والحضارة، وإيجاد قمم ذاتية غير مسبوقة في تاريخ البشرية.

بعثة الرسول الأكرم ﷺ طليعة تاريخ إنساني جديد

لم يستمر عمر هذه الحكومة لأكثر من عشرة أعوام. لاحظوا، هي ثلاثة عشر عامًا بالإضافة إلى عشرة أعوام في عمر الشعوب. وكأنها لحظة واحدة، أو ساعة عابرة. خلال هذه المدة القصيرة انبثقت مثل هذه الحركة العظيمة التي يمكن القول عنها إنها قسّمت التاريخ إلى قسمين: قسم ما قبل الإسلام وقسم ما بعد الإسلام. وتقدّمت بالإنسانية، ورست أركان الأخلاق، وتركت للإنسانية دروساً عصيّة على النسيان. انظروا لعظمة البعثة من هذه الزاوية.

العناصر المؤثرة والضامنة لنجاح رسول الإسلام ﷺ في ظروف الجاهلية والعصبية

ما ضمن هذه النجاحات عناصر كثيرة ومتشابكة طبعًا. لكنّ العنصر المهم الأول الذي كان رمزًا للثبات والقوة والامتلاء بالروح المعنوية والنقاء والإخلاص ومعرفة الخالق والتوكل عليه، هو الكيان المقدس للرسول الأكرم ﷺ نفسه. كان الرسول الأعظم أعلم أهل مكة وأعقلهم قبل أن يبعث بالنبوة. كان أكرم وأشرف وأحسن الناس في تلك المنطقة أخلاقًا، حتى قبل أن يبعث نبيًا مرسلًا.

وقد وقع هذا الإنسان الممتاز من بين أولئك الناس موقع اللطف الإلهي، وألقيت هذه الأعباء والمهام على كاهله، لأنّ الله تعالى كان قد اختبره. الله سبحانه يعرف عبده ويعلم على عاتق من يُلقى هذا القول الثقيل. وصبر الرسول وصمد، وكان هذا الصمود والاستقامة إلى جانب معرفة عميقة بالهدف الذي يسير نحوه والطريق الذي يسير فيه، وهذا ما وقرّ الرصيد لكل حالات التقدم والنجاح والازدهار التي حققها الرسول الأكرم ﷺ في هذه المسيرة الجبّارة. نعم، الحق منتصر، لكن بشروط. وشرط انتصار الحق هو الدفاع عن الحق، شرط انتصار الحق الصمود والثبات في طريق الحق.

في المرحلة الأولى للبعثة، وبعد مضي نحو ثلاثة أعوام أو أكثر – حيث كانت الدعوة سرية خفية – استطاع النبي ﷺ أن يهدي إلى الإسلام ثلاثين أو أربعين شخصًا. وبعد ذلك جاء الأمر الإلهي: { فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ 94 إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ }¹⁴⁹، أي أعلن دعوتك وانزل إلى الساحة وارفع الراية علنًا. ونزل الرسول الأعظم ﷺ إلى وسط الساحة

وحدث ما حدث من الأمور التي سمعتم بها. ارتعد كبار قريش وصناديدها وعظماء المال والقوة في ذلك المجتمع، وكان أول ما قاموا به تجاه هذا التيار الجديد هو ترغيب الرسول الأعظم ﷺ. جاؤوا إلى سيدنا أبي طالب وقالوا له إنّ ابن أخيك إنّ كان يطلب الرئاسة أمّرناه علينا، وإن كان يريد الثروة أعطيناها منها ما يجعله أثرائنا، وإن كان يريد أن يكون ملكاً اخترناه ملكاً علينا، ولكن قل له يكفّ عن هذه الأقوال التي يقولها. وكان سيدنا أبو طالب يخاف على حياة الرسول الأعظم ﷺ ويخشى عليه من مؤامرات القوم، فجاء للرسول الأكرم ﷺ ونقل له رسالة كبراء مكة، وربما نصحه وأوصاه بأن يتنازل بعض الشيء، فلماذا الإصرار إلى هذه الدرجة؟ هذا غير ضروري. لكنّ الرسول الأعظم قال: «يا عمّ، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي لأعرض عن هذا الأمر لا أفعله حتى أظهره الله أو يذهب بما فيه»¹⁵⁰.

وفي الرواية: «ثمّ اغرورقت عيناه من الدمع». أخذ بيكي ونهض من مكانه. حين شاهد أبو طالب هذا الإيمان والصبر انقلب حاله وتغيّر وقال: «يا بن أخي اذهب وقل ما أحببت»، اذهب وافعل ما شئت وتابع هدفك، «والله لا أسلمنك بشيء». هذا الثبات يستجلب الثبات. هذه الاستقامة من الرسول الأعظم تعزز جذور الاستقامة لدى أبي طالب. هذا الالتزام بالهدف وعدم الخوف من الأعداء وعدم الطمع في ما في أيدي الأعداء، وعدم الانجراف للامتيازات التي يريد العدو أن يمنحها مقابل الإقلاع عن السير في هذا الدرب، يخلق الصمود والثبات وبيت السكينة والطمأنينة، ويوجد الثقة بالدرب والهدف والله الذي أمر بهذا الهدف. لم يكونوا أكثر من ثلاثين أو أربعين شخصاً. وثبت هؤلاء الثلاثون أو الأربعون بوجه كل تلك الصعاب، وازداد عددهم يوماً بعد يوم. كانوا يرون في مكة ما يصنع المشركون بعمّار وبلال وسمية وياسر وكيف يعذبونهم ويقتلونهم. كانوا يرون ذلك ومع ذلك يؤمنون، هكذا هو تقدّم الحق وانتشاره. الحق لا يتقدم فقط برفع رايته في ظروف الرخاء والأمن، إنما يتقدم الحق حين يبدي صاحب الحق والسائر في طريق الحق الاستقامة والثبات في درب الحق.

تقول الآية القرآنية الكريمة: { مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ }¹⁵¹؛ أشداء على الكفار لا تعني أنهم في حالة حرب وقتال دائم مع الكفار. الشدة هنا بمعنى القوة والثبات وعدم التزعزع. المعدن قد يصدأ ويتآكل ويهترئ وقد يخور ويزول. إذا مضت القرون على المعدن يتعرض للصدأ والتهرؤ والفساد. والأشداء معناها عدم التهرؤ بل المتانة

والثبات، والثبات قد يكون تارة في ساحة القتال حيث يبرز هناك بشكل من الأشكال، وتارة يبرز بشكل من الأشكال في ميدان الحوار مع الأعداء. لاحظوا كيف كان الرسول الأعظم يتحدث مع عدوّه حين ينبغي أن يتحدث. لم يكن هناك في خطه سوى الثبات والقوة، ولا يمكن مشاهدة حتى ذرة من الخلل والخور فيه. في حرب الأحزاب دخل الرسول الأكرم ﷺ في حوار مع الأطراف المقابلة له، ولكن أي حوار؟! اقرؤوا التاريخ. إذا كان الظرف ظرف قتال كان ذلك بشدة، وإن كان حوارًا كان حوارًا بشدة، وإذا كان تعاملًا كان تعاملًا بشدة، أي بثبات وعدم تزلزل، هذا معنى أشداء على الكفار.

ومعنى رحماء بينهم هو أن يكونوا في ما بينهم على العكس من وضعهم مع العدو. التعامل هنا مرن وناعم وفيه كثير من المرونة، ولا مكان فيه لتلك الشدة والصلابة. هنا ينبغي حب الآخرين وكسب ودّهم، ويجب التعامل معهم بالتعاطف والتسامح.

الصمود في أول البعثة يؤدّي إلى استقامة وصبر عجيبين طوال ثلاثة أعوام في شِعب أبي طالب، وليس هذا بالهزل. ثلاث سنين في وادٍ بجوار مكة من دون ماء ونبات وتحت الشمس المحرقة. عاش الرسول الأكرم ﷺ وسيدنا أبو طالب، وسيدتنا خديجة الكبرى، وكل المسلمين وعوائلهم في ذلك المكان وهو شعب بين جبلين، وكان الطريق مسدودًا عليهم لئلا يصلهم طعام. كان بوسعهم أحيانًا في أيام الموسم – التي كانت أيامًا حرّة حسب التقاليد الجاهلية، أي كانت أيامًا بلا حروب – أن يدخلوا المدينة، ولكن ما إن يريدوا شراء شيء من دكان، حتى يأتي غلمان وأبناء أبي جهل وأبي لهب وسائر كبراء مكة، وكان هؤلاء الكبراء قد أوصوهم بأن يسارعوا إلى شراء الأشياء التي يريد المسلمون شراءها بأسعار مضاعفة، فيشترونها بأسعار مضاعفة ولا يسمحون للمسلمين بشراء شيء. قضوا ثلاثة أعوام في مثل هذا الوضع الصعب. فهل هذا بالأمر اليسير؟

تلك الاستقامة الأولى وذلك العمود المتين لهذه الخيمة وذلك القلب المتوكّل على الله هو الذي أوجد مثل هذه الاستقامة في تلك الأجواء، بحيث يستطيع كل واحد من المسلمين الصبر إلى هذه الدرجة. كان الأطفال يكونون من الجوع من الليل إلى الصباح، وكانت أصوات بكاء الأطفال تصل أسماع كفار قريش من شعب أبي طالب، وكان بعض ضعفائهم ترقّ قلوبهم للمسلمين، لكنهم لا يتجرّؤون على مساعدتهم خوفًا من الأقوياء. لكنّ المسلمين الذين شاهدوا أطفالهم أمام أعينهم يتضوّرون ويتمزّقون جوعًا – وكيف ماتوا في شعب أبي طالب، ومرضوا، وجاعوا – لم

يتزعزعوا ولم يلينوا. يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لابنه العزيز محمد بن الحنفية: «تزلزل ولا تزل»¹⁵²؛ أي لا تتزلزل ولا تزل من مكانك حتى لو زالت الجبال من مكانها. وهذه نصيحة الرسول الأكرم ﷺ. وهذا هو سبيل نهضة الأمة الإسلامية، وهذه هي بعثة الأمة الإسلامية، وهذا هو درس الرسول الكريم ﷺ لنا، هذا ما تعلمنا البعثة إيّاه.

مجرد أن نقعد ونقول نزلت آية وجاء جبرائيل وبعث النبي بالرسالة ونفرح بأن هذا آمن وذاك لم يؤمن، فهذا لا يحلّ مشكلة. القضية هي أننا يجب أن نستلهم الدروس من هذه الحادثة وهي أمّ كل الأحداث في حياة الرسول المباركة. كل هذه الأعوام الثلاثة والعشرين دروس وعبر.

ضرورة الدراسة الدقيقة لحياة الرسول الأكرم ﷺ وفهم دروسها، ومن دروسها البصيرة والصبر

قلت ذات مرة لبعض الأصدقاء إنه ينبغي دراسة حياة الرسول الأكرم ﷺ بالمليمترات. كل لحظة من هذه الحياة حدث ودرس وتجليات إنسانية عظيمة. هكذا هي هذه الأعوام الثلاثة والعشرون. ليهبّ شبابنا ويقرأوا تاريخ حياة الرسول الأعظم ﷺ من مصادرها الموثوقة، ويروا ما الذي حدث. إن كنتم ترون أنّ أمة بهذه العظمة قد ظهرت – حيث توجد اليوم أيضًا أفضل الآراء وأحسن السبل وأعظم الدروس وأشفى العلاجات للبشرية في منظومة الأمة الإسلامية – فقد ظهرت هكذا وانتشرت وتنامت وتجذرت هكذا، وإلا مجرد أن يكون الحق معنا ونكون على الحق فإنّ ذلك لن يضمن لنا التقدم والنجاح، إنما لا بدّ من الحق المصحوب بالثبات والاستقامة. يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في حرب صفين، وقد نقلتُ قوله هذا مرارًا: «لا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر والصبر»¹⁵³. الذين يمكنهم حمل هذه الراية هم الذين يتحلون أولاً بالبصيرة، فهم يفهمون القضية والهدف، وثانيًا بالصبر. والصبر معناه الاستقامة والتحمّل والصمود والثبات، هذا هو الدرس الذي يجب أن نتعلمه من البعثة¹⁵⁴.

معاني الأحداث التي اقترنت بولادة الرسول الأعظم ﷺ

لم تكن ولادة الرسول الأعظم ﷺ مجرد حدث تاريخي، بل كان حدثاً غير مسار البشرية. الظواهر التي يروي التاريخ أنّها وقعت عند هذه الولادة الكبرى تعدّ إشارات بليغة لمعنى هذه الولادة وحقيقتها. يُروى أنه عند ولادة نبي الإسلام الكريم ﷺ اختلّت علامات الكفر والشرك في مختلف أنحاء العالم. النار في معبد النار في فارس، والتي لم تكن قد انطفأت منذ ألف عام، انطفأت عند ولادة الرسول الكريم ﷺ. وانهارت الأوثان التي كانت في المعابد، وتحيرّ الرهبان والخدم في المعابد الوثنية من هذا الحدث! كانت هذه ضربة رمزية من هذه الولادة للشرك والكفر والنزعة المادية. من جهة أخرى، تعرّض قصر الجبابرة المشركين في إيران لمثل هذه الأحداث وانهارت قمة قصر المدائن – أربع عشرة قمة – وكانت هذه أيضاً إشارة رمزية أخرى على أنّ هذه الولادة ستكون مقدمة وأرضية لمكافحة الطغيان والطواغيت في العالم. ذاك عن الجانب المعنوي والهداية القلبية والفكرية للبشر، وهذا عن الجانب الاجتماعي والهداية الاجتماعية والعملية للبشر. مكافحة الظلم والطغيان والسيادة الجائرة للظالمين على الناس، هذه هي الإشارات الرمزية لولادة الرسول الأكرم ﷺ.

لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام في نهج البلاغة العديد من العبارات في وصف الزمن الذي ظهر فيه الرسول الأكرم ﷺ، وطلعت شمس الوضوء. ومن ذلك قوله: «والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور»¹⁵⁵. لم يكن ثمة نور في بيئة الحياة البشرية، وكان الناس يعيشون في ظلمات؛ ظلمات الجهل والطغيان والضلال، وطبعاً كان مظهر كل هذه الظلمات

المكان الذي ولد فيه الرسول الأكرم ﷺ ثم بُعث هناك، وهو شبه الجزيرة العربية. كل الظلمات والضلالات كان لها نموذجها في مكة وفي بيئة الحياة في الجزيرة العربية. الضلالات الفكرية والعقيدية والشرك الذي يذلّ الإنسان والأخلاق الاجتماعية العنيفة وانعدام الرحمة وقساوة القلب: { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ 58 يَتَوَرَّى مِنَ الْآلِقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } 156. هذا نموذج من أخلاق الناس في زمن ولادة الرسول الأكرم ﷺ، ومن ثم زمن بعثته بعد ذلك، «وكان بعده هدى من الضلال ونورا من العمى» 157. كانت الإنسانية عمياء فتفتحت أعينها، وكان العالم مظلمًا فتنور بنور الرسول الأعظم ﷺ. هذا هو معنى تلك الولادة الكبرى ومن ثم البعثة العظيمة. لسنا نحن المسلمين فقط مدينين للمنة والنعمة الإلهية العظمى بسبب هذا الوجود المقدس، بل الإنسانية كلها مدينة لهذه النعمة.

صحيح أنّ هداية الرسول الأعظم ﷺ طوال قرون من الزمان لم تستغرق لحد الآن البشرية كلها، لكنّ هذا السراج المنير وهذا المشعل الوضاء موجود وقائم بين البشر ويهدي الناس تدريجيًا وعلى مدى الأعوام والقرون إلى معين النور. وحين ننظر في التاريخ بعد ولادته ﷺ وبعثته نلاحظ مثل هذا التدبير. سارت الإنسانية نحو القيم وعرفت القيم وسينتشر هذا الأمر تدريجيًا ويشتدّ يومًا بعد يوم، إلى أن يأتي إن شاء الله اليوم الذي يغمر فيه العالم كله، { لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } 158، وتبدأ البشرية مسيرتها الحقيقية على جادة الهداية والصراط الإلهي المستقيم، وسيكون هذا في الواقع بداية لحياة الإنسانية. يومئذ تتمّ حجة الله على الناس وتضع الإنسانية أقدامها في هذا الطريق الكبير.

إنّنا اليوم كأمة إسلامية نقف حيال هذه النعمة الكبرى، ويجب أن ننتفع من هذه النعمة. يجب أن ننور قلوبنا وديننا وأفكارنا وكذلك دنيانا وحياتنا وبيئتنا ببركة تعاليم هذا الدين المقدس. ولأنه نور وبصيرة بمقدورنا أن نقرب أنفسنا منه وننتفع من خيراته. هذا واجب عام علينا نحن المسلمين.

الوحدة الإسلامية واجب المسلمين الأساسي والمهم

ما أشدّ عليه اليوم، وهو من الواجبات الكبرى والأولى على المسلمين، هو قضية الاتحاد والوحدة. لقد سمّينا هذا الأسبوع الذي ينتهي بالسابع عشر من شهر ربيع الأول منذ مطلع الثورة بأسبوع الوحدة، والسبب هو أنّ يوم الثاني عشر من ربيع الأول حسب رواية مشهورة بين إخواننا أهل السنة هو يوم ولادة الرسول الأكرم ﷺ، ويوم السابع عشر من ربيع الأول حسب الرواية المشهورة بين الشيعة هو يوم ولادته ﷺ. وقد أطلق الشعب الإيراني ومسؤولو البلاد على الأيام الواقعة بين هذين اليومين منذ بداية الثورة اسم أسبوع الوحدة، وجعلوا ذلك رمزاً للاتحاد بين المسلمين. لكنّ الكلام لا يكفي، والتسمية لا تكفي، بل يجب أن نعمل ونسير صوب الوحدة. العالم الإسلامي اليوم بحاجة إلى الوحدة، وثمة عوامل تفرقة يجب التغلب والانتصار عليها.

كل الأهداف الكبرى بحاجة إلى كفاح وجهود. ما من هدف كبير يحصل من دون جهود ومكابدة، والاتحاد بين المسلمين لا يتأتّى من دون مكابدة. واجبنا هو الكفاح من أجل اتحاد العالم الإسلامي. بوسع هذا الاتحاد حلّ الكثير من العقد، وبمقدوره إعزاز المجتمعات الإسلامية والشعوب المسلمة. لاحظوا ما هو واقع البلدان الإسلامية، وانظروا ما هو حال المسلمين الذين يشكلون ربع سكان العالم، وكيف أنّ تأثيرهم في سياسات العالم وحتى في قضاياهم الداخلية أضعف وأقلّ بكثير من تأثير القوى الأجنبية ذات النوايا السيئة. المسألة ليست أنّهم قوى أجنبية فقط – ونحن نحذّر أنفسنا ومخاطبيننا منهم – بل لأنّهم إلى ذلك ذوو نوايا سيئة ومحفزات سلطوية، ويريدون إذلال الشعوب المسلمة وتحطيمها وفرض الطاعة المحضة عليها.

العوامل الداخلية والخارجية الناقضة لوحدة الأمة الإسلامية

ما هو السبيل من أجل أن تقف هذه البلدان البالغ عددها خمسين ونيقاً، وهذه الشعوب المسلمة مقابل هذه النوايا السيئة الواضحة الكبيرة المتغترسة؟ هل من سبيل سوى الوحدة؟ يجب أن نتقارب من بعضنا بعضاً. ثمة عاملان أساسيان امان يقفان دون الوحدة، ويجب علاجهما.

أحد العاملين عامل داخلي يتمثل في عصبياتنا والتزاماتنا بمعتقداتنا، كل فئة لنفسها. يجب التغلب على هذا. إيمان الجماعة بمبادئها وأصولها ومعتقداتها شيء جيد جداً ومحمود، والإصرار عليها حسن أيضاً، لكنّ هذا يجب ألا يتعدّى حدود الإثبات إلى حدود النفي والتعرّض والعدوان. الإخوة في منظومة الأمة الإسلامية يجب أن يحافظوا على احترام بعضهم بعضاً، ولهم طبعاً أن يحافظوا على عقائدهم، ولكن ليحافظوا أيضاً على احترام حدود وحقوق الآخرين واحترام أفكارهم وعقائدهم، ويتركوا النقاش والمجادلات للمجالس العلمية. ليجلس العلماء وأهل الفن والاختصاص ويتناقشوا ويبحثوا في القضايا المذهبية، ولكن النقاشات العلمية وفي الأروقة العلمية تختلف عن التراسق بالإساءات في العلن وعلى مستوى الرأي العام، وحين يكون المتلقون من الذين لا قدرة لهم على التحليل والبحث العلمي. يجب أن يحتوي العلماء والمسؤولون هذه الحالات السلبية. فكل الفئات والطوائف المسلمة تتحمّل مسؤوليات في هذا الشأن. على الشيعة واجباتهم وعلى السنة كذلك. يجب أن يسيروا صوب الاتحاد، وكان هذا أحد العاملين وهو العامل الداخلي.

والعامل الخارجي هو اليد المغرصة العاملة على التفرقة لأعداء الإسلام. يتحتّم عدم الغفلة عن هذا الأمر. ليس اليوم وحسب، بل منذ أن شعرت القوى السياسية المهيمنة في العالم أنّ بمقدورها التأثير على الشعوب ظهرت هذه اليد العاملة على التفرقة، وهي تعمل اليوم بأشدّ ما يمكن، وتساعد وسائل التواصل الجماعي، والوسائل الإعلامية الحديثة العصرية. إنهم يؤجّجون

النيران ويشعلونها وينحتون الشعارات من أجل التفرقة، فيجب التحلي بالوعي واليقظة. وللأسف فإنّ بعضهم من داخل الشعوب والبلدان المسلمة يتحولون إلى وسائل لتنفيذ أولئك الأعداء الأصليين أغراضهم.

إنها عبرة عظيمة جدًّا، لاحظوا قبل عامين حين انتصر شباب المقاومة اللبنانية وحزب الله لبنان على إسرائيل، وأدّلوا الكيان الصهيوني بتلك الطريقة، وكان ذلك انتصارًا وازدهارًا للمسلمين في العالم الإسلامي، بادرت أيدي التفرقة من فورها إلى طرح قضايا الشيعة والسنة، وتشديد العصبية الطائفية والمذهبية، سواء في لبنان نفسه، أو في منطقة الشرق الأوسط، أو في كل العالم الإسلامي. وكأنّ قضية الشيعة والسنة بنت يومها وجديدة الظهور! كلّ ذلك من أجل إبعاد أبناء الأمة الإسلامية عن بعضهم بعضًا بعد تحقيقهم ذلك الانتصار الكبير الذي عمل على تقريب قلوبهم من بعضها بعضًا. كان هذا قبل عامين.

وقبل شهرين من الآن وقع انتصار آخر للأمة الإسلامية هو انتصار المقاومة الفلسطينية على العدو الصهيوني في غزة، وكان انتصارًا كبيرًا ومتألقًا. أيُّ انتصار أكبر من أن يحاول جيش مجهز مدجج بالسلاح – استطاع في يوم من الأيام هزيمة ثلاثة جيوش كبيرة لثلاثة بلدان في عامي 67 و73 للميلاد – لمدة اثنين وعشرين يومًا ولا يستطيع فرض التراجع والهزيمة على هؤلاء المجاهدين المؤمنين في غزة؟ ويعود مخفّفًا خالي الوفاض، فضلًا عن ذهاب سمعة الكيان الصهيوني وحماته وعلى رأسهم أميركا أدراج الرياح، وإراقة ماء وجههم على التراب. كان هذا انتصارًا كبيرًا للمسلمين أدى إلى تقارب قلوبهم وتعاطفهم. هنا لم يكن بوسعهم طرح قضية الشيعة والسنة. لكنهم عمدوا إلى طرح قضايا القومية، وقضية العرب وغير العرب، ومشكلة أنّ قضية فلسطين تختص بالعرب والإصرار على أنّها قضية خاصة بهم، لكي لا يحقّ لغير العرب التدخل في قضية فلسطين! لماذا؟ قضية فلسطين قضية إسلامية، وليس فيها عرب وعجم.

في قضايا العالم الإسلامي إذا طرحت المسألة القومية لكانت أكبر عامل تفرقة. حين يطرحون مسألة القوميات في قضايا العالم الإسلامي ويفصلون بين العربي والفارسي والتركي والكردي والأندونيسي والماليزي والباكستاني والهندي، فماذا يبقى بعدها؟ أليس هذا بيعًا للأمة الإسلامية وطاقاتها وقدراتها في المزداد؟

هذه حيل الاستكبار، وللأسف يوجد في العالم الإسلامي من يقع أسيرًا لهذه الحيل. لا يريدون بقاء حلاوة الانتصار في قضية لبنان، وفي قضية غزة، سارية في نفوس المسلمين. يثيرون على الفور عامل نزاع وتفرقة ويختلقونه من أجل فصل ناس عن ناس.

واجبات الساسة والنخبة والمثقفين في العالم الإسلامي لمواجهة حيل الاستكبار

يجب أن تكون الأمة الإسلامية يقظة، وتقف مقابل المستكبرين. والواجب الأول يقع على عاتق الساسة والمسؤولين. يجب على المسؤولين والساسة في العالم الإسلامي أن يتحلوا باليقظة والوعي. قد تصدر هذه الصرخة من حناجر بعض الساسة الأصدقاء، لكننا لا نقع في الخطأ. إننا لن نخطئ في تشخيص العامل الأصلي. قد يصدر شيء من حناجرهم لكنه ليس لهم، فالصرخة صرخة الآخرين. إنها صرخة القوى الاستكبارية في العالم. هم الذين يعارضون وحدة الأمة الإسلامية، وحتى لو خرجت هذه الصرخة من حناجر أشخاص داخل الأمة الإسلامية فهم مخدوعون، وهذا الصوت ليس صوتهم، إنما هو صوت أولئك، ونحن نعرف حقيقة هذا الصوت. الساسة والمسؤولون بالدرجة الأولى وأيضاً في درجة متقدمة جداً المثقفون ومن يتعاملون مع عقول الناس وقلوبهم، وعلماء الدين والمستنبرون والكتاب والصحافيون والشعراء والأدباء وعلماء العالم الإسلامي، يتحملون على عواتقهم هذا الواجب الكبير وهو فضح الأصابع التي تحاول الإخلال بهذه الوحدة وسلب المسلمين هذا الحبل الإلهي المتين.

يقول لنا القرآن الكريم صراحة: { وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا }. يمكن لكل فرد الاعتصام بحبل الله على حدة وبشكل متفرق، لكن القرآن الكريم يقول لنا: { وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا }، أي كونوا معاً، { وَلَا تَفَرَّقُوا }¹⁵⁹، أي لا تتفرقوا ولا تبتعدوا عن بعضكم بعضاً حتى في الاعتصام بحبل الله، فما بالك إذا أراد بعضهم الاعتصام بحبل الله وأراد آخرون الاعتصام بحبل الشيطان؟ حتى الاعتصام بحبل الله إذا أراد الجميع الاعتصام به فليكن ذلك معاً وجميعاً ودون تفرقة وتشتت، بل بتعاطف ووثام واتحاد. هذه هي قضية العالم الإسلامي الكبرى¹⁶⁰.

أبعاد التربية العقلانية والأخلاقية والقانونية

في بعثة الرسول الأكرم ﷺ

قضية بعثة النبي الأكرم ﷺ التي ذكرت ألسنتنا القاصرة وأذهاننا الضعيفة حولها الكثير من الأمور والملاحظات – وقد ذكر الجميع حولها ما تيسر لهم – هي في الواقع ساحة هائلة لن يمكن في القريب العاجل التعبير عن أبعادها كحدث كبير. كلما مرّ الزمان وتقدمت العصور وأدرك الإنسان بفضل تراكم تجاربه نواقص حياته والأضرار والآفات التي يعاني منها، كلما تجلت الأبعاد المتنوعة لبعثة نبي الإسلام الكريم ﷺ أكثر فأكثر. هذه البعثة في الحقيقة دعوة للناس إلى ساحة التربية العقلانية والتربية الأخلاقية والتربية القانونية. هذه أمور تحتاجها حياة الإنسان الهادئة السائرة نحو التكامل.

1 – التربية العقلانية

هناك التربية العقلانية بالدرجة الأولى، وهي استخراج طاقات وقدرات العقل البشري، وتحكيمها على أفكار الإنسان وأعماله، ومنح الإنسان مشعل العقل البشري ليشخص الدرب بأنوار هذا المشعل، ويكون قادرًا على السير في هذا الدرب. هذه هي المسألة الأولى والأهم. وفضلاً عن أنّ القضية العقلانية مطروحة بدرجة أولى في بعثة الرسول الأكرم ﷺ تطرح فيها كذلك مسألة المعرفة والعلم. مهما نظرتم في القرآن الكريم من أوله إلى آخره، وفي تعاليم الرسول الكريم خارج نطاق القرآن، لوجدتم هناك تركيزاً على العقل والتعقل والتأمل والتدبر والتفكير وما إلى ذلك من تعابير، بل إنّ القرآن الكريم يقول عن لسان المجرمين في يوم القيامة: {لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} {161؛ السبب في دخولنا نار جهنم هو أننا لم نراجع عقولنا ولم نستشره ولم نصغ إليه ولم ننشد إليه، واليوم حيث قامت القيامة صار مصيرنا هذا المصير المرّ الأبدي.

تحتل الدعوة للعقل والتعقل موضعاً رئيسياً من الدرجة الأولى في سير الأنبياء كافة في حياتهم، وخصوصاً في حياة الرسول الخاتم محمد ﷺ. وهذه النقطة طبعاً تبدو أقوى وأوضح وأنصح في الدين الإسلامي. لذلك يقول الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام في سبب بعثة الأنبياء: «ليستأدوهم ميثاق فطرته»، ويستمر إلى أن يقول: «ويثيروا لهم دفائن العقول»¹⁶²؛ أي إنّ الأنبياء يريدون استخراج كنوز العقل للإنسان. إنها كنوز عقلية موجودة في داخلنا أنا وأنتم، والإشكال في أمرنا هو أننا أشبه بشخص ينام على كنز ولا علم له به ولا ينتفع منه ويموت من الجوع. هكذا هو وضعنا. حين لا نراجع العقل ولا نحكمه ولا نربيّه ولا نعطيّه زمام النفس، فسيكون هذا هو وضعنا.

هذا كنز نمتلكه، لكننا لا ننتفع ولا نستفيد منه، ولهذا السبب نعاني من الجهل وأعراضه الكثيرة ومشكلات حياتنا في الدنيا والآخرة. ومن هنا يقول الرسول الأكرم ﷺ في حديث له: «إنّ العقل عقل من الجهل»¹⁶³، والعقل هو الحبل الذي يربطونه بأرجل الحيوانات من إبل أو غيرها حتى لا تتحرك ويمكن السيطرة عليها. إنّه رباط يمنع الإنسان من الحركة بجهل. ثم يقول: «والنفس كمثّل أخبث الدواب»¹⁶⁴، نفس الإنسان مثلها مثل أسوأ الحيوانات وأكثرها شرواً. هذه هي النفس، «فإن لم تعقل حارت». حين لا تربط هذه النفس ولا تضرب عليها الأزمّة ولا تكون أزمّتها في اليد فإنّها ستتحير كالحيوان الوحشي الذي لا يدري إلى أين يذهب. هذه الحيرة تخلق للإنسان المشكلات في حياته الشخصية والاجتماعية والمجتمع الإنساني، هذا هو العقل.

أول مهمة للرسول الأكرم ﷺ هي إثارة العقل وتحفيزه وتفعيل قدراته. وتقوية القدرة على التفكير في المجتمع. هذا هو حلّال المشكلات. عقل الإنسان هو الذي يقود الإنسان ويهديه إلى الدين، وهو الذي يفرض عليه العبودية أمام الله، وهو الذي ينهيه ويمنعه عن الأعمال السفهية والجاهلة والتهالك على الدنيا، هذا هو العقل. لذا فالمهمة الأولى هي تعزيز طاقات العقل والتعقل في المجتمع، وهذا هو واجبنا.

ونحن اليوم في المجتمع الإسلامي الذي أردنا له أن يكون نموذجاً للمجتمع الإسلامي الذي دعا إليه الرسول الأكرم ﷺ، على الرغم من كل نقاط ضعفنا ونواقصنا وإشكالاتنا مقابل تلك العظمة الفذة التي كانت للرسول العظيم، سرنا وأردنا أن نحقق نموذجاً لذلك المجتمع. في هذا المجتمع أيضاً يجب أن يكون العقل معياراً وملاكاً.

2 - التربية الأخلاقية

النمط الثاني من التربية هو التربية الأخلاقية، حيث قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»¹⁶⁵، فقد بعث ليكمل المكرّمات والفضائل الأخلاقية بين الناس. الأخلاق هي ذلك الهواء اللطيف الذي إن توافر في المجتمع البشري استطاع الناس بتنفسه أن يعيشوا حياة سليمة. وإذا لم تتوافر الأخلاق وإذا ساد انعدام الأخلاق، وعمّت حالات الحرص والأهواء النفسية والجهل وطلب الدنيا والمقت الشخصي والحسد والبخل وسوء الظن وعدم الثقة، فستكون الحياة عسيرة وستضيق الآفاق وسيسلب الإنسان القدرة على التنفس السليم. لذلك ورد في القرآن الكريم في مواضع عدة تعبير { يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ }، والتزكية هي الرشد الأخلاقي، وهي سابقة على التعليم. وفي هذه الرواية التي أوردناها عن الرسول الأكرم ﷺ حول العقل، وبعد أن يبيّن ما هو العقل، يقول [ما معناه]: «ومن العقل ينشأ الحلم، ومن الحلم ينشأ العلم». ليلتفت الإنسان إلى ترتيب هذه الأمور: العقل يوجد الحلم أولاً، وهو التحمل والأناة. وإذا توافرت حالة الحلم والأناة تتوافر الأرضية لتحصيل العلم وزيادة المعلومات - فردياً ومجتمعياً - أي إنّ العلم يأتي في المرتبة التالية للحلم، والحلم هو الأخلاق. وفي الآيات القرآنية: { وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } تتقدم التزكية، هذه هي التربية الأخلاقية. ونحن اليوم بأمر الحاجة إلى هذه التربية الأخلاقية؛ نحن أي الشعب الإيراني والمجتمع الإسلامي في هذه الحدود الجغرافية، وكذلك في كل العالم الإسلامي والأمة الإسلامية الكبرى ومجتمعات المسلمين. هذه هي حاجتنا الأولى.

3 - التربية القانونية

ومن بعد ذلك تأتي التربية القانونية والانضباط القانوني. كان شخص الرسول الأكرم ﷺ أول عامل بكل أحكام الإسلام. يُروى عن أم المؤمنين عائشة أنها سئلت عن أخلاق الرسول ﷺ وسلوكه فقالت: «كان خلقه القرآن»؛ أخلاقه وسلوكه وتصرفاته وحياته كانت تجسيدا للقرآن، أي لم يكن ثمة شيء يأمر به الرسول الأكرم ﷺ

ويكون هو نفسه غافلاً عنه. هذه كلها دروس لنا؛ إننا لا نروم مقارنة تلك العظمة بوضعنا التافه الصغير، فهو قَمّة، ونحن نسير على السفح، لكننا نسير نحو القمة فهي المعيار والملاك.

كان الرسول الأعظم ﷺ نفسه عاملاً: { ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ } {166}، والمؤمنون تبع للرسول يقتدون به. الرسول عامل والناس ينظرون لعمله فيترسمون الخطى والطريق. هذا هو دور الكبار والقادة والنخبة في المجتمع، فيجب عدم الاكتفاء بالكلام.

ليس المبعث مجرد احتفال نحتفل به ونصفق ونأكل الحلويات ونوزعها ونفرح، ليس هذا هو المبعث. فالمبعث طور ومرحلة وعيد، والعيد هو المحطة الزمنية التي تنبّه الإنسان إلى حقيقة معينة. إنه عيد. لننظر إلى المبعث والرسول الأكرم ﷺ وتلك الجهود الهائلة العظيمة، ثم لننظر إلى ذلك التأثير العميق الهائل، ما الذي فعله هذا الرجل العظيم، عظيم العظماء هذا، خلال عشرة أعوام، وعشرة أعوام كالحظة الواحدة في عمر الشعوب؟ هل يمكن مقارنة عشرة أعوام أخرى مع هذه الأعوام العشرة المباركة التي حكم فيها الرسول الأكرم ﷺ؟! أي حركة أطلقها في تاريخ الإنسانية، وأي طوفان أطلقه، وأي ساحل أمان دلّ عليه الإنسانية وراء ذلك الطوفان، وكيف هدى إلى الدرب؟! عاش ثلاثة وستين عاماً، ونحن الآن نريد بأعمار طوال وبهذه التحركات الصببانية أن نسير في ذلك الطريق بمقدار ما نستطيع. حين تحصل مثل تلك الحركة بكل ذلك الإخلاص والجهاد والهداية الربانية، فستكون النتيجة ما ترتب على عشرة أعوام من حكومة النبي ﷺ وتلك العظمة التي انبثقت منها¹⁶⁷.

حاجة الأمة الإسلامية الشديدة إلى إعادة إنتاج الحقائق الإسلامية

هذا اليوم يوم مبارك جدًا على المسلمين. ففي اليوم الذي جاء فيه هذا الكيان المقدس إلى هذا العالم كان نورًا في صميم الظلمات المتراكمة: { ظَلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ }¹⁶⁸. يقول الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام في شرحه لتلك الأيام والأوضاع والظلمة التي عاشتها البشرية إذ ذاك: «والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور»¹⁶⁹. نور الإنسانية كان قد غاب عن قلوب الناس والمجتمعات في ذلك الحين، لا في بيئة الجزيرة العربية وحسب، بل حتى في قلب الإمبراطوريات الكبرى والحكومات المتحضرة ذلك الوقت، وأعني بها الدولة الإيرانية القديمة والروم القديمة. كان الغرور والأخطاء في فهم الحقيقة ظاهرة شائعة في كل مفاصل الحياة البشرية. لم يكن البشر يعرفون الطريق، ولا يعرفون الهدف. طبعًا كان ثمة مؤمنون يسيرون في درب الصواب. هذا لا يعني أن كل واحد من البشر في ذلك الأوان كان عاصيًا ومذنبًا، لكنّ الوضع العام للعالم هو على ما ذكرنا. الوجه العام للعالم هو وجه الظلام والظلم ونسيان كل مؤشرات الإنسانية. في مثل ذلك الوضع سطع نور الرسول الأكرم ﷺ بإرادة من الله الحق العزيز المتعال. هذا يوم لا يُنسى في تاريخ البشر، واستذكاره لا يعني أننا نروم تجديد أثره في العالم. فسواء شئنا أم أبينا تركت هذه الحادثة وهذه الظاهرة العجيبة العظيمة أثرها في التاريخ البشري. إذا كان هناك للشرف الإنساني والفضائل الأخلاقية والخصال الحميدة ذكر واسم فسبب ذلك هذا الوجود المبارك، وهذه البعثة التي أكملت كل البعثات وجمعت كل فضائل الأنبياء والرسل عليه السلام.

نحن الأمة الإسلامية يجب أن نجعل هذا الحدث درسًا لنا. قبل أن نعلم غيرنا يجب أن نعلم أنفسنا. الأمة الإسلامية اليوم أحوج ما تكون إلى إعادة إنتاج الحقائق الإسلامية وإعادة إنتاج تلك الأحوال العظيمة الهائلة. نحن

الأمة الإسلامية اليوم بمنتهى الحاجة إلى مصباح هداية الرسول الأكرم ﷺ. الأمة الإسلامية من حيث حجم السكان منظومة كبيرة ومبرزة – فهناك مليار ونصف المليار من البشر يشكلون الأمة الإسلامية في العالم – ومناطق حضور هذا الحجم الهائل من الناحية الجغرافية ومن حيث الخصائص الطبيعية ومصادر الحياة من أكثر مناطق العالم حساسية وأهمية. ومع أنها لا يعوزها شيء من حيث المواهب الإنسانية والمصادر والمواهب الطبيعية، فإنها في الوقت الحاضر مجموعة تائهة وحائرة. وسبب حيرتها هو ما تلاحظونه. المشكلات العالمية الكبرى موجودة غالباً في هذه البلدان الإسلامية. الفقر موجود في الأمة الإسلامية، وهناك انعدام العدالة والتمييز، والتأخر العلمي والتقني والانحزام الثقافي والبؤس الثقافي. أقوىاء العالم يُضيعون حقوق الأمة الإسلامية بكل سهولة ووضوح، والأمة الإسلامية لا تستطيع الدفاع عن حقوقها¹⁷⁰.

بعثة النبي الأكرم ﷺ سبيل تأمين كل المطالب الفطرية كالعادلة والسلام

عيد المبعث أكبر ذكرى تاريخية خالدة لأنه أوجد حقبة تاريخية حساسة للغاية، وعرض على الإنسانية طريقاً ومساراً إذا سار فيه أبناء الإنسانية فسيحققون كل مطالبهم وتمنياتهم الفطرية والطبيعية التاريخية. حين ننظر على مرّ التاريخ نجد أنّ البشرية أنّت وعانت من انعدام العدالة. بمعنى أنّ العدالة مطلب كبير لكل أبناء البشر على امتداد التاريخ. لو رفع اليوم شخص راية العدالة يكون في الواقع قد طرح مطلباً إنسانياً تاريخياً طويلاً طبيعياً فطرياً. الدين الإسلامي وحركة الإسلام وبعثة النبي الأكرم ﷺ تنشد العدالة كمطلب يقف على رأس أهدافها ومطالبها. وشأنها في ذلك شأن ما نادى به كل الأنبياء الآخرين.

المطلب الإنساني المهم الكبير الآخر هو الصلح والأمن والسلام. البشر بحاجة إلى الهدوء والمناخ الآمن الهادئ داخل أنفسهم وعوائلهم ومجتمعاتهم وعلى المستوى العالمي والدولي، من أجل أن يعيشوا وينموا أفكارهم ويتقدموا عملياً ويستقروا نفسياً. الهدوء والأمن والسلام والصلح من المطالب الأساسية للإنسانية. الإسلام يحمل رسالة الأمن والصلح والسلام. حين نقول تبعاً للقرآن الكريم وحسب تعاليمه إنّ الإسلام دين الفطرة، فهذا هو معنى قولنا. الدرب الذي يضعه الإسلام أمام البشرية هو درب الفطرة، وطريق تلبية الاحتياجات الفطرية للإنسان. كانت بعثة الرسول الأكرم ﷺ من قبل رب العالمين بهذه الدقة والأهمية، وقد وعدت وبشرت بفلاح الإنسانية، {بَشِيرًا وَنَذِيرًا} ¹⁷¹. البشارة بالدرجة الأولى بهذه الحياة الهادئة المصحوبة بالعدالة المتناسبة وطبيعة البشر. وبالطبع، ثمة وراء هذا بشاراً الثواب الإلهي ذات الصلة بالحياة الأبدية للإنسان. لذا كانت بعثة الرسول ﷺ في الحقيقة بعثة للرحمة. بهذه البعثة شملت الرحمة الإلهية عباد الله، وانفتح هذا

الطريق أمام البشر، وطرحت العدالة والأمن والسلام. { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ 15 يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } {172}. بهذه الدساتير والأوامر والنواهي والتعاليم دلّ رسول الإسلام الأكرم ﷺ البشر على سبل الأمن والسلام. وسبل السلام – سبل الأمن والهدوء والاستقرار والسكينة – تعود لكل البيئات المهمة للإنسان، من البيئات القلبية الداخلية للإنسان إلى بيئات المجتمع الخارجية والبيئة العائلية وبيئة العمل والكسب وبيئة الحياة الجماعية، وصولاً إلى البيئة الدولية العالمية. هذا هو الشيء الذي ينشده الإسلام ويرنو إليه.

ما يستهدفه الإسلام كعدو هو تحديداً الأمور التي تتعارض مع الخطوط الأصلية لحياة البشر. والذين يعارضون العدالة ويناثون الصلح والأمن والاستقرار، والذين يخالفون نقاء الروح وصفاءها وسموها، هؤلاء يقفون على الضد من الدعوة النبوية. لقد أوجب الله الجهاد على المسلمين من أجل العدالة. وهو فرض لا يختص بالإسلام، فهناك جهاد في كل الأديان الإلهية. أعداء الدعوة هم الذين يعارضون هدوء الناس واستقرارهم وسكينتهم وراحة المجتمع وتعالیه، ويعادون مصالح البشر. هذه هي الأمور التي يستهدفها الإسلام ويريد القضاء عليها. منذ بدايات البعثة شخّص نبي الإسلام الكريم ﷺ عبر آيات الوحي الإلهي نقاطاً واضحة جلية في هذا المضمار.

في سورة «اقرأ» هذه التي تعتبر آياتها الأولى حسب الظاهر أول ما نزل على الرسول الأكرم ﷺ – وقد نزلت آياتها اللاحقة بعد فترة من ذلك لكنها أيضاً من آيات بدايات البعثة – يقول عزّ وجلّ: { كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ 15 نَاصِيَةٍ كُذِبَةٍ خَاطِئَةٍ 16 فَلَيَدْغُ نَادِيَهُ 17 سَدَّغُ الزَّبَانِيَةِ } {173}. الذين يقفون بوجه دعوة الرحمة والعزة والاستقرار والسكينة والأمن، هدّدهم الله تعالى في أول سورة من القرآن الكريم، أو في سورة «المدر» المباركة وهي أيضاً من أوائل السور التي نزلت على الرسول الأكرم ﷺ، نرى تشديداً ضدّ العناصر المعارضة لحياة الناس: { ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا 11 وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا 12 وَبَنِينَ شُهُودًا 13 وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا 14 ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ 15 كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا 16 سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا } {174}. هذه إشارة إلى هذه الحركة العظيمة ومعارضتها ومن يناهضون الرسول الأكرم ﷺ ويعارضون مصالح المجتمع الإنساني ويناثون طريق الحق. إذاً، فثمة في الإسلام كفاح وجهاد، بيد أنّ هذا الجهاد حرب على

معارضى سكىنة المجتمع الإنسانى واستقراره، وأعداء العدالة والمتربّصين بالسعادة الإنسانية. من هنا حين نراجع القرآن الكريم وسيرة الرسول الأكرم ﷺ نجد أنه منذ اليوم الأول لتأسيس الحكومة الإسلامية، كان ثمة أناس غير مسلمين يعيشون الأمن والأمان فى ظل الرسول الأكرم ﷺ. اليهود الذين كانوا فى المدينة المنورة أبرم الرسول معهم معاهدات ليعيشوا حياة هانئة هادئة إلى جواره، لكنهم تأمروا ضده وعارضوه وخانوه وطعنوه من الخلف، لذلك جابههم الرسول. لو لم يكن يهود المدينة قد عارضوه وعادوه وخانوه لربما لم يكن الرسول ليتعرّض لهم أبداً. إذاً، هذه الدعوة للإسلام دعوة معنوية، وهى دعوة مدعمة بالأدلة والبراهين، دعوة بمعنى عرض الحياة المشرقة السعيدة على الإنسانية.

سمات الجاهلية الحديثة في العصر الراهن

يظهر معارضون في المقابل، فالإسلام يقضي على هؤلاء المعارضين وينحيهم من طريقه. لا يعمل الإسلام بطريقة منفعة. إذا كان ثمة معارضون يناصبون العداء سعادة البشر ودعوة الحق، فإنّ الإسلام يكافح هؤلاء المعارضين ويصمد في وجوههم. قارنوا هذا بما قامت به القوى المعتدية على مرّ التاريخ، وتقوم به اليوم أيضاً. إنها تحارب من أجل تنمية سلطتها وهيمنتها ومن أجل نشر الإجحاف واللاعادلة.

انظروا اليوم ستجدون القوى المهيمنة المستكبرة في العالم تصنع الأسلحة لتهديد البشرية وليس لنشر العدالة، بل لنشر اللاعدالة، وليس لتوفير الأمن للناس بل لسلب الناس أمنهم. هذه هي الحالة والقضية في العالم اليوم.

ولهذا السبب نسمّي الجاهلية الموجودة في العالم اليوم بالجاهلية الحديثة. لم ينته عصر الجاهلية بعد، فالجاهلية معناها مواجهة الحق ومجابهة التوحيد وحقوق الإنسان ومناوءة السبيل الذي اختطه الله تعالى لسعادة الإنسانية. وهذه الجاهلية موجودة اليوم أيضاً وبشكل حديث وباستخدام العلوم والتقنيات المتطورة والأسلحة النووية ومختلف أنواع السلاح من أجل ملء جيوب أصحاب الصناعات المخزّبة والمدمرة لحياة البشرية.

قصة التسلح والتكاليف العسكرية في العالم اليوم من القصص المحزنة. تنتج مصانع السلاح في العالم اليوم مختلف أنواع السلاح من أجل بيعها. يخلقون الحروب ويوقعون بين الناس ويضعون الحكومات في مقابل بعضها بعضاً ويخلقون التهديدات والأخطار في العالم من أجل تأمين أفكارهم الخبيثة وإشباع رغباتهم الدنيئة.

لذلك طالما بقيت القوى العظمى تحرّك القضايا العالمية فإنّ الحروب في العالم لن تنتهي. الحروب فيها منافع ومصالح لهم. إنها ليست حروبًا في سبيل العدالة. يكذب الأميركيون والآخرون حين يقولون إنّنا نحارب من أجل الأمن. لا، العكس تمامًا هو الصحيح. أين ما سجّلوا وجودًا عسكريًا وتحركات عسكرية أدّى ذلك إلى انعدام الأمن واللاعداية وتعثر حياة الناس وصعوبتها. منذ أن ظهرت هذه الأدوات والوسائل الحديثة في العالم تعرّض البشر لشتى صنوف الضغوط. على مدى خمس وأربعين سنة – أي من بعد الحرب العالمية الثانية إلى سنة 1990 ميلادية – التي تسمّى اصطلاحًا بفترة الحرب الباردة، ورد في التقارير الدولية الرسمية أنّ الأرض لم تخلّ من الحروب إلا ثلاثة أسابيع فقط! طوال كل هذه الأعوام الخمسة والأربعين كانت الحروب تشتعل هنا وهناك. من الذي أوجد هذه الحروب وأشعلها؟ إنهم الذين يصنعون السلاح. الميزانيات العسكرية للقوى العظمى اليوم من أبهظ الميزانيات. وفقًا لإحصائياتهم هم أنفسهم في السنة الميلادية الماضية أنفقت الحكومة الأميركية أكثر من ستمائة مليار دولار على الشؤون العسكرية! ونحن نشاهد هذه الأموال العسكرية اليوم إلى جوارنا. إنها تنفق في أفغانستان لقمع الشعب الأفغاني المسلم، وتنفق في العراق من أجل السيطرة على الشعب العراقي، وتنفق على الكيان الصهيوني الخبيث من أجل إلهاب الشرق الأوسط بشكل دائم. هذه هي توجّهات القوى الفاسدة راهنًا، الإسلام يحارب هؤلاء ويعارضهم.

مؤشرات الصحة الإسلامية والزوال الأكيد للاستكبار وأعداء العدالة والسلام

الذين ينفعهم ويربحهم أن تقتتل الشعوب والحكومات المسلمة في ما بينها، ويكره بعضها بعضاً، ويخاف بعضها من بعض، ويعتبر بعضها بعضاً تهديداً، هم الذين يرتبط استمرار اقتدارهم الاستكباري والاستعماري بوجود حروب في العالم. الحرب بالنسبة إليهم وسيلة نهب وسلب. تقتل هذه الأعداد الكبيرة من الناس، وتتفق كل هذه الأموال من خزائن الشعوب على التسليح وشراء الأسلحة الغالية الأثمان، لماذا؟ من أجل أن يحصل أصحاب الشركات الكبرى على أموال أكثر، ويتمتعوا بحياتهم أكثر. هذا هو النظام الطاغوتي الجاهلي الخطير على البشرية الذي يسود للأسف حياة الناس البعيدين عن جادة التوحيد.

لا مرأ أن هذا المنهج لن يبقى، لأنه بخلاف الحق، ولأنه باطل وزائل: { جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا }¹⁷⁵. الباطل هو الشيء المعارض للسنن الإلهية في الخلقة. هذا الباطل زائل وآيل للزوال والاضمحلال، ولن يبقى. ومؤشرات هذا الزوال مما يمكن للمرء أن يشاهده اليوم. حين ينظر المرء للوضع الدولي والعالمي يمكنه مشاهدة علامات ومؤشرات هذا الزوال.

لقد تغيّر وضع العالم، وصحت الشعوب. ولحسن الحظ فإن هذه الصحة أكبر لدى الشعوب المسلمة. الشعوب والحكومات المسلمة أخذت تدرك أهمية الإسلام وعظمته وعظمة هذا السند والدعامة القوية الموثوقة. لقد أدّت الصحة الإسلامية في العالم الإسلامي راهناً إلى ضمور الاقتدار السابق للقوى الأخرى. الوضع الأميركي اليوم يختلف عنه في السابق، والقوى التي تأتي في المراتب التالية لأميركا تعيش الوضع نفسه من ضمور وتراجع، وهذا واضح. على الشعوب

المسلمة أن تغتنم سبيل التوحيد وتعلم أن وعد الله حق وصدق. سعادة المسلمين اليوم في أن يتحدوا مع بعضهم بعضاً حول محور الإسلام.

طبعاً العداء والعراقل موجودة وستبقى. أين ما ظهرت الصحة شعر أعداء الإنسانية بمزيد من الخطر، لذلك يمارسون مزيداً من العداء والخصومة. إننا نعرف جيداً معنى العداوات والخصومات التي تمارس حالياً ضد الجمهورية الإسلامية، ونعلم أسبابها، فالجمهورية الإسلامية رفعت راية صحة الشعوب المسلمة بيديها، ولأنّ الجمهورية الإسلامية تدعو الشعوب والحكومات إلى الاتحاد والعزة وإلى أن تعرف الشعوب والحكومات قدر عزتها في ظل الإسلام. هذا هو سبب العداء، ونحن نعرف ذلك. ونعلم أن هذه الخصومات سوف تخفق، كما أخفقت لحد الآن. يعملون ضد الجمهورية الإسلامية منذ ثلاثة وثلاثين عاماً، والجمهورية الإسلامية تتجذّر وتزداد قوة يوماً بعد يوم بفضل من الله تعالى وعلى مدى ثلاث وثلاثين سنة، وسوف يستمر هذا السياق. كلما استمر العداء سيزداد شعبنا والشعوب الإسلامية وعياً وصحة، وستعرف قدر نفسها أكثر.

نتمنى أن يعين الله كل الحكومات والشعوب الإسلامية لتعتمد على نفسها ولا تخاف من القوى المستكبرة، وتعلم أن اقتدار هذه القوى آيلٌ إلى الزوال، وهو اقتدار زائف باطل، وهذا الباطل لا يبقى، وما يبقى هو ما ينفع البشرية والناس: { وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ } 176.

نرجو من الله تعالى ببركة البعثة النبوية أن يقربنا جميعاً إلى طريق الإسلام أكثر وسبل الإسلام أكثر، ويزيد قلوبنا معرفة بالأحكام والمعارف الإلهية، ويقرب قلوب المسلمين من بعضها بعضاً، ويجعل أيدي الحكومات المسلمة تتعاقد مع بعضها بعضاً لتستطيع الأمة الإسلامية إن شاء الله أن تستعيد اقتدارها وعزتها وسمعتها المفقودة 177.

ولادة نبي الإسلام الكريم ﷺ بداية فجر مشرق في حياة البشر. بهذه الولادة ظهرت البشائر الإلهية لأنظار الناس في ذلك الزمان. تهدمت قمم قصور الملوك الظلمة وانطفأت النيران في معابد النار، وزالت المقدسات الزائفة والخرافية في مناطق مختلفة من العالم بفضل القدرة الإلهية. كانت هذه الولادة مقدمة للبعثة، وكانت هذه البعثة رحمة لكل العالمين، كما قال عز وجل: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } 178. تمتع العالم كله ببركات هذا الوجود المقدس وسوف يبقى يتمتع. تطور البشر، والتقدم العلمي، وحالات الوعي المختلفة، والاكتشافات العظيمة في عالم

الوجود كانت بفضل ظهور نور الإسلام في تلك البرهة العجيبة من التاريخ، وقد وضعت هذه النعمة بين أيدي الناس. لو كان البشر يتمتعون بمزيد من الوعي وبمعرفة أعمق ويعرفون الرسول الأكرم ﷺ والإسلام ورسالته، لكانت صفحة التاريخ الإنساني اليوم صفحة أخرى. جهلنا نحن البشر وقصر نظرنا هو الذي تسبب في تأخرنا. ولا مرأى أنه كلما تقدم التاريخ أكثر وكلما ازدادت معرفة البشر واستيعابهم وقدراتهم على الفهم فسوف تزداد هذه الشمس المشرقة تألقاً، وسيزداد الانتفاع من هذه الأنوار الحياتية. ونحن اليوم نشاهد مؤشرات ذلك.

العالم اليوم يضيق ذرعاً بالأعباء المفروضة عليه من قبل الحضارة المادية، وهو يبحث له عن سبيل نجاة. ما تلاحظونه اليوم من صحوة إسلامية في بعض البلدان الإسلامية مثل مصر وتونس، مؤشر ودليل على تبرّم البشرية وأنيبها. عندما يهيمن الشياطين على حياة الناس- وشياطين الأنس أخطر من شياطين الجن - سوف يتدخل مستكبرو العالم في حياة الناس الاجتماعية والخاصة وفي اقتصادهم وفهمهم وتصوراتهم، ويجرّونهم نحو طرق الضلال، وتكتسي الحياة أجواءً حالكة، ومثل هذه المناخات الثقيلة المعتمدة لا تنسجم مع فطرة البشر، وبالتالي فإنّ الفطرة الإنسانية سوف تستيقظ، وهذا ما يحدث في العالم اليوم. حتى العالم الغربي الواقع تحت عجالات وهيمنة القوى المادية بدأ اليوم يتبرّم ويضجر. لو كنا نحن المسلمين نستطيع عرض الإسلام بصورة صحيحة، ولو كنا نستطيع مطابقة سلوكنا مع الإسلام، فثقوا إنّ العالم سوف يميل نحو الإسلام ميلاً عاماً شاملاً. الضعف والإشكال فينا، ونحن أول من يخاطبهم القرآن الكريم ورسالة الرسول الأكرم ﷺ، يجب أن نصلح أنفسنا ونقوم وضعنا.

آثار الصحوة الإسلامية في الحقبة المعاصرة

لقد صحت الشعوب اليوم بفضل الإسلام، وبوسع المرء مشاهدة هذه الصحوة على مستوى العالم الإسلامي. الأثر الأول لهذه الصحوة هو إبداء الانزعاج من وجود المستكبرين في هذه المنطقة. يحاول الأميركيون عبر سياساتهم وإعلامهم الواسع أن ينؤوا بأنفسهم عن سهام الحركة الشعبية العظيمة التي تشاهد اليوم في بعض البلدان الإسلامية. لكنّ هذا غير ممكن، فهذه الحركات هي بالدرجة الأولى ضد هيمنة الاستكبار في هذه المنطقة. الشيء الذي وجّه الإهانات والإذلال للشعوب هو هيمنة الاستكبار، والشيء الذي يحول دون قيام وشائج الأخوة بين الشعوب المسلمة، وألا يفهم بعض المسلمين بعضاً، ولا تتراكم قدراتهم ولا تتعاضد، ولا تتشكل الأمة الإسلامية بالمعنى الحقيقي للكلمة هو دسائس الاستكبار وتدخلاته في هذه المنطقة. هذا ما يجب ألا يستمر. ينبغي أن تتحرر الشعوب من تدخلات الاستكبار وتتخلص من هيمنته وتسلطه. هذا هو مفتاح حل المشكلات في هذه المنطقة. معضلات الناس والشعوب ومشكلات الحكومات – الحكومات البعيدة عن شعوبها وجماهيرها – تعود إلى وجود القوى المستكبرة وتدخلاتها وعلى رأسها أميركا. علاج مشكلات هذه المنطقة هو أن تصحو الشعوب على نفسها، وتتحدى الحكومات بالوعي اللازم، وتقضي الشيطان الأكبر عن التدخل والتصرف في مصائرها.

سياسات أميركا الشرق أوسطية من شأنها أن تعارض الشعوب حكوماتها، ويفتح بون شاسع بين الشعوب والحكومات. إذا رافقت الشعوب حكوماتها فلن تقدر أي قوة على الهيمنة على هذه البلدان، ولن تستطيع أي قوة المقاومة بوجه الشعوب. ما يحدث راهناً في بعض البلدان الإسلامية هو حضور الشعوب في ساحة الكفاح والنضال. حين تحضر الشعوب وتشارك وتسجل حضورها الفاعل المؤثر فإن سيوف القوى الكبرى ستعود كليلية. القوى الكبرى لا تستطيع أن

تفرض منطق القوة على الشعوب، إنما تسلّط أفرادًا من أصدقائها ومرتزقتها على الناس، وهم الذين يتولون التعسف وفرض منطق القوة ضد الجماهير. وحين تنزل الشعوب إلى الساحة ستستند الحكومات إلى دعائم وأرصدة قوية تعتمد عليها، هذا إذا كانت مواكبة لشعوبها. هذا هو سبيل علاج المشكلات في المنطقة.

الحكومة الصهيونية المزيفة حاليًا أشبه بالغدة السرطانية في المنطقة، وتفرض عليه الآفات والمرض. تنصبّ كل جهود الاستكبار على إبقاء هذه الغدة السرطانية في المنطقة. وجود هذه الغدة السرطانية يسبب الحروب والاختلافات والانقسامات والسياسات الخاطئة في هذه المنطقة. يستخدمون كل طاقاتهم وقدراتهم من أجل الحفاظ على هذا الكيان ومكانته في المنطقة. هذا هو ما نشاهد اليوم آثاره ونتائجه، ألا وهو ردود أفعال الشعوب. وحين تصحو الشعوب فسوف لن تطيق هذا الوضع ولن تصبر عليه.

نعتقد أنّ بعض التحركات التي تحصل في بلدان إسلامية معينة هي ردود أفعال الشعوب حيال الإهانات الطويلة التي وجهتها القوى الاستكبارية لها. وقد وجدت اليوم فرصة فنزلت إلى الساحة.

واجبات النخب السياسية والعلمية والدينية في العالم الإسلامي لاستمرار الصحوة الإسلامية

واجبات علماء الدين والنخب السياسية والعلمية والجامعية ثقيلة جدًا. الجماهير في هذه البلدان تحتاج حاليًا إلى هداية هذه النخب وتوجيهاتها، سواء النخب السياسية أو النخب العلمية أو النخب الجامعية أو الدينية. ثمة واجبات جسيمة وكبيرة تقع على عواتقهم. يجب ألا يسمحوا لأجهزة الاستكبار وأدواتها المتنوعة بمصادرة تحركات الشعوب العظيمة، وسرقة نهضات الجماهير. يجب أن يراقبوا ويكونوا على حذر. ويتحتم عليهم أن يوجهوا شعوبهم نحو الأهداف السامية التي تعدّ آمالًا وأهدافًا راقية في كل بلد من البلدان. إذا كان هذا كان مستقبل المنطقة مستقبلاً مشرقاً، وكان غد الأمة الإسلامية غداً متألّفاً.

نحن المسلمون في العالم مليار ونصف المليار نسمة. ونقطن في أكثر المناطق حساسية من الناحية العسكرية ومن حيث المصادر الطبيعية والجوفية. لكن الآخرين هم الذين يحكموننا، ويعيّنون مصيرنا، ويحدّدون ما ينبغي أن يكون عليه نفطنا. الآخرون هم الذين يتخذون القرارات لحكوماتنا. يجب تغيير هذا الوضع، وسوف يتغير بلا شك. وتلاحظ اليوم علامات ومؤشرات ذلك. هذه هي الصحوة الإسلامية التي جاءت ببركة الإسلام.

هكذا يربّي الإسلام أتباعه: { وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ } {179}. هذه علامات الأمة الإسلامية، هذه هي الروح المعنوية الموجودة فيهم من توكل على الله وتوجّه إليه وذكره، وخضع أمامه. هذه هي خصوصية تربية الإنسان المسلم المؤمن، هذا هو الإنسان الذي يربّيه الإسلام: خاضع أمام الله تعالى، ورحيم عطوف مع إخوته في الإيمان، لكنّه يقف كالجبل الأشمّ بوجه

المستكبرين والظالمين: { وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ }¹⁸⁰. إنها مراحل رشد الأمة الإسلامية، زرع ينبت، وينمو، ويكبر، ويتعرعر ويقوى، { يُعْجِبُ الزُّرَّاعُ }. المزارعون أنفسهم الذين عملوا على إنبات هذا الزرع يندهشون حين يرونه. إنها يد القدرة الإلهية التي تنمي مثل هؤلاء الأشخاص: { لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ }. حين ينظر الأعداء المستكبرون إلى هذا الإنسان المسلم المتربّي في أحضان الإسلام سوف يملكهم الغضب والانزعاج طبعًا.

هكذا يجب أن نعمل، يجب أن نبني أنفسنا، ونطابق أنفسنا مع القرآن الكريم. يجب علينا تنظيم وضعنا وبرامجنا مع القرآن الكريم من حيث الأخلاق والسلوك مع الأصدقاء والمعارضين والمعادين والمستكبرين. يَعِدُ الله تعالى أمثال هؤلاء الذين يسرون على هذا الدرب بأنّ لهم أجرًا وثوابًا، وهو أجر مرصود لهم في الدنيا وفي الآخرة. لهم في الدنيا العزة والتمتع بالجمال الإلهي في هذا العالم – الذي أعده الله للناس – ولهم في الآخرة رضوان الله تعالى وجناته.

هذا درب اخترتموه أيها الشعب الإيراني العزيز وسرتم فيه، وسوف تواصلونه بتوفيق من الله، وهو الدرب الذي نشاهد والحمد لله الشعوب المسلمة اليوم في أنحاء العالم الإسلامي تختاره تدريجيًا وتسير فيه الواحد تلو الآخر. قال الله عزّ وجلّ: { وَالْعُقَبَةُ لِمُتَّقِينَ }¹⁸¹. لو جعلنا هذه التقوى منهج عملنا فلا ريب أنّ عاقبة الأمر وخاتمته ستكون للأمة الإسلامية، ولن يكون هذا المستقبل ببعيد على أمل الله.

أتمنى أن يوفق الله تعالى كل الشعوب المسلمة والأمة الإسلامية، خصوصًا النخبة والمؤثرين من هذه الأمة، ليستطيعوا الانتفاع من بركات وجود الرسول الأكرم ﷺ وتعاليم القرآن الكريم، ونسأل الله سبحانه أن يشمل برحمته الواسعة إمامنا الخميني الجليل الذي فتح أمامنا هذا الدرب، ويشمل برحمته أيضًا شهداءنا الأبرار الذين ضحّوا بأرواحهم في هذا السبيل¹⁸².

يوم المبعث.. أهم وأعظم وأكثر أيام السنة بركة

لو كانت عظمة وأهمية الأيام باللطف الذي ينزله الله تعالى في ذلك اليوم على الإنسانية، فلا ريب أنّ يوم المبعث هو أعظم وأهم كل أيام السنة. ذلك أنّ نعمة البعثة وإرسال النبي الأعظم ﷺ للبشرية أكبر من كل النعم الإلهية على طول التاريخ. من هنا يمكن القول بكل جرأة إنّ يوم المبعث هو أرقى وأكبر وأعظم أيام السنة بركة وفضلاً. يجب إحياء ذكرى هذا اليوم وتجسيد عظمته في أنظارنا.

يقول الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام : «أرسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الأمم»¹⁸³. حدثت البعثة بعد فترة طويلة من عدم وجود أنبياء إلهيين بين البشرية. كان قد مضى نحو ستمائة عام على بعثة النبي عيسى عليه السلام، لم تكن البشرية قد شاهدت بينها سفيراً إلهياً منذ مئات السنين، فما كانت النتيجة؟ «والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور»¹⁸⁴. كان العالم مظلمًا والمعنويات غائبة والبشر يعيشون الجهل والضلال والغرور. في مثل هذه الظروف أرسل الله تعالى رسوله الأمين محمدًا ﷺ.

النبي الأكرم ﷺ هو العنصر اللائق والجدير الذي أعده الله تعالى لمثل هذه المسيرة الهائلة الممتدة على طول التاريخ البشري. لذلك استطاع طوال ثلاثة وعشرين عامًا إطلاق تيار تقدّم بالتاريخ إلى الأمام لحد اليوم على الرغم من كل الموانع والمشكلات والعقبات. ثلاثة وعشرون عامًا فترة قصيرة، وقد انقضت ثلاث عشرة سنة منها في جهاد وكفاح تشوبه الغربة والمظلومية. بدأ الأمر في مكة أولاً بخمسة أشخاص وعشرة أشخاص وخمسين شخصًا، واستطاع عدد قليل من الأفراد المقاومة تحت ضغوط منهكة مارسها ضدهم أعداء متعصبون جهلاء لا يهتدون. أرسيت

دعائم قوية لينهض عليها المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية. وبعد ذلك هياً الله تعالى ظروفاً استطاع فيها الرسول الأكرم ﷺ الهجرة إلى المدينة وإقامة نظام ومجتمع، وتشبيد حضارة. لم تتجاوز كل المدة التي أقام فيها الرسول الأكرم ﷺ هذا النظام الفتى وأعدّه وتقدم به إلى الأمام، لم تتجاوز العشرة أعوام، وهي فترة قصيرة طبعاً. مثل هذه الأحداث عادة ما تضيع وسط طوفانات وأمواج الأحداث العالمية وتزول ويلقى النسيان. عشرة أعوام مدة قصيرة جداً، لكن الرسول الأكرم ﷺ استطاع خلال هذه المدة غرس هذه النبتة وتعهدها وسقايتها وتوفير أسباب نموها ورشدها، وإيجاد حركة خلقت حضارة ارتقت في أحقابها المناسبة قمم التحضر الإنساني، وذلك في القرنين الثالث والرابع للهجرة. لم تشاهد في أي بقعة من العالم إذ ذاك، وعلى الرغم من سوابق الحضارات والدول المقتدرة ذات الموارد التاريخية المتنوعة، لم تشاهد أي حضارة في ذلك الحين بعظمة وازدهار ورونق الحضارة الإسلامية، هذه هي ميزة الإسلام.

هذا في حين وقعت بعد زمن حياة النبي الأكرم ﷺ ومدة الأعوام العشرة لحكومته أحداث متنوعة ومريرة للأمة الإسلامية، وظهرت بعض العقبات والاختلافات والنزاعات الداخلية. ورغم كل هذا، ومع وجود انحرافات، تكونت على مرّ الأعوام شوائب ظهرت وتفاقت في التيار الإسلامي، استطاعت رسالة الرسول الأكرم ﷺ ورسالة البعثة على مدى ثلاثة أو أربعة قرون عرض تلك العظمة التي تدين لها اليوم الدنيا كلها وجميع الحضارات، هذه تجربة.

العودة للإسلام السبيل الوحيد لإنقاذ البشرية والسير نحو الكمال

لو فكرت البشرية وراعت الإنصاف فستعترف وتصدّق بأن سبيل إنقاذ البشرية ومسيرتها نحو الكمال ممكن بواسطة الإسلام لا سواه. نحن المسلمون لم نشكر النعمة، ولم نقدرها حق قدرها. لقد جازينا بجزاء سنّام، ولم نعرف قدر الإسلام. لم نحافظ على الأركان والدعائم التي أرساها الرسول الأكرم ﷺ لتشييد المجتمعات الإنسانية المميزة المتكاملة، لم نشكر ولم نقدر، وها نحن نقطف الثمار المرّة لهذا الجحود. كان ولا يزال بمقدور الإسلام أن يأخذ بأيدي البشرية إلى السعادة والكمال والرشد والنمو المادي والمعنوي. أرسى الرسول الأكرم ﷺ هذه الدعائم والركائز – ركائز الإيمان والعقلانية والنضال والعزة – وهي الدعائم الأصلية للمجتمع الإسلامي.

لنقوّر إيماننا في قلوبنا وأعمالنا، ولنستفد من العقل الإنساني الذي جعله الله تعالى هدية كبرى للبشر، ولنعمل بالجهاد في سبيل الله، سواء في ميادين القتال العسكري إذا اقتضت الضرورة، أو في الميادين الأخرى كميدان السياسة، وميدان الاقتصاد، والميادين الأخرى، ولنغتني مشاعر العزة والكرامة الإنسانية والإسلامية في نفوسنا.

حين تنبعث هذه المعاني في مجتمع من المجتمعات، فسوف يتابع هذا المجتمع بلا شك المسار الإسلامي وخط النبي الكريم ﷺ. لقد استطاع الشعب الإيراني ببركة رسالة الإسلام وبفضل نداء إمامنا الخميني الكبير تحقيق جانب من هذه المعاني في حياتنا، وها نحن نشاهد آثارها وثمارها الطيبة.

لقد استيقظ العالم الإسلامي اليوم وتنبّه. فالتحركات والتطورات التي تلاحظ اليوم في بعض بلدان شمال أفريقيا ومنطقة الشرق الأوسط، هي استفادة واستضاءة من نور الإسلام، وانتفاع من توجيهات وإرشادات رسول الإسلام الأكرم ﷺ. لذا فإن مستقبل هذه المنطقة وهذه البلدان مستقبل مشرق بتوفيق من الله وحوله وقوته سبحانه.

عدم جدوى مساعي الاستكبار لمواجهة الصحوة الإسلامية

الغربيون يلجّون ويصرّون عبثًا، ويلحّون على مواقفهم الخاطئة دون جدوى. ما يحدث في الوقت الراهن في مصر وتونس وبعض البلدان الأخرى ويلاحظ معناه أن تاريخ هذه المنطقة قد تغيّر، والصفحة قد انقلبت، وبدأ فصل جديد. المعادلة الخاطئة الظالمة التي أوجدها المستكبرون والمستعمرون الغربيون منذ مئة عام أو مئة وخمسين عامًا في هذه المنطقة، وأرادوا أن تسيطر على مصير هذه المنطقة العظيمة الحساسة، قد انقلبت وتغيّرت وبدأ فصل جديد.

طبعًا القوى المستكبرة الغربية تبدي اليوم إصرارًا وعنادًا وتشددًا، ولا يريدون الاستسلام مقابل هذا الواقع الكبير الذي لا سبيل لإنكاره وهو أنّ شعوب المنطقة قد استيقظت وعادت إلى الإسلام، بيد أن هذه هي الحقيقة. لقد بُثت الروح الإسلامية في البلدان الإسلامية. لقد فعل عملاء أميركا والغرب والمرتبطون بهم بهذه الشعوب ما أشعرها أنها لا سبيل لها أمام هؤلاء إلا الثورة والتحرك الشامل الهائل والنهضة، لذلك سارت في هذا الدرب وهي تتقدم فيه إلى الأمام. وسوف تؤتي هذه التحركات أكلها وثمارها دون شك.¹⁸⁵

تعليم دروس الرسول الأكرم ﷺ السبيل إلى إحياء العزة الإسلامية

نحن المسلمين من أجل أن نجد سبيل الهداية يكفيننا أن نتعرف على شخصية الرسول الأعظم ﷺ. عقيدتنا طبعاً هي أن تنتفع البشرية كلها من وجود الرسول الأعظم ﷺ، ويجب أن تنتفع وهي كذلك، لكن الأولى بالانتفاع هو نحن الأمة الإسلامية. هذا الوجود العظيم ذو الخلق العظيم، وهذه الشخصية التي ربّاه الله تعالى لأضخم رسالة في تاريخ البشر، والذي يقول عنه الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله عزّ وجلّ أدب نبيه فأحسن تأديبه، فلمّا أكمل له الأدب قال إنك لعلّى خلق عظيم، ثمّ فوّض إليه أمر الدين والعباد ليسوس عباده»¹⁸⁶. ربّى الله سبحانه هذه الشخصية العظيمة ورشدّها ونمّاها وهباً في هذا الكيان المطهر المقدس كل مستلزمات مشروع تاريخي عظيم، ثم ألقى على عاتقه هذه الأعباء الثقيلة، أعباء الرسالة التاريخية. لذا فإنّ هذا اليوم وهو السابع عشر من ربيع الأول يوم ولادة النبي الكريم ﷺ ربما أمكن القول إنه أعظم عيد للإنسانية على مدى التاريخ البشري، حيث أهدى الله تعالى للبشرية وللتاريخ الإنساني مثل هذا الإنسان العظيم، وقد نهض هذا الإنسان العظيم بمقتضيات المشروع الهائل الذي ألقى على عاتقه.

لو ركّزنا نحن المسلمين اليوم على شخصية الرسول الأكرم ﷺ ودققنا فيها واستلهمنا منها الدروس، لكفانا ذلك لديننا ودنيانا. النظر إلى هذا الوجود والتعلم منه واستلهم الدروس منه يكفيننا للعودة إلى عزتنا. كان ﷺ مظهرًا للعلم والأمانة والأخلاق والعدالة. ما الذي يحتاجه البشر؟ هذه هي احتياجات البشر. هذه احتياجات لم تتغير على مرّ التاريخ الإنساني. كل هذه التحوّلات والتطورات التي شهدتها حياة الإنسانية منذ بدايتها وإلى اليوم – حيث شهدت أوضاع الحياة الإنسانية وأحوالها وتنظيماتها الكثير من التغييرات – لم تؤدّ إلى تغيير المطالب والاحتياجات

الأصلية للإنسان. منذ فجر حياته وإلى يوم الناس هذا كان الإنسان ينشد الأمن والاستقرار، ويرنو إلى العدالة، ويبحث عن الأخلاق ويريدها، ويحتاج إلى أواصر متينة بمصدر الخلقة والوجود. هذه هي المطالب الرئيسة للإنسان والنابعة من فطرته.

الرسول الأكرم ﷺ تجسيد لكل هذه المعاني. نحن الأمة الإسلامية بحاجة إلى كل هذه الخصوصيات والخصال. الأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى التقدم العلمي، والثقة بالله تعالى والاطمئنان له، وهي بحاجة إلى العلاقات السليمة والأخلاق الحسنة في ما بين أبنائها. يجب أن نتعامل في ما بيننا بروح أخوية وبصفح وتسامح وحلم ورضٍ للطرف عن الهنات. والرسول الأكرم ﷺ مظهر كل هذه الصفات والأحوال بعلمه وحلمه وصفحه ورحمته وتودده إلى الضعفاء وعدله مع كل أبناء المجتمع. نتعلم الدروس من الرسول الأكرم ﷺ فنحن بحاجة إلى ذلك. نحن اليوم بحاجة للثقة بالله عزّ وجلّ والاعتماد عليه والاطمئنان لوعوده. لقد وعدنا الله تعالى فقال إذا جاهدتم وسعيتم فإنّ الله سبحانه يأخذ بأيديكم إلى المقصود والهدف، وستحققون أهدافكم في ظل صمودكم ومقاومتكم. ينبغي ألا نشعر بالضعف والانهيّار أمام الشهوات الدنيوية، يجب ألا نشعر بالضعف حيال المال والمناصب والوساوس النفسية المختلفة، بل نصبر ونقاوم. هذه هي الأمور التي تأخذ البشرية إلى ذروة الكمال، وتورث الأمة العزة، وتحقق للمجتمع السعادة والرخاء الحقيقيين. نحن بحاجة إلى هذه الأمور، ومظهرها جميعاً هو رسول الإسلام الأمين ﷺ.

شخصية الرسول الأكرم ﷺ وخصالها

هذه هي حياة النبي الأكرم ﷺ في فترة طفولته وشبابه قبل البعثة. كانت أمانته بحيث لقيته كل قريش وكل العرب الذين عرفوه بالأمين. إنصافه تجاه الناس ونظرته العادلة لهم كانت بحيث عندما أرادوا أن ينصبوا الحجر الأسود في مكانه، واختلفت قبائل العرب وتنازعت في هذا الشأن، جعلوه حكمًا، والحال أنه كان شابًا. وفي هذا دليل على نظره المنصفة للجميع، والكل كانوا يعلمون ذلك. كانوا يعلمونه صادقًا وأمينًا، هذا عن فترة شبابه. ثم جاءت فترة البعثة والتضحية والجهاد والعناء والصمود. كل الناس في ذلك الحين وقفوا بوجهه وعارضوه وساروا في الاتجاه المعاكس لمسيرته. كل تلك الضغوط والصعاب طوال ثلاثة عشر عامًا.. أي أعوام عسيرة كانت، لكن النبي الأكرم ﷺ وقف وقاوم فصنعت مقاومته أفرادًا مسلمين مقاومين أقوياء لا تؤثر فيهم أي ضغوط. هذه دروس لنا. ثم شكّل مجتمع المدينة، ولم يحكم لأكثر من عشر سنين، لكنه أرسى دعائم صرح ظلّ لقرون من الزمن قمة الإنسانية في العلم والحضارة والتقدم المعنوي والأخلاقي والثروة. هكذا كان المجتمع الذي أسس له الرسول الأعظم ﷺ وأرسى دعائمه.

على أنّ المسلمين أبدوا من بعده حالات خور وتقاعس، وقد فرضنا نحن المسلمين على أنفسنا التخلف بأنفسنا، فلنسر اليوم على خطاه ونتقدم إلى الأمام. الأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى الاتحاد والتراحم والتعارف. بهذه النهضة التي قامت حاليًا في العالم الإسلامي والعالم العربي، هذه الصحوة التي شهدتها الشعوب، وهذا الحضور الذي سجّله الجماهير في الساحات، وهذه التراجعات المتتابة لأميركا والأجهزة الاستكبارية، وهذا الضعف المتزايد الذي يعيشه الكيان الصهيوني، هذه كلها فرص لنا نحن المسلمين وللاّمة الإسلامية. لنعد إلى أنفسنا ونستلهم الدروس،

ولا ريب إن شاء الله في أن تستمر هذه المسيرة بهمة الأمة الإسلامية والكبراء والمتقنين والنخبة العلمية والسياسية والدينية، وسيرى العالم الإسلامي مرة أخرى أيام عزته إن شاء الله ¹⁸⁷.

أبارك للشعب الإيراني الكبير الذي جعل البعثة والحركة وجهة عمله ومسيرته، وجاهد وناضل وتحمل الصعاب من أجل تحقيق الأهداف الكبرى لبعثة خاتم الأنبياء ﷺ، وشملته والحمد لله الوعود الإلهية، حيث وعد الله تعالى الشعوب التي تسير في هذا الدرب بالفتح والتقدم والسعادة، ووعد الله تعالى لا إخلاف فيه. كما نبارك هذا العيد الكبير للأمة الإسلامية التي جعلت دين محمد ﷺ وجهتها بعد عشرات الأعوام من التجارب. من بعد أن جرب المستنيرون والنخبة ورؤاد الشعوب المسلمة على مدى سنوات طويلة الكثير من المدارس والمذاهب الشرقية والغربية وتأكدوا من إخفاقها وعقمها، أقبلت الأمة الإسلامية اليوم على مضمون البعثة وأهدافها. هذا اليوم يوم مبارك للأمة الإسلامية ونتمنى أن تتمتع البشرية كلها ببركات هذه البعثة.

ما أودّ أن أقوله اليوم هو إنّ للبعثة أبعاداً ومناحيّ عدة. أحزمة النور التي شعت من هذا الحدث على البشرية ليست واحدة أو اثنتين، لكن البشرية اليوم بأمرّ الحاجة إلى تيارين ناجمين عن البعثة: أحدهما إثارة الفكر والتفكير، والثاني التهذيب الأخلاقي. إذا جرى تأمين هذين التيارين، فسوف يصار إلى تأمين المطالب والآمال القديمة للبشر، من قبيل العدالة والسعادة والرفاه الدنيوي، المشكلة الأساسية تكمن في هذين القسمين.

قال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ¹⁸⁸، وقال سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ } ومن بعد التزكية يقول: { وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } ¹⁸⁹. هذا هدف رفيع سام، تزكية النفوس وتطهير القلوب ورفع مستوى الأخلاق الإنسانية، وإنقاذ الناس من مزالل الرذائل والأمراض الأخلاقية والشهوات النفسية، هذا مقصد وهدف بحدّ ذاته.

وقضية التفكير أيضاً قضية أساسية ومهمة، ولا تختص برسولنا الكريم ﷺ، فالأنبياء والرسل عليهم السلام كلهم بعثوا لإحياء قدرة الإنسان على التعقل والتفكير. يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة له في نهج البلاغة: «ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته.. ويثيروا لهم دفائن العقول» ¹⁹⁰. بعث الأنبياء ليظهروا للبشر الكنوز العقلية المدفونة في داخلهم ويستخرجوها لهم. نحن البشر لدينا مواهب عظيمة من التفكير مودعة في داخلنا. حين لا

نفكر ولا نقرأ ولا نتدبر في الآيات الإلهية، ولا نتأمل في تاريخنا وفي ماضينا ومختلف القضايا التي تحدث للبشر، وفي مشكلات الأمس، وفي عوامل الانتصارات الكبرى التي حققتها الشعوب، سنبقى محرومين من ذلك الكنز المعنوي الذي أودعه الله تعالى في داخلنا: «ويذكروهم منسي نعمته... ويثيروا لهم دفائن العقول»، البشرية اليوم بحاجة إلى هذين الأمرين¹⁹¹.

Notes

[1←]

من كلمته في لقائه ضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية ورجال الدين والمسؤولين وأئمة الجمعة والإخوة من أهل السنة والشيعة في محافظات كردستان وكرمانشاه ولقيف من شتى شرائح الشعب من أهالي قزوين ومباركة وسرخه وخواف بتاريخ 16/10/1989 م.

[2←]

من كلمته في لقائه لقيفاً من رجال الدين وأئمة الجمعة والجماعة ومسؤولي الأجهزة الإدارية والمؤسسات الثورية والقضائية، وعدد من نواب مجلس الشورى الإسلامي، وقادة القوات المسلحة بمناسبة ولادة سيد البشرية الرسول الأكرم P والإمام جعفر الصادق عليه السلام بتاريخ 18/10/1989 م.

[3←]

سورة البقرة، الآية 129.

[4←]

سورة البقرة، الآية 129.

[5←]

مكارم الأخلاق، ص 17.

[6←]

سورة النور، الآية 12.

[7←]

سورة النور، الآية 16.

[8←]

سورة النور، الآية 17.

[9←]

بحار الأنوار، ج 97 ، ص 59.

[10←]

بحار الأنوار، ج 73 ، ص 274 ؛ مكارم الأخلاق، ص 265.

[11←]

من خطبتي صلاة الجمعة في طهران بتاريخ 20/10/1989 م.

[12←]

سورة الفتح، الآية 28.

[13←]

من كلمته في لقائه قراء القرآن من أربعين بلدًا وعددًا من المكفوفين في ذكرى بعثة الرسول الأكرم ﷺ بتاريخ 23/02/1990 م.

[14←]

سورة آل عمران، الآية 103.

[15←]

سورة النساء، الآية 64.

[16←]

سورة الحديد، الآية 25.

[17←]

من كلمته في لقائه بمسؤولي البلاد وضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية بتاريخ 08/10/1990 م.

[18←]

سورة الجمعة، الآية 2.

[19←]

سورة الأحزاب، الآية 13.

[20←]

من كلمته في لقائه بمسؤولي الجمهورية الإسلامية والضيوف الأجانب المشاركين في مراسم عشرة الفجر ذكرى انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وذكرى المبعث النبوي الشريف بتاريخ 02/10/1992 م.

[21←]

سورة الحجرات، الآية 13.

[22←]

من كلمته في لقائه مسؤولي الدولة بمناسبة ذكرى ولادة الرسول الأكرم ﷺ والإمام جعفر الصادق عليه السلام بتاريخ 14/09/1992 م.

[23←]

سورة آل عمران، الآية 164.

[24←]

بحار الأنوار، ج 68 ، ص 382.

[25←]

سورة الحديد، الآية 25.

[26←]

الكافي، ج 5 ، ص 266.

[27←]

سورة الحديد، الآية 25.

[28←]

من كلمته في لقائه مسؤولي البلاد بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف بتاريخ 20/01/1993 م.

[29←]

شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد)، ج 1 ، ص 136.

[30←]

سورة الحجرات، الآية 10.

[31←]

من كلمته في لقائه مسؤولي البلاد وشرائح الشعب المتنوعة بمناسبة ذكرى ولادة الرسول الأكرم ﷺ والإمام الصادق عليه السلام بتاريخ 05/09/1993 م.

[32←]

سورة الإخلاص، الآيتان 3 و4.

[33←]

من كلمته في مسؤولي الدولة بمناسبة يوم المبعث النبوي الشريف بتاريخ 10/01/1994 م.

[34←]

سورة الفرقان، الآية 30.

[35←]

من كلمته في لقائه مسؤولي الدولة وضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية بتاريخ 26/08/1994 م.

[36←]

وسائل الشيعة، ج 1 ، ص 15.

[37←]

بحار الأنوار، ج 18 ، ص 202.

[38←]

سورة النحل، الآية 90.

[39←]

من كلمته في لقائه مسؤولي الدولة بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف بتاريخ 31/12/1994 م.

[40←]

سورة إبراهيم، الآيتان 24 و 25.

[41←]

من كلمته في لقائه المسؤولين في الدولة والضيوف الأجانب المشاركين في المؤتمر الدولي للوحدة الإسلامية بتاريخ 15/08/1995 م.

[42←]

سورة البقرة، الآية 129.

[43←]

المصدر نفسه.

[44←]

سورة الشعراء، الآية 214.

[45←]

سورة يس، الآية 11.

[46←]

سورة البقرة، الآية 3.

[47←]

من كلمته في لقائه بمسؤولي الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة يوم المبعث النبوي الشريف بتاريخ 20/12/1995 م.

[48←]

سورة الأعراف، الآية 157.

[49←]

من كلمته في لقائه رؤساء السلطات الثلاث ومسؤولي النظام الإسلامي والضيوف الأجانب المشاركين في المؤتمر العالمي للوحدة الإسلامية بتاريخ 03/08/1996 م.

[50←]

سورة البقرة، الآية 31.

[51←]

بحار الأنوار، ج 68 ، ص 382.

[52←]

بحار الأنوار، ج 68 ، ص 382.

[53←]

من كلمته في لقائه المسؤولين في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة عيد المبعث السعيد بتاريخ 09/12/1996 م.

[54←]

سورة الطارق، الآية 15.

[55←]

سورة آل عمران، الآية 54.

[56←]

من كلمته في لقائه ضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية في ذكرى الولادة السعيدة للرسول الأكرم  والإمام جعفر الصادق عليه السلام، بتاريخ 23/07/1997 م.

[57←]

سورة إبراهيم، الآية 1.

[58←]

بحار الأنوار، ج 68 ، ص 382.

[59←]

من كلمته في لقائه مسؤولي البلاد بمناسبة المبعث النبوي الشريف، بتاريخ 28/11/1997 م.

[60←]

من كلمته في لقائه المسؤولين في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بتاريخ 12/07/1998 م.

[61←]

من كلمته في لقائه مسؤولي الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ 18/10/1998 م.

[62←]

سورة مريم، الآية 31.

[63←]

سورة ص، الآية 87.

[64←]

من كلمته في لقائه مسؤولي الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة ذكرى ولادة الرسول الأكرم ﷺ والإمام جعفر الصادق عليه السلام، بتاريخ 01/07/1999 م.

[65←]

سورة البقرة، الآية 285.

[66←]

إقبال الأعمال، ج 1 ، ص 295.

[67←]

من كلمته في لقائه مسؤولي الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة يوم المبعث النبوي الشريف، بتاريخ

[68←]

من كلمته في لقائه مسؤولي الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة السابع عشر من ربيع الأول ذكرى ولادة الرسول الأكرم ﷺ ، بتاريخ 20/06/2000 م.

[69←]

سورة الأحزاب، الآية 43.

[70←]

من كلمته في لقائه المسؤولين في الجمهورية الإسلامية الإيرانية وسفراء البلدان الإسلامية في ذكرى المبعث النبوي الشريف، بتاريخ 25/10/2000 م.

[71←]

سورة الجمعة، الآية 2.

[72←]

سورة الفتح، الآية 1.

[73←]

سورة الأنفال، الآية 49.

[74←]

سورة الروم، الآية 10.

[75←]

سورة التوبة، الآية 77.

[76←]

سورة المنافقون، الآية 8.

[77←]

من خطبتي صلاة الجمعة بطهران في تاريخ 18/05/2001 م.

[78←]

نهج البلاغة، الخطبة رقم 89.

[79←]

من كلمته في لقائه مسؤولي الجمهورية الإسلامية الإيرانية في ذكرى ولادة الرسول الأعظم ﷺ والإمام جعفر الصادق عليه السلام، بتاريخ 10/06/2001 م.

[80←]

سورة العلق، الآية 1.

[81←]

سورة النحل، الآية 125.

[82←]

بحار الأنوار، ج 67، ص 372.

[83←]

سورة الأنبياء، الآية 107.

[84←]

سورة الأنفال، الآية 61.

[85←]

من كلمته في لقائه المسؤولين في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ 15/10/2001 م.

[86←]

سورة الفتح، الآية 28.

[87←]

سورة المائدة، الآية 26.

[88←]

من كلمته في مسؤولي الدولة بمناسبة ذكرى ولادة الرسول الأكرم ﷺ والإمام جعفر الصادق عليه السلام، بتاريخ 30/05/2002 م.

[89←]

سورة التكوين، الآية 27.

[90←]

بحار الأنوار، ج 18 ، ص 202.

[91←]

من كلمته في لقائه مسؤولي الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة المبعث النبوي الشريف، بتاريخ 05/10/2002 م.

[92←]

سورة الأنبياء، الآية 107.

[93←]

سورة الجمعة، الآية 3.

[94←]

سورة النساء، الآية 79.

[95←]

من كلمته في مسؤولي الدولة بمناسبة السابع عشر من ربيع الأول ذكرى ولادة الرسول الأكرم ﷺ والإمام جعفر الصادق عليه السلام، بتاريخ 19/05/2003 م.

[96←]

سورة العلق، الآيات 1 - 4.

[97←]

سورة المدثر، الآية 2.

[98←]

سورة سبأ، الآية 46.

[99←]

سورة الجمعة، الآية 2.

[100←]

إقبال الأعمال، ج 2 ، ص 678.

[101←]

المواعظ العديدة، ص 124.

[102←]

من كلمته في لقائه مسؤولي الجمهورية الإسلامية الإيرانية في عيد المبعث الشريف، بتاريخ 24/09/2003 م.

[103←]

سورة الأحزاب، الآية 21.

[104←]

من كلمته في لقائه شرائح الشعب المختلفة بتاريخ 14/04/2004 م.

[105←]

سورة الحجرات، الآية 13.

[106←]

سورة الحجرات، الآية 10.

[107←]

من كلمته في لقائه مسؤولي الدولة والضيوف المشاركين في مؤتمر الوحدة الإسلامية بتاريخ 07/05/2004 م.

[←108]

من كلمته في لقائه مسؤولي الدولة بمناسبة يوم المبعث النبوي الشريف، بتاريخ 13/09/2004 م.

[←109]

شرح أصول الكافي، ج 1 ، ص 604.

[←110]

سورة العنكبوت، الآية 69.

[←111]

سورة النور، الآية 55.

[←112]

من كلمته في لقائه مسؤولي الجمهورية الإسلامية الإسلامية وسفراء البلدان الإسلامية بمناسبة ولادة الرسول الأعظم ﷺ في تاريخ 06/04/2005 م.

[←113]

من كلمته في لقائه المسؤولين في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة المبعث النبوي الشريف، بتاريخ 02/09/2005 م.

[←114]

من ندائه بمناسبة حلول العام الإيراني 1385 هـ ش، الموافق لـ 21/03/2006 م.

[←115]

مثنوي معنوي، جلال الدين المولوي الرومي، الكتاب الأول.

[←116]

سورة الأحزاب، الآيتان 45 و46.

[←117]

من كلمته في الروضة الرضوية المقدسة بداية العام الإيراني 1385 هـ ش، الموافق لـ 21/03/2006 م.

[←118]

بحار الأنوار، ج 68 ، ص 382.

[←119]

بحار الأنوار، ج 83 ، ص 182، الباب 43.

[←120]

سورة هود، الآية 112.

[←121]

وسائل الشيعة، ج 6 ، ص 172.

[←122]

من كلمته في لقائه بالتعويين، في تاريخ 26/03/2006 م.

[←123]

سورة التوبة، الآية 128.

[←124]

سورة التوبة، الآية 128.

[←125]

من كلمته بمناسبة ولادة الرسول الأكرم ﷺ والإمام جعفر الصادق عليه السلام في تاريخ 16/04/2006 م.

[←126]

بحار الأنوار، ج 68 ، ص 382.

[←127]

سورة القلم، الآية 4.

[←128]

مختصر البصائر، ص 60.

[←129]

التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص 156.

[←130]

مختصر البصائر، ص 60.

[←131]

نهج البلاغة، الخطبة 2.

[←132]

سورة الأنعام، الآية 125.

[133←]

نهج البلاغة، الخطبة رقم 45.

[134←]

سورة الجمعة، الآية 2.

[135←]

سورة الحجر، الآية 91.

[136←]

سورة النساء، الآية 150.

[137←]

سورة الحديد، الآية 25.

[138←]

سورة الحجر، الآية 91.

[139←]

سورة النساء، الآية 150.

[140←]

سورة الجمعة، الآية 2.

[141←]

سورة التحريم، الآية 9.

[142←]

سورة الحديد، الآية 25.

[143←]

من كلمته في لقائه مسؤولي الدولة وسفراء البلدان الإسلامية وضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية بمناسبة ولادة
الرسول الأعظم ﷺ بتاريخ 22/08/2006 م.

[144←]

المصباح للكفعمي، ص 731.

[145←]

من كلمته في لقائه مسؤولي الجمهورية الإسلامية الإيرانية بتاريخ 06/04/2007 م.

[146←]

سورة البقرة، الآية 151.

[147←]

سورة الحديد، الآية 25.

[148←]

من كلمته في لقائه مسؤولي الدولة ومختلف شرائح الشعب بمناسبة يوم المبعث النبوي الشريف، بتاريخ 11/08/2007 م.

[149←]

سورة الحجر، الآيتان 94 و 95.

[150←]

تفسير القمي، ج 2 ، ص 228.

[151←]

سورة الفتح، الآية 29.

[152←]

المستدرک، ج 11، ص 86.

[153←]

نهج البلاغة، الخطبة رقم 173.

[154←]

من كلمته في لقائه مسؤولي الدولة بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ 30/07/2008 م.

[155←]

نهج البلاغة، الخطبة رقم 88.

[156←]

سورة النحل، الآيتان 58 و 59.

[157←]

إقبال الأعمال، ج 1، ص 295.

[158←]

سورة التوبة، الآية 33.

[159←]

سورة آل عمران، الآية 103.

[160←]

من كلمته في لقائه المسؤولين في البلاد بمناسبة ذكرى ولادة الرسول الأعظم ﷺ والإمام جعفر الصادق عليه السلام، بتاريخ 15/03/2009 م.

[161←]

سورة الملك، الآية 10.

[162←]

نهج البلاغة، الخطبة رقم 1.

[163←]

تحف العقول، ص 15.

[164←]

تحف العقول، ص 15.

[165←]

بحار الأنوار، ج 68، ص 382.

[166←]

سورة البقرة، الآية 285.

[167←]

من كلمته في عيد المبعث النبوي الشريف، بتاريخ 20/07/2009 م.

[168←]

سورة النور، الآية 40.

[169←]

نهج البلاغة، الخطبة رقم 89.

[170←]

من كلمته بمناسبة ولادة الرسول الأعظم ﷺ والإمام جعفر الصادق عليه السلام بتاريخ 04/03/2010 م.

[171←]

سورة البقرة، الآية 119.

[172←]

سورة المائدة، الآيتان 15 و16.

[173←]

سورة العلق، الآيات 15 – 18.

[174←]

سورة المدثر، الآيات 11 – 17.

[175←]

سورة الإسراء، الآية 81.

[176←]

سورة الرعد، الآية 17.

[177←]

من كلمته في لقائه المسؤولين في البلاد بمناسبة يوم المبعث النبوي الشريف، بتاريخ 10/07/2010 م.

[178←]

سورة الأنبياء، الآية 107.

[179←]

سورة الفتح، الآية 29.

[180←]

المصدر نفسه.

[181←]

سورة القصص، الآية 83.

[182←]

من كلمته في لقائه مسؤولي الجمهورية الإسلامية الإيرانية وسفراء البلدان الإسلامية في يوم ولادة الرسول

الأعظم ﷺ ، بتاريخ 21/02/2011 م.

[←183]

الكافي، ج 1، ص 60.

[←184]

نهج البلاغة، الخطبة رقم 89.

[←185]

من كلمته في لقائه مسؤولي الدولة في إيران بمناسبة يوم المبعث النبوي الشريف، بتاريخ 30/06/2011 م.

[←186]

الكافي، ج 1، ص 266.

[←187]

من كلمته في ذكرى ولادة نبي الإسلام الكريم P بتاريخ 10/02/2012 م.

[←188]

بحار الأنوار، ج 68، ص 382.

[←189]

سورة الجمعة، الآية 2.

[←190]

نهج البلاغة، الخطبة رقم 1.

[←191]

من كلمته في لقائه مسؤولي الدولة والبلاد وسفراء البلدان الإسلامية بتاريخ 18/06/2012 م.